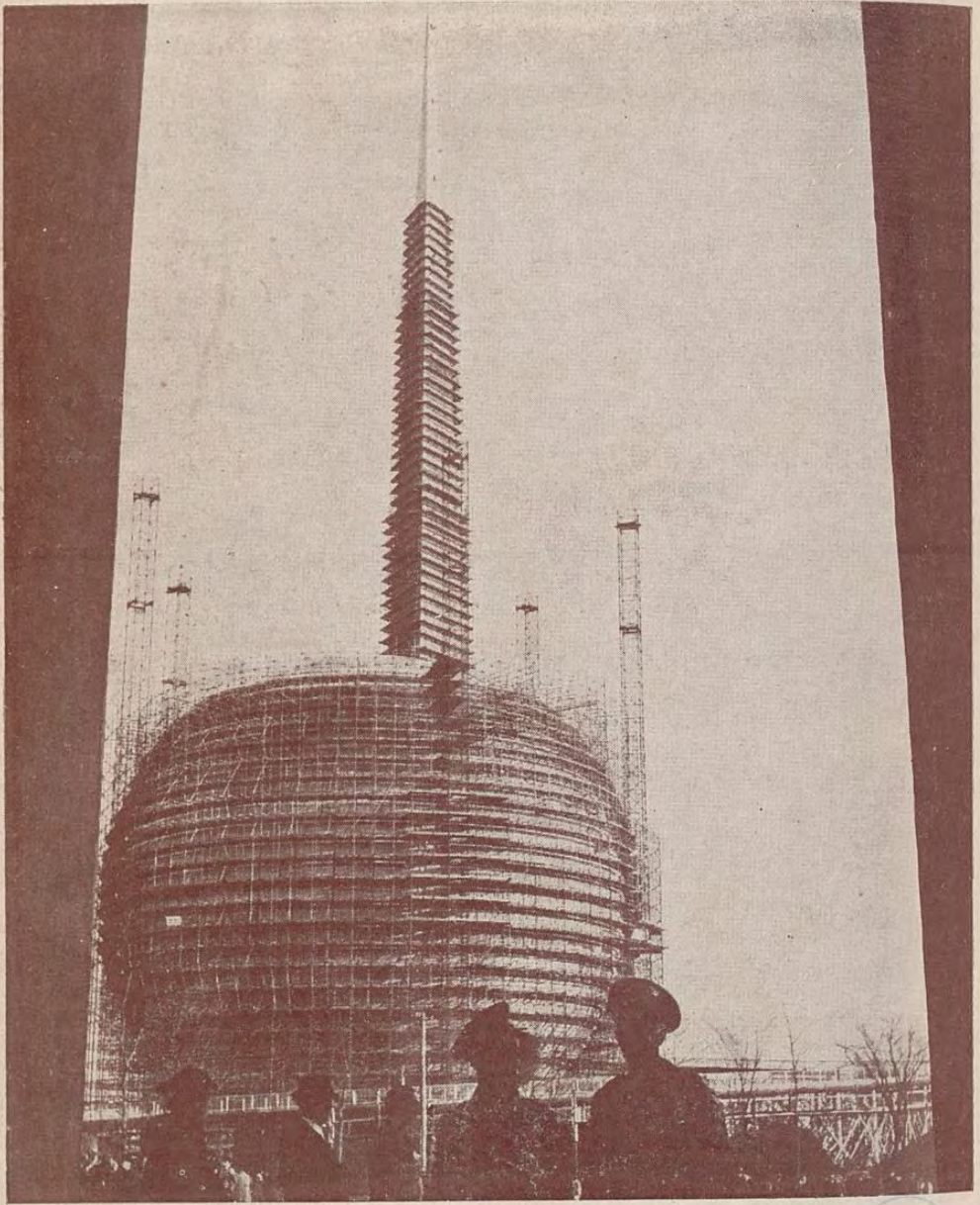
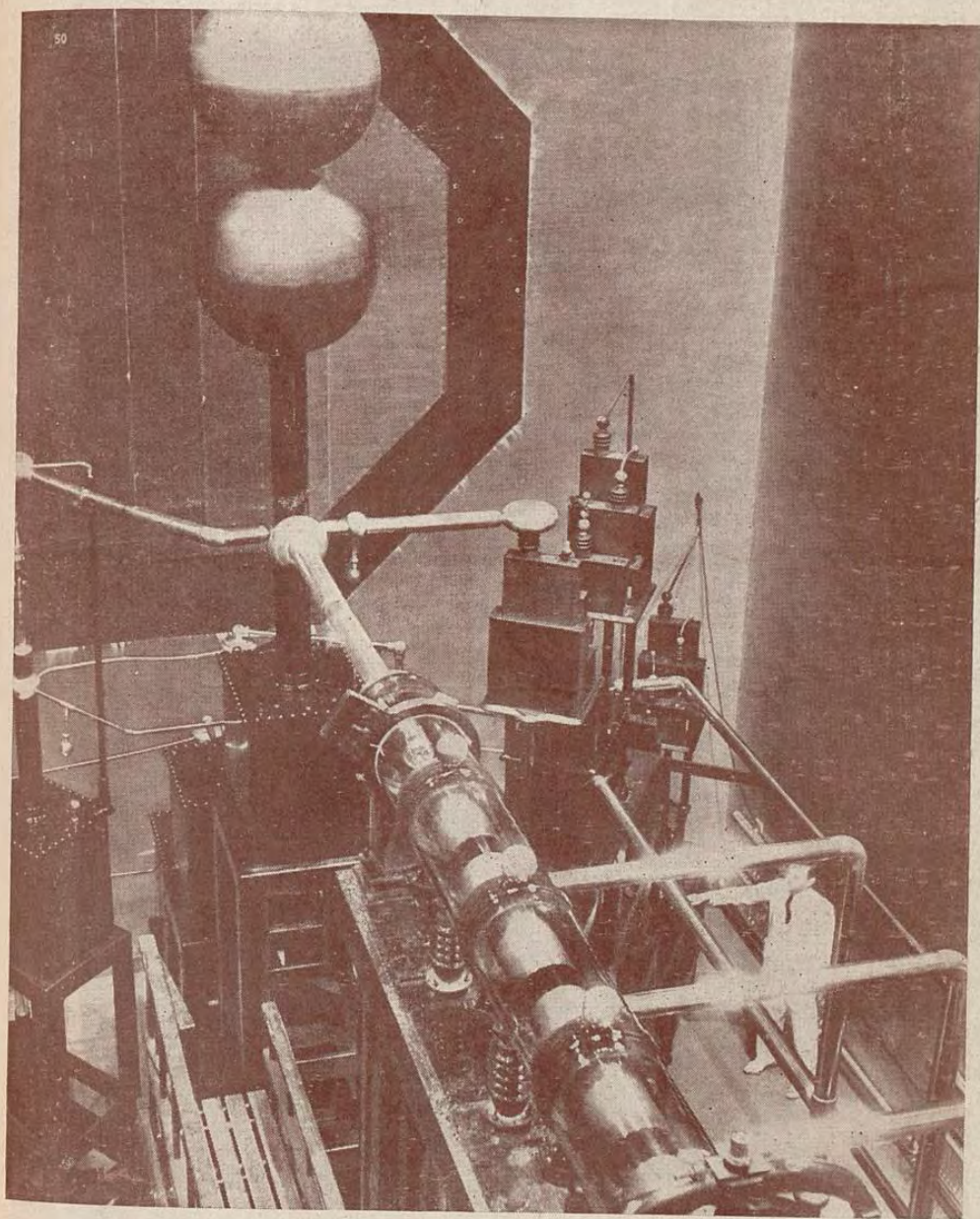


تصفيق الدم — اي اضافة دم سليم الى دم مريض — اصبح امرأ مألوفاً في الطب . ولما كان الدم ثقات لا يختلط بعضها ببعض بغير ان يحدث ضرر لجسم ، يجب فحص دم الباذل دمه ودم المريض لمعرفة فئتهما وهل يختلطان بغير ضرر . وفي هذه الصور ثلاثة مشاهد لما يعرف « بينوك الدم » حيث يؤخذ الدم من جريح مثلاً ويمتحن ويحفظ في زجاجات ثم يستعمل حين الحاجة اليه بغير اللجوء الى باذل



في معرضه نيويورك

صورة هيكل « الكرة » و « التريلون » قبل انجاز تشييدهما ، وقد وصفا بانهما حلم مفرغ في الصلب على نحو ما وصف « تاج محل » بأنه « حلم عاشق افرغ في الرخام »



في مقالة « الطبيب يستشير الطبيعي » - صدر مقتطف يونيو الماضي - اشارة الى الاجهزة
 المولدة للاشعة السينية القوية التي يصح استعمالها في علاج السرطان محل اشعاعات
 الراديوم وهذه الصورة تمثل احد هذه الاجهزة الضخمة

المقتطف

الجزء الثاني من المجلد الخامس والتسعين

١٣ جادى الاول سنة ١٣٥٨

١ يوليو سنة ١٩٣٩

« زحف الهليوم »

ظاهرة غريبة في الهليوم السائل

في صيف سنة ١٩٠٨ اذاع العالم الهولندي الاستاذ اونس Onnes انه فاز بإسالة غاز الهليوم فكان لإذاعته شأن كبير في دوائر العلم العالمية ، وتعدتها العناية بالموضوع الى دوائر الصحف الكبيرة فنشرت جريدة التيمس بلندن مقالا فيه ملأ بضعة اعمدة ولا تفهم هذه العناية بعمل علمي محض من هذا القليل ، الا اذا تذكرنا ان الباحث الاسكتلزي المشهور فراداي تمكن في الجانب الاول من القرن التاسع عشر ، من تحويل عنصر الكلور وهو غاز عادة ، الى سائل . وكان رأي فراداي الذي هداه الى هذا ، ان الغاز والبخار يشابهان في كثير من خواصهما متى كانت درجة حرارة البخار أعلى كثيراً من درجة تكثفه وتحوله سائلاً . واذن فمن المعقول ان ننظر الى غاز - كالهواء او كالكلور - على انه بخار مرتفع الحرارة بالقياس الى حرارة تكثفه ولو كانت حرارته الفعلية لا تزيد على حرارة الحجرة التي يكون فيها . ثم ان البخار يُسَال بالضغط ، أفلا يتحول الغاز سائلاً بالضغط كذلك ؟ فخرى فراداي على هذه الحطة فأسال الغازات المعروفة حينئذ الا غازات الاكسجين والاييدروجين والنيتروجين وبضعة غازات اخرى

وعجز فراداي عن إسالة هذه الغازات كان له شأن علمي . ذلك ان معجزه وعجزه من تبعه عن إسالتها حملهم على وصفها بأنها «غازات دائمة» . وانقضى نصف قرن قبل ان أُسِيل الاوكسجين

وعنّا بعده التروجين والايديروجين لاساليب العلماء . وسبب عجز فراداي عن إسالة هذه الغازات ، أنه كان يجهل ان الضغط وحده لا يكفي لاسالة الغازات ، بل يجب ان يقرن الضغط بخفض درجة الحرارة

وما أهل القرن العشرون حتى كانت جميع الغازات قد أسيلت - اذا استئينا الهليوم . وعندما اخفقت جميع مساعي العلماء لاسالته قيل إنها متعذرة . فأطلق عليه اسم (الغاز النبيل) تمييزاً له . فلما جاء نبأ إسالته على يدي الباحثة اونس الهولندي سنة ١٩٠٨ كان الاهتمام بذلك النبأ عظيماً الاكسجين يسيل عند الدرجة ١٨٠ مئوية تحت الصفر إذا كان الضغط ضغط الهواء العادي . ودرجة إسالة الايديروجين ٢٥٣ درجة مئوية تحت الصفر . والهليوم ٢٦٩ درجة مئوية تحت الصفر . ولكن الطبيعة على ما يلوح تضع حداً لا يستطيع العلماء ان يتعدوه في درجة البرد الشديد وهذا الحد يعرف بدرجة الصفر المطلق وهي ٢٧٣ درجة مئوية تحت الصفر . فهناك ادلة وافية عند العلماء على انه من المتعذر ان تهبط حرارة جسم تحت درجة الصفر المطلق (اي ٢٧٣ درجة مئوية تحت الصفر) . ومما يستوقف النظر قرب درجة اسالة الهليوم (٢٦٩ تحت الصفر) من درجة الصفر المطلق . بل ان البحث الحديث اقرب بدرجة البرد الى الصفر المطلق حتى صارت على جزء من الف جزء من الدرجة منه

والهليوم السائل مادة مألوفة في معامل البحث العلمي مع ان المختبرات المجيزة لصنع مقادير وافية منه قليلة لا تزيد على خمسة اوستة . والشأن العلمي العظيم الذي يعلقه العلماء بهليوم السائل ناشى عن تمكنهم من الهبوط به الى درجة قريبة جداً من الصفر المطلق ، لأن المادة عند ما تبلغ هذه الدرجة من البرد تبدو عليها مظاهر تحول كبير في خواصها عند ما يتحدث العلماء عن درجات البرد الشديد يعتمد على مقياس للحرارة والبرد غير المقياس المئوي اختصاراً وتسهلاً . ويسندون هذا المقياس الى العلامة كلفن الانكليزي ويكتفون بحرف K بعد الرقم للدلالة عليه . اساس هذا المقياس ان الصفر المطلق هو نقطة البدء . فالدرجة الاولى (1K او ١ - ك) هي درجة البرد التي فوق الصفر المطلق وهي تعدل بالمقياس المئوي ٢٧٣ تحت درجة الصفر اي درجة الجهد . فاذا اردنا ان نحول القول بان غاز الهليوم يسيل عند الدرجة ٢٦٩ مئوية تحت الصفر ، الى مقياس كلفن ، قلنا ان غاز الهليوم يسيل عند الدرجة ٤ ك . واذا كانت درجة غليان الماء ١٠٠ بالمقياس المئوي فانها ٣٧٣ بمقياس كلفن لأن هذه الدرجة هي مائة درجة فوق الصفر و ٢٧٣ درجة بين الصفر والصفر المطلق

على اساس هذا المقياس كل شيء ما عدا الهليوم يتجمد اذا هبطت درجة برده دون الدرجة ٤ ك . الايديروجين يسيل عند الدرجة ١٤ ك ويغلي عند الدرجة ٢٠ ك . والهواء السائل يتجمد عند الدرجة ٥٥ ك ويغلي عند الدرجة ٩١ ك

هذه المواد على شدة بردها تعد دافئة بالقياس الى الهليوم السائل . فهو يغلي غلياناً اذا كان الضغط عادياً والحرارة ٢ ر ٤ ك . فاذا أسرع الغليان بازالة البخار المتجمع فوق سطح السائل هبطت حرارة السائل رويداً رويداً . فاذا بلغت الدرجة ١٩ ر ٢ ك رأيت السائل وقد توقف فجأة عن الغليان . أو في الحقيقة انه يستمر في غليانه ولكن لا يبدو عليه انه يغلي أي ان السائل نفسه يستكن . وهذه المشاهدة تؤيد مشاهدات أخرى مؤداها أن الدرجة ١٩ ر ٢ ك هي مرحلة انقلاب في طبيعة الهليوم من صنف يدعى (هليوم ١) الى صنف آخر يدعى (هليوم ٢) والهليوم السائل ذو خواص غريبة . فوعاء من الماء زين رطلين لا زين من الهليوم السائل الا خمس اواق أي $\frac{3}{4}$ من وزن الماء . ثم ان الهليوم ٢ اشد ايصالاً للحرارة من الهليوم ١ بل هو اشد ايصالاً للحرارة من الفضة عشرة آلاف ضعف . وظن الباحث الروسي كابتزا ان سبب ذلك شدة سيولة (fluidity) الهليوم ٢ فأراد ان يمتحن الرأي وان يعين مدى هذه السيولة لم تكن الاساليب المستعملة لقياس السيولة مما يصلح لقياس سيولة سائل درجة برده ٢ ك أي ٢٧١ تحت الصفر . فاستتب لذلك طريقة خاصة . أخذ الأنبوب (ا) ولصق بطرفه الاسفل لوح زجاج (ب) وثقب في اللوح ثقباً مقابلاً لطرف الأنبوب ، ووضع تحت اللوح (ب) لوح زجاج آخر (ت) وصنع جهازاً يمكنه من تغيير المسافة بين اللوح (ب) واللوح (ت) وفقاً لرغبته . وكان السطحان المتواجهان في اللوحين (ب) و (ت) مستويين تماماً يوصف استواءهما بأنه استواء ضوئي اي أن الضوء ينعكس من جميع اجزاء السطح انعكاساً واحداً . ثم جعل المسافة بين اللوحين $\frac{1}{4}$ من البوصة ، وبعد ذلك اسقط الجهاز كله في حوض فيه هليوم ٢ فابلث مستوى الهليوم السائل في الحوض حتى عادل مستواه داخل الأنبوب

هنا بدأت التجربة . رفع الجهاز فجأة رفعاً سريعاً بحيث كان مستوى السائل داخل الأنبوب اعلى منه في الحوض هنيهة . وكان من المنتظر طبعاً أن يهبط المستوى داخل الأنبوب بخروج السائل من الثقب حتى يستوي السطحان داخل الأنبوب وخارجه ولكن هذا الهبوط كان أسرع مما كان متوقعاً . وفي تجربة أخرى ألصق اللوحان (ب) و (ت) إصفاً دقيقاً بعد رفع الأنبوب . وهذا الالتصاق من شأنه ان يحول دون تسرب السائل من الأنبوب الى الحوض . لانه يسد ثقب الأنبوب الذي في اللوح (ب) وعليه فمن المتوقع ان يبقى مستوى السائل داخل الأنبوب اعلى منه خارجه

ولكن الذي وقع فعلاً كان ضد ما هو متوقع . ذلك ان مستوى السائل في الأنبوب هبط فما انقضت ثوان حتى تساوى السطحان في داخل الأنبوب وخارجه . إذن نحن أمام سائل غريب يستطيع ان يتسرب بسرعة من خلال شق لا يزيد على جزء من ألف جزء من كثافة

ورقة رقيقة . ليس في تاريخ علم الطبيعة سائل متصف بمثل هذه السيولة . وبعد ما عمل الحساب وجد ان الهليوم ٢ أشد سيولة وانسياباً من غاز الايدروجين . أمر لا يكاد يصدق . فما هي الحقيقة ؟ كانت الخطوة التالية هي الخطوة الطبيعية لمن يتنبه لها . ذلك انه اذا كان الهليوم ٢ يتسرب من خلال شق ضيق جداً فهل يستطيع ان يتسرب من خلال المادة حيث لا يوجد شق ؟ ما هنا حوض فيه هليوم ٢ . سطحه مستو شفاف . خذ كوباً ارتفاعه اربع بوصات وغطسه في السائل ، بحيث يكون قعره الى تحت ، مسافة بوصة واحدة ، أي ان حافته العليا تبقى ثلاث بوصات فوق سطح السائل الهليومي . والمفروض في زجاج الكوب انه خالٍ من الشقوق والشعب . فاذا يحدث ؟ يأخذ السائل يتجمع في قعر الكوب حتى يصبح مستواً داخله معادلاً لمستواه في الخارج . كيف دخل السائل الى الكوب ؟ هل نفذ من خلال بلورات الزجاج ؟ لقد اثبتت التجارب ان هذا السائل الهليومي الغريب « زحف » Creep على جدار الكوب من الخارج متسلقاً الى الحافة ثم زحف زوايا حيث يجمع حتى بلغ مستوى السائل داخل الكوب مثله خارجاً . أي إننا أمام سائل يسيل ضد اتجاه الجاذبية من تلقاء نفسه ، وهذا ما لم يسمع به من قبل ثم اجريت تجارب اخرى في معاهد اخرى ولا سيما في مختبر جامعة تورنتو الكندية فظهر ان سيولة الهليوم ، ليست في المنزلة التي عيناها كابتزا — عندما قال انها اقل من غاز الايدروجين عشرة الآف ضعف — ولكنها مثل غاز الايدروجين . ومع ذلك فانها حملت علماء الطبيعة على مواجهة مشكلة دقيقة ما زالوا يتخبطون في ظلامها . ومن الآراء المقترحة لتفسير ذلك حسابان الهليوم ٢ متوسطاً بين الغاز والسائل . ولا يخفى ان الجزئيات في الغاز مستقلة احدها عن الآخر بوجه عام . ولا يجد من حركتها الا حرارتها وجدار الوعاء الذي يكون فيه ، كجدار الاسطوانة التي يوضع فيها الأكسجين مثلاً وتستعمل في اغانة بعض المرضى . ولكن افتح صمام الاسطوانة يندفع الغاز الى الخارج . وأما الجزئيات في سائل ما فتعافظ على الابعاد بينها بوجه عام ، فكأنها مربوطة بعضها ببعض بأواصر لا تمعد . فانك اذا فتحت زجاجة تحتوي على دواء سائل فالسائل لا يندفع الى الحجرة كما يندفع الأكسجين من الاسطوانة . اما الهليوم ٢ فهو سائل ، واذن فجزئياته يجب ان تكون مرتبطة بعضها ببعض بأواصر لا تمعد . ولكنه في الوقت نفسه بلغ درجة من السيولة ان جزئياته تتصرف كأنها جزئيات غاز

هذه هي المسألة التي يواجهها علماء الطبيعة في حالة الهليوم ٢ . ما طبيعة الاواصر التي تربط بين جزئياته ؟ المفروض طبعاً انها قوة كهربائية . فهل علماء الطبيعة النظرية سالكون الطريق القويم الى فهم هذه المسألة ؟ اذا كانوا حقاً عليه وتمكنوا بعد البحث والامتحان من فهم هذه القوى الكهربائية وطريقة تصرفها ، كشفوا كشافاً خطير الشأن في اسرار القوة الجزيئية

اصلاح التقويم

ومزايا « التقويم العالمي » المقترح

للكنور ستيفوارت ضد (١)

استاذ علم الاجتماع بجامعة بيروت الاميركية



من المحتمل ان يطلب الى المجالس النيابية في البلدان العربية ان تقرّر هل توي ابرام الاتفاق الدولي الخاص بتقويم عالمي ، وهو اتفاق يحلّ تقويمياً دائماً علمياً محل التقاويم المتنوعة المعتمدة الآن لقياس الزمان

وما لاريب فيه ان هذا التغيير المقترح في عاداتنا وطرق تفكيرنا المألوفة سيلاقي مقاومة مهما يكن الاصلاح الذي ينطوي عليه معقولاً. وما علينا الا ان تذكر المقاييس المختلفة من بوصة وقدم وذراع ودونم وفدان وأوقية وأفة ومد وغيرها من المقاييس والموازين والمكاييل التي ما فتئت مستعملة في شتى البلدان، على الرغم من ان النظام العشري المتفوق عليها أتيح للناس منذ قرن ونصف قرن من الزمان. اتنا نبسّم ابتسامة فيها مزيج من السخرية والتسامح عند ما نفكر في اعداد ونقود القبائل الافريقية القائمة على أساس الرقم ٧. فاذا قيل لنا ان سبع موزات تعدل بطيخة وسبع بطيخات تعدل فرخاً وسبعة افراخ تساوي خنزيراً وسبعة خنازير تعادل ثوراً وسبعة ثيران تعادل زوجة وسبع زوجات تعدل جندياً ، ضحكنا لأننا نجد في هذا النظام من العد والحساب تفقيداً وحيرة ، وتزداد حيرتنا اذا سألنا سائل أو معلم أن نحسب له حاصل ضرب ثلاثة جنود وثورين وخنزير بثلاث زوجات وموزة ! والواقع ان كثيراً من وحدات الطول والوزن والحجم التي نستعملها أقل انتظاماً وبساطة من هذا النظام السبعي المعقد

ان المجتمع البشري نسي المقاومة الشديدة التي قوبل بها النظام العشري عند بدء استعماله في اوربا من نحو الف سنة عند ماحمله العرب الى الغرب . ومن هنا نجد ان الارقام التي ندعوها بالعربية « الارقام الهندية » تعرف في اوربا « بالارقام العربية » . كان اختراع الصفر في حسابان اهل الغرب عملاً من اعمال الشيطان اذ كيف يعقل ان يدوّن رجلٌ حافل مالك لقواه الذهنية

(١) المقتطف: ترجمة محاضرة بالانكليزية للدكتور ستيفوارت ضد اقيمت في حفل من الفضلاء والعلماء في بيروت

ولا ريب في ان النظام العشري راسخ الاصل في اجتماعنا الحالي، وعلى المصلح ان يحكم قبل اقدامه على اصلاحه، هل النظام المقترح يفوق النظام القائم كثيراً بحيث يجوز ان تسكب الجماعة في سبيله التعب والاختلاط الذين ينشأان عن التغيير؟ ومن المحتمل ان مدى تفوق النظام الاثني عشري على النظام العشري لا يسوِّغ الجهد والمال اللذين لا بدَّ من بذلها لاعادة طبع كل ما يحتوي أرقاماً وتعليم الناس قراءة الارقام الجديدة وفهمها

هذا المبدأ، مبدأ الموازنة بين الفائدة المرجوة من اصلاح ما، والبذل المعنوي والمادي اللازم للفوز بتحقيق هذا الاصلاح، يتجلى خاصة في دراسة «اصلاح التقويم» لأن كل نظام مقترح من نظم التوقيت لا بدَّ ان يلتقي صعباً سببها ان وحدات التوقيت هي الفترات بين الحوادث الفلكية التي تعين اليوم والشهر والسنة، وهذه الوحدات ليس بعضها اضعاف بعض. ولذلك من المتعذر ان نستعمل نظاماً عشرياً أساساً للتقويم. فلنلق نظرة على وحدات التوقيت واحدة واحدة وحدة التوقيت الأساسية هي اليوم الكامل — نهار وليل — الناشيء عن دورة كاملة للأرض حول محورها. هذه الفترة قسمت تحكماً الى اربع وعشرين ساعة كل منها ستون دقيقة وكل دقيقة ستون ثانية (لاحظ اثر النظام الاثني عشري هنا). وفي الوسع ان تقسم النهار الى عشر ساعات وكل ساعة الى عشرة اقسام أخرى (فيكون عشر الساعة معادلاً لـ ١٤٤ دقيقة من دقائقنا) وكل عشر ساعة الى عشر دقائق (فتكون كل دقيقة جديدة معادلة لـ ١٤٤ من دقائقنا الآن، ثم تقسم كل دقيقة (من الدقائق الجديدة) الى عشرة اقسام كل منها عشر ثوانٍ) وتكون كل ثانية بحسب النظام الجديدة معادلة الخمسة اسداس ثانيتها الآن

عندئذ تكون الثانية جزءاً من مائة الف جزء من اليوم (.....) اي أن اليوم الكامل من الظهر الى الظهر يحتوي على الف دقيقة في كل منها مائة ثانية

وفي الوسع ان نشق حينئذ وحدات صغيرة للتوقيت منها وحدة تكون جزءاً من الف جزء من الدقيقة (اي جزء من مليون جزء من اليوم) فتستعمل في توقيت العدائين والحياد في حلبات السباق وكذلك في قياس سرعة التصوير بالصورة الضوئية. هذه الوحدة تعادل فترة من الزمن اقل قليلاً من عشر الثانية التي تدوّن في ساعات السباق الآن

ولكن النظام المتبع الآن في تقسيم اليوم واف بالغرض وليس ثمة ما يدعو الى تعديله او تبديله

ولكن اضعاف اليوم سبب ضيق وانزعاج. فنحن امام فترتين فلكيتين، لا موافقة بينهما ولا موافقة بين احدهما من ناحية وبين اليوم من ناحية أخرى. الاولى هي الشهر القمري يحدده دوران القمر دورة كاملة حول الارض وهي تستغرق ٥، ٢٩ اليوم تقريباً. والثانية

السنة الشمسية يحددها دوران الارض دورة كاملة حول الشمس وهي تستغرق ٣٦٥٢٤٢٢ يوم . ولا يخفى ان « سنة » كل سيار من السيارات الاخرى تختلف من عطارده الذي يدور حول الشمس في نحو ٨٨ يوماً من ايامنا الى نبتون الذي يدور حول الشمس في نحو ١٦٤ سنة من سيننا

أخذ الناس اولاً بالشهر القمري لأن زيادته واكتماله ونقصانه مما تسهل مشاهدته ولما بدا من اثره في المدّ والجزر والحيض والزراعة . ولكن مجموع ايام اثني عشر شهراً قريباً تنقص ١١ ١/٤ اليوم عن السنة الشمسية ، واذن فالتقويم القمري يتراجع عن التقويم الشمسي . وشهر رمضان الكريم يدور على مرّ السنين متقلّلاً بين الشهور الشمسية من الصيف الى الربيع الى الشتاء الى الخريف ثم يعود في الصيف وذلك في خلال فترة طولها ٣٢ سنة ونصف سنة . اما الشهور الشمسية فتقع في نفس المكان كل سنة ، فديسمبر ويناير في فصل الشتاء وابريل ومايو في الربيع وهكذا ودورة البرد والحرّ ، والزرع والحصاد ، جعلت السنة الشمسية أهم وحدة من وحدات التوقيت التي تزيد على اليوم . ولكن لكي تنتظم وحدة الايام في السنة الشمسية يجب ان تجعل السنة ٣٦٥ يوماً وان يضاف يوم الى السنة كل سنة رابعة (وهي التي تعرف بالسنة الكبيس) وان يدخل عليها تصحيحات أخرى سنشير اليها عند البحث في التقويم الجريجوري « والتقويم العالمي » المقترح

وكأن مشقة تنظيم اليوم والشهر والسنة في التقويم لا تكفي ، فيجب ان يعمل حساب كذلك للاسبوع . ويلوح ان سبعة ايام الاسبوع اقرت أولاً في مصر القديمة عند ما كانت السيارات المعروفة حينئذ سبعة سيارات . ثم أخذت به اليهودية والمسيحية والاسلام وغداً أساساً لتقسيم ايام العمل في السنة فستة ايام للعمل واليوم السابع للراحة . وقد جربت روسيا تجربة جعل الاسبوع ستة ايام ومما حملها على ذلك باعث ديني وهو قصدها ان تتدخل في عبادة يوم الاحد وايام الاعياد الدينية لان السوفيت يعتقدون انها خرافات ويجب ان تلغى . والتقويم متصل عادة أوثق الصلة بالشعائر الدينية والمعتقدات ، ولذلك كان تغيير التقويم غير مرة في الماضي لاحداث تبديل في المؤثرات الدينية . واسماء الايام تدل على علاقات دينية فيوم الاحد بالانكليزية Sunday كان يوم « اله الشمس » والاثنين مندي Monday يوم اله القمر وهكذا

وقد جربوا كذلك ان يحدفوا من سجل الايام يوم الراحة الاسبوعية . ففي اثناء الحرب الكبرى مثلاً جربوا هذا النظام رغبة في زيادة الانتاج في مصانع الذخيرة . ولكن العمل سبعة ايام متوالية افضى الى اعياء كان من شأنه ان انقص الانتاج الاسبوعي . ذلك بأن الناس ينتجون في بضعة ساعات من العمل فتخلها فترات من الراحة اكبر مما ينتجون في عدد اكبر من الساعات بغير ان

تخلها الراحة . وهذا يعني ان الاسبوع ، وهو فترة زمنية غير مبنية على حوادث فلكية ، اصبح راسخ الاصل في حضارتنا الحديثة . واذن يجب ان نبحت عن اسلوب يمكننا من ان تنظم الاسبوع في سلك التقويم مع الشهور والسنين ، على الرغم من انه لا يقسم ايام الشهر القمري (هي ٢٩ ر ٥) ولا ايام السنة الشمسية (٢٤٢٢ ر ٣٦٥) قسمة صحيحة

ابتدعت تقاويم كثيرة لحل هذه المشكلات . فالتقويم الجريجوري المتبع على الغالب في العالم الآن ، يرتد في اصله الى التقويم المصري الذي صنع من نحو ستة آلاف سنة . وقد نقحه يوليوس قيصر في سنة ٤٦ ق . م . وعرف التقويم بالنسبة اليه اي « اليولياني » . وبه قسمت السنة الشمسية الى اثني عشر شهراً قوام كل منها ٣٠ يوماً او ٣١ يوماً الا شهر فبراير فكان عدد ايامه ٢٩ يوماً في كل سنة عادية و ٣٠ يوماً في كل سنة كبيس . وتلاه اغسطس فأثار حسده ان شهر يوليو سمي كذلك نسبة الى يوليوس قيصر وان ايامه تزيد يوماً واحداً عن ايام شهر اغسطس المسمى نسبة اليه ، فأمر باضافة يوم الى شهر اغسطس ، فأخذ من شهر فبراير المسكين . وكذلك غدت شهورنا تفاوت اياماً بين ٢٨ و ٢٩ (لفربراير) و ٣٠ و ٣١ لسائر الاشهر

والواقع ان السنة اليوليانية المؤلفة من ٣٦٥ يوماً وربع يوم اطول من السنة الشمسية الصحيحة باحدى عشرة دقيقة وثمانى واربعين ثانية . ومجموع هذه الفروق يبلغ يوماً كاملاً في ١٢٨ سنة . فلما نظر البابا جريجوريوس الثالث عشر في الموضوع في سنة ١٥٨٢ ق . م . تبين ان التقويم اليولياني سبق السنة الشمسية بعشرة ايام فصحح التقويم اليولياني بجعل ١٥ اكتوبر يوم ١ اكتوبر من تلك السنة . ومن هنا منشأ التقويم الجريجوري المعتمد الآن . وقد اغضب عمل البابا هذا بعض الناس لزمهم ان حياتهم قصرت عشرة ايام نتيجة لفعله . وحدث شغب في لندن وجعل الناس يصيحون مطالبين برد الايام العشرة المسروقة من حياتهم

ولم يكنف البابا بتصحيح الفرق المجتمع بين التقويم اليولياني والسنة الشمسية الصحيحة كما تقاس بين الاعتدالين ، بل وضع قاعدة تحول دون مجمع هذا الخطأ مرة اخرى ف قضى بأن يحذف يوم السنة الكبيس في السنة الاولى من كل قرن على ان يضاف في كل قرن رابع ف سنة ١٩٠٠ سنة كبيس بحكم القاعدة المعروفة وهي قسمتها على ٤ ولكن شهر فبراير في تلك السنة كان ٢٨ يوماً فقط تقيداً للقاعدة التي وضعها البابا جريجوريوس ولكن في السنة ٢٠٠٠ يكون فبراير ٢٩ يوماً لان السنة ٢٠٠٠ تقسم على ٤٠٠ اي ان كل قرن رابع تكون سنته الاولى سنة كبيس

هذا الاصلاح جعل سنة التقويم على ٢٦ ثمانية فقط من طول السنة الشمسية الحقيقي ، وهذه الثواني تتجمع فلا تبلغ مدى يوم واحد الا في ٤٠٠٠ سنة ويمكن اصلاح هذا الخطأ بحذف يوم سنة الكيس في السنة ٤٠٠٠ ب.م. والسنة ٨٠٠٠ ب.م. والسنة ١٢٠٠٠ ب.م. الخ وبذلك يكون تقويمنا صحيحاً الى مدى مليون سنة—وماذا يهنا الآن بعد ذلك . فالقاعدة اذا في اصلاح الخطأ المتجمع ، من الفرق بين طول السنة الشمسية وسنة التقويم هي إضافة يوم كل اربع سنوات ، ثم حذفه مرة كل ١٠٠ سنة ثم اضافته ثانية مرة كل ٤٠٠ سنة ثم حذفه مرة كل ٤٠٠٠ سنة ولا تزال كنيسة الروم الارثوذكس تأخذ بالتقويم اليولياني ، وقد بلغ مبلغ الخطأ فيه الآن ١٣ يوماً وهذا يفسر الفرق بين يوم الاحتفال بعيد الميلاد في الكنيسة الغربية والكنيسة الشرقية وللتمثيل على خصائص هذا الشذوذ في التقويم يروى عن طفل ولد في يوم ٢٩ فبراير سنة ١٨٩٦ (وكانت بحكم الطبع سنة كيس) ولذلك كان من المتعذر عليه او على اهله الاحتفال بعيد ميلاده الا مرة كل اربع سنوات . ولكن سنة ١٩٠٠ لم تكن سنة كيس وفقاً لقاعدة البابا جريجوريوس فاضطراً ان ينتظر ثمانى سنوات اي الى سنة ١٩٠٤ للاحتفال الاول بعيد ميلاده فلما قرب ذلك اليوم ، كان مع اهله المسافرين عبر المحيط الهادىء ، وفي اجتياز هذا المحيط من الشرق الى الغرب يحذف يوم كامل عند تحطى خط معين . ولسوء حظ الفتى اجتازت السفينة ذلك الخط في يوم كان يجب ان يكون ٢٩ فبراير فحذف من حياته . فانتظر حتى سنة ١٩٠٨ عندما كان عمره اثنتي عشرة سنة لكي يحتفل اول احتفال بعيد ميلاده . ولكن في تلك السنة ، وذلك الشهر كان اهله يجتازون روسيا وروسيا ما تزال تأخذ بالتقويم اليولياني ، والمانيا جارها بالتقويم الجريجوري ، والفرق بين التقويمين ١٣ يوماً فسبق يوم ميلاده في روسيا وتأخر عنه وهو في المانيا ، وكذلك انتظر حتى بلغ السادسة عشرة قبل ان احتفل اول احتفال بعيد ميلاده

وعيد الفصح المسيحي مثل آخر على عدم الاستقرار في حوادث التقويم . فقد وضعت له قواعد رياضية معقدة لكي يقع دائماً في يوم احد (في الدورة الاسبوعية) بعد اول بدر (في الدورة القمرية) بعد الاعتدال الربيعي في ٢١ مارس (الدورة الشمسية) ولما كانت هذه الدورات الزمنية غير متوافقة فميعاد عيد الفصح يختلف باختلاف السنين من ٢٢ مارس الى ٢٥ ابريل وقد تمكن التقويم الجريجوري ، بالقاعدة التي تقدم ذكرها ، من الموافقة بين الايام والسنين الشمسية ، ولكنه لم يوافق بين الاشهر والاسابيع . فالشهور تختلف طولاً في السنة الواحدة . وأيام العمل في شهر ما يختلف عددها في سنة ما ، عن ايام العمل في نفس الشهر في

سنة اخرى لأن الشهر في سنة ما قد يحتوي على خمسة آحاد ولا يحتوي في اخرى تالية الاً على اربعة

وكذلك يتعذر على الهيئات الحكومية والتجارية ان توازن موازنة دقيقة بين الشهور لانها تختلف طولاً . وارتقاء العلم والحضارة يقتضي منا امعناً في الدقة في قياس الفترات الزمنية شأنها في قياس غير الفترات الزمنية من الظاهرات . ثم ان التقويم يختلف كل سنة من حيث وقوع الايام . فأيام الشهر لا تقع في نفس ايام الاسبوع في سنوات متعاقبة . وأيام الاعياد التي تعين بتاريخ الشهر لا تقع في نفس اليوم من الاسبوع في سنتين متعاقبتين . ولذلك نحتاج الى تقويم جديد لكل سنة . واعداد المعدات للمستقبل يقتضي مراجعة التقويم الخاص بالسنة التي انت فيها ، لمعرفة اي يوم من ايام الاسبوع يوافق تاريخاً معيناً من تواريخ شهر معين . وكثير من الناس يود أن يعرف هل يوم عيد معين يقع قبل عطلة آخر الاسبوع مباشرة او هو واقع في منتصف الاسبوع فالحاجة اذاً ماسة الى تقويم مترن منظم دائماً لا يتغير من سنة الى اخرى

وقد اقترحت مقترحات متعددة لتحقيق هذا الغرض منها جعل شهور السنة عشرة شهور احدها ٣٦ يوماً فليبه آخر ايامه ٣٧ يوماً فثالث ايامه ٣٦ يوماً وهكذا . ولكن هذا التقسيم لا يتفق والدورة الاسبوعية اي دورة سبعة ايام في الاسبوع واذا جعل الاسبوع عشرة ايام ، واسابيع الشهر ثلاثة ، وشهور السنة اثني عشر ، كان لنا تقسيم منظم ولكنه يترك خمسة ايام لا ندري ما نفعل بها في السنين العادية . واقترح كذلك ان تكون السنة ١٣ شهراً كل منها ٢٨ يوماً فيكون قوام الشهر اربعة اسابيع كل منها سبعة ايام . ولهذا الرأي انصاراً لأنه ينظم الاسبوع في التقويم على وجه مقبول . اي إن ايام الاسبوع تكون دائماً هي من حيث موقعها في ايام الشهر . وهذا الاقتراح ينظم ٣٦٤ يوماً في التقويم (لان $١٣ \times ٢٨ = ٣٦٤$) فيبقى لدينا يوم واحد من ايام السنة العادية وهي ٣٦٥

ولكن الثلاثة عشر شهراً لا تسهل قسمتها الى نصفين ، وأربعة أرباع وجميع هذه المقترحات تقتضي بذلاً ذهنياً كبيراً من الناس ومشقة لانها تخالف العادات المربية وأساليب التفكير الراسخة

الا ان التقويم الذي يحقق لنا الا تنظيم الدائم مقترناً بأقل قدر من الخروج على العادات القائمة هو « التقويم العالمي » المقترح الآن

هذا التقويم يحفظ باثني عشر شهراً في السنة فقسمة اربعة ارباع كل ربع منها ثلاثة أشهر والشهر الاول في كل ربع تكون ايامه ٣١ يوماً والشهران الباقيان تكون ايام كل منهما ٣٠ يوماً

واذن فأيام كل ربع تكون ٩١ يوماً، او ١٣ أسبوعاً تماماً . فاذا أخذ بهذا التقويم في سنة يقع فيها أول يناير في يوم أحد كان كل شهر من الشهور الاربعة التي أيامها ٣١ يوماً منظوياً على خمسة آحاد، وكل من الاشهر الباقية على اربعة آحاد

وهذا يعني ان كل شهر من الشهور الاثني عشر يحوي ٢٦ يوم عمل تماماً، وبذلك تصبح الموازنة بين الاعمال والحسابات في اشهر متقابلة من سنوات مختلفة امرأ سهلاً، ولكن مجموع أيام الشهور ٣٦٤ يوماً ولذلك اقترح ان يكون اليوم الباقي عيداً يدعى «يوم السنة» ويقع بين يوم السبت ٣٠ ديسمبر ويوم الاحد أول يناير، وهو ليس يوماً من أيام الاسبوع فلا يدعى باسم معين ولذلك يشار اليه بأنه يوم ٣١ ديسمبر. ثم عندنا يوم إضافي آخر كل سنة رابعة — وهو يوم السنة الكيس — يضاف على نسق يوم السنة بين سبت ٣٠ يونيو واول اول يوليو ويجعل عطلة ويعرف «باليوم الكيس»

بهذا الاختراع البديع، اختراع زجّ «يوم السنة» بين ٣٠ ديسمبر وأول يناير يصبح التقويم دائماً . فاذا اخذنا بهذا التقويم كان من اثره وقوع تاريخ كل يوم من أيام الشهر في أيام معينة من الاسبوع دون غيرها سنة بعد أخرى الى ما شاء الله . اي اذا كان يوم الأحد هو أول يونيو فسيقع أول يونيو من كل سنة في يوم الاحد

هذا التقويم ينظم أيام الشهور بين ٣١ و ٣٠ يوماً وهو اقرب تقريـب الى أيام الشهر القمري وهي ٢٩ يوماً ونصف ثم انه متفق مع عادة الجري على التقسيم الاسبوعي وجعل الاسبوع سبعة أيام، وجعل ربع السنة ١٣ اسبوعاً وعدد اسابيع السنة ٥٢ اسبوعاً وهذا التقويم اقل التقاويم المقترحة هدماً للعرف والتقاليد التي جرينا عليها . فالتغير في عدد أيام الشهور يسير، فهو يجعل شهر فبراير ٣٠ يوماً بانتظام، ويجعل أيام الاشهر ٣٠ أو ٣١ يوماً وفقاً لقاعدة سهلة ويمتنع عن دعوة (يوم السنة) ٣١ ديسمبر لعدم دخوله في التقويم، وعن دعوة (اليوم الكيس) ٣١ يونيو من كل سنة رابعة باي اسم من اسماء أيام الاسبوع

التقسيم بحسب التقويم العالمي

الربع الاول	٣١	٣٠	٣٠ = ٩١ يوماً	١٣ اسبوعاً
الربع الثاني	٣١	٣٠	٣٠ = ٩١ يوماً	١٣ اسبوعاً
الربع الثالث	٣١	٣٠	٣٠ = ٩١ يوماً	١٣ اسبوعاً
الربع الرابع	٣١	٣٠	٣٠ = ٩١ يوماً	١٣ اسبوعاً
			٣٦٤ يوماً	٥٢ اسبوعاً

ويضاف يوم السنة بعد ٣٠ ديسمبر فتصبح ايام السنة ٣٦٥
ويضاف اليوم الكيس بعد ٣٠ يونيو كل سنة رابعة فتكون ايامها ٣٦٦

وتاريخ الحركة في سبيل اصلاح التقويم يرتد الى تعيين لجنة في سنة ١٩٢٣ من قبل عصبة الامم
لدراسة الموضوع . وفي سنة ١٩٣١ ارسلت اربع واربعون دولة وفوداً رسمية لحضور مؤتمر اصلاح
التقويم . واقرحت شيلي مشروع اتفاق للاخذ بالتقويم العالمي بمقتضى معاهدة دولية ابتداءً من
سنة ١٩٣٩ وقد أبرم مجلس العصبة هذا الاتفاق في يناير ١٩٣٧ . ولكن الدول لم تسر في ابرامها
له بسرعة وافية فكان من المتعذر البدء في تنفيذه هذه السنة . ولذلك لا بد من الانتظار الى
سنة ١٩٤٦ عندما يقع اول يناير في يوم أحد . والغرض الذي يتجه اليه القائمون بهذه الحركة هو
السعي الى حمل الدول على اقراره والبدء في تنفيذه سنة ١٩٤٦

ومما يدل على العناية بهذا التقويم واتساع نطاق الموافقة عليه ان ٢٤ امة عينت لجناً برلمانية
لدراسة اصلاح التقويم ، والتقويم العالمي مفضل على الغالب عندها . ثم ان أقطاب انكلترا وفرنسا
وألمانيا والولايات المتحدة الاميركية واليابان وغيرها أعزبوا مباشرة او مداورة عن موافقة
حكوماتهم على التقويم العالمي . وقد وافق عليه كذلك مكتب العمل بجنيف والغرف التجارية في
الولايات المتحدة وبريطانيا وكذلك الغرفة التجارية الدولية

اما الهيئات العلمية فقد اصدرت قرارات بالموافقة عليه وفي مقدمتها مجمع تقدم العلوم الاميركي
واكاديمية العلوم والفنون الاميركية . وهناك هيئات دينية كثيرة وافقت عليه كذلك منها الكنيسة
الشرقية (الروم الارثوذكس) والانجليكانية ومجلس اتحاد الكنائس وهو يمثل البروتستانت
والكاثوليك واليهود في الولايات المتحدة الاميركية . ومن المحتمل ان توافق عليه الكنيسة
الكاثوليكية ايضاً لانها تدرسه دراسة مشبعة بالعطف ومن المعروف عنها انها شديدة الرغبة في
اصلاح التقويم واقرار تاريخ عيد الفصح

ورغبة في تنوير الرأي الدولي العام في موضوع التقويم وفوائد اصلاحه وتنظيمه على أساس
دائم تصدر مجلة ربعية تدعى مجلة اصلاح التقويم^(١) واعداها حافلة بمباحث دقيقة تتضمن كل ما يتعلق
بالاساليب التي ابتدعها الانسان لقياس الزمان

مسائل الفن

(١) والجمال في العصر الحديث

الفيلسوف الفرنسي « غيو Guau »

مقدمة

يريد العلم — في عهدنا هذا — ان يهيمن على المنازل العقلية ولقد كانت الانسانية حتى الآن تعتمد في حياتها على ثلاثة أشياء: الدين والاخلاق والفن . أما العلم فقد عدل مسائل الدين وهو يحول الآن قواعد الاخلاق . ولا يمكن ان يبقى مقيداً أمام الفن الذي هو آخر معقل « للستيمالسم » والعاطفة . ان الفنانين العظماء — في كل زمن — كانوا يؤمنون بجدة الفن وعمقه . بل يرون انه أكثر حقيقة من الحقيقة نفسها . فكانوا يجهدون النفس ، ويجرعون الصاب في سبيله . وقد يصبح احترام الفن — على هذا الشكل — عند أكثر الفنانين تصوفاً . نوعاً من العبادة . فان (بيتهوفن) مثلاً وهو يسمع إحدى أناشيده يخل إليه أنه يسمع الآله نفسه يكلمه . والآن نحن بعيدون عن هذا النوع من الافكار اذا ناقشناها بقواعد العلم للفن فأول قاعدة علمية فلسفية تقود الفن — كما تقود الجمال — الى لعبة بسيطة في أنفسنا . ولكن هذه القدرة لا تزعم أنها تقدر على تهديمه وانما تتركه يحتل جزءاً كبيراً في حياة الانسان لانه تمرين — ولو كان باطلاً — تقوم به اجزاؤنا الرئيسية . ولكن ماهي حدود هذا المذهب؟ هذه مسأله يجدر النظر فيها

إن أصل الفن — في نظرنا — هو في الحياة ذاتها . فله من الجدمال للحياة ، وغايتها من فصولنا هذه ان نبرز هذه الناحية الجديدة من الفن وخاصة الشعر في أصله وعمقه ، وفي تطوره الآتي ، وفي أسلوبه

ان مالا يصل الى الحياة نفسها يظل غريباً عن الجمال ، لان غاية الفن الأسمى هي ان نجمل القلب الانساني يخفق ، الفن يجب ان يمتزج بوجود الانسانية ، بأخلاقها ومادتها . وما عسى ان يبقى

لنا من اعتقاداتنا الدينية وأخلاقنا؟ قد لا يبقى إلا جزء يسير. وإذا سألنا ما عسى يبقى من قوتنا من الموسيقى والتصوير، وخاصة من هذا الفن الذي يحتوي على فنون مختلفة وهو الشعر. قد يكون الجواب... أنه سيبقى منه كل ما هو خير وأكثر عمقاً من غيره...

« اصل الفهم والشعر »

لقيت في أحد أيامي ولداً يلعب في حجرة، وقد لمعت شعاعة من ضوء الشمس من خلال نافذة مغلقة. يعدو الولد نحو هذه الشعاعة اللامعة التي تنفذ في الهواء، مجرباً أن يقبض عليها بيديه. اما الشعاعة البيضاء فقد كانت تفر ولكنها كانت في عينيه؟ وارى البشرية قد قامت — في اجيال — بمثل هذه. فبعد ان كان الجمال والخير معتبرين في الزمن القديم كحقائق من وراء الطبيعة دخلا في انفسنا، وما هما — في نظر علمائنا المحدثين — الا نتاج بنات عقولنا. فالجمال مثلاً يعود الى نوع من السرور يرتبط ككل سرور، بالحياة. فاحذف انت الكائنات الحية من الوجود تحذف منه الجمال. كما انك اذا حذفت العين حذفت النور والالوان... وكل شعر الطبيعة يقوم في رؤوس البشر.

و « كانت » كان يعود بفكرة الجمال الى فكرة النفع والمفاضلة ويرى — فيه — لعبة تقوم بها تخيلاتنا. وكذلك شيلر لا يرى فيه الا لعبة. فالفنان بدلاً من ان يتعلق بالحقائق المادية يلتفت اليها. والفن الاسمى هو حيث تبلغ اللعبة مداها، وتلعب بكل اعماق وجودنا، وهذا هو الشعر! قال شيلر: ان آلهة الاولوبوس الذين اعتقوا من كل حاجة، وجهلوا العمل والواجب قد اشتغلوا بابتداع اشخاص من الناس ليتاح لهم ان يعشوا بالاهواء البشرية. وهكذا نحن نمثل — في الدراما — فضائل وعيوباً واحوالاً ليست بأحوالنا

وقد لتي مذهب — كانت وشيلر — مؤيدين بين العلماء المحدثين. واخيراً جاءت مدرسة شوبنهاور معتبرة الفن كلعبة سامية، همها ان تعزينا بعض لحظات عن بؤسنا وشقائنا. وان تهين لنا منفذاً بواسطة الاخلاق

« غبطة الجمال وغبطة اللعب »

المعركة التي نشأت — للحياة — ببساطة تستحيل لعبة. وما ألعيب الاطفال الا رواية وساوس الانسانية! المعركة هي اساس من اعماق أسس اللعب. وكل لعبة عند المتوحشين تعمل على ان تتخذ شكل معركة، وما رقصهم وغناؤهم الا مظاهر تمثل طبيعة المعركة. ولله در ابن كلثوم حيث يقول

كأن سيوفنا منا وفيهم مخارقٌ بأيدي لاعبينا!

غبطة الالحان والالوان والطيوب انما تنشأ عادة من لعبة يسيرة مرتنت عليها حاسة من الحواس. فحين نسمع في البرية ناقوس الغداء لا يكون هذا الدق لنا الا نداء. وباصغائنا اليه لا نطلبه ولا يكون هو غايتنا. وانما نصغي الى الطعام الذي يدعونا اليه. وعلى عكس ذلك اذا سمعنا قرع ناقوس فلمندي أحسنا شيئاً يجبرنا على الانصات له لأنه لا يخاطبنا ولا يدعونا الى شيء ولا ينفعنا بشيء وهو خلال ذلك يبدو لنا انه جميل

يقول كانت «ان عاطفة الجمال هي اكثر تجرداً وبعداً عن الغرض من عاطفتي الخير والعدل» ويتحد سبنسر وداروين واقطاب المدرسة التطورية على جعل «الحاجة والمنفعة» اساساً أولياً للعواطف القائمة على الاخلاق. على ان العاطفة الفنية — على عكس ذلك — تغدو بانقيادها الى اللهو اكثر صفاء وتجرداً من كل فكرة متسلطة. ولتجبال السلطة على الخير لانه متجرد من المنفعة. ويقول شيللر بهذا الصدد «انك لا تسمع صوت الرغبة في أغنية العصفور»

هذا ملخص مذهب هذه المدرسة في الجمال !

واتنا نتم هذا المذهب فنقول: اذا لم ينفع الفن الحياة بأية وسيلة كانت فهو يساعدها بوجه عام. فالفن هو رياضة بدنية للقوة العصبية، رياضة بدنية للروح والعقل. وللفن دور كبير في الحياة الانسانية. وهناك ادلة ساطعة وبراهين توحى لنا ان الفن سيمثل دوراً كبيراً في حياة الانسان وهو دور يسمو يوماً بعد يوم. وبامكاننا القول ان الفن — الذي هو وليد الخلية والترف — سيغدو يوماً شيئاً ضرورياً للجميع، او نوعاً من الخبز اليومي

اما وان كل فن هو لعبة وليست كل لعبة فنا، فكيف يميز بينهما؟ يقول (كران اللين) ان اللعبة تكون تمريناً خالياً من الغرض كالسباق والصيد. اما الفن ففيه ادراك للشيء ذاته كالتأمل في لوحة مرسومة او قطعة موسيقية. على ان هذا التعريف لا يفي بالغرض، اذ ينتج ان حركة ما لطيفة لا تبدو خفها الا لأعين الناظرين وهي لا تخلق اية غبطة فنية لمن يقوم بها. والحركات الايقاعية والرقص تفقد بنفسها كل قيمة فنية. وبالايجاز ان تميز الاحساس — الصافي المحض — في العمل يكاد يكون محالاً. اذ كل قوة احساس تقضي لعبة عضلات لا لعبة اعصاب فحسب. فالعين تلمح المدى بقوة عقلية. والاذن كذلك. ومن المحال ان نقسم وجودنا الى مقاطعات... وان تفرض أن الشيء الفني — فينا — هو المنفصل. على ان الأمر بعكس ذلك في الآثار الفنية اذ ان من غبطة الفن ان تمتزج فيها غبطة النظر والعمل. فالشاعر والموسيقي والدهان يحسون غبطة متفوقة في الابداع والتخيل ونتاج ما يتأملون فيه، وللناظر من ذلك نصيب. وتلاوة رواية ما معناها انك تعيش — بمقياس خاص — في جوها. فاذا تلونا اشعارها بصوت عالٍ استولى علينا لحنها وحركاتها واشخاصها وليس الممثلون في المسارح هم يمثلون وحدهم

ولكن الناظرين يمثلون معهم ايضاً ادوارهم في الباطن . فاذا تزوج بطل الرواية وحظي بغادته احسست ان من في بهو التمثيل يشاركون البطل في سعادته
ان الجمال يتجلى — قبل كل شيء — في عدم نفعيته . وفي نوع من المخادعة نأخذ بها انفسنا .
ان الحفار يتسلى بازميله ورخامه كالشبل يتسلى بكرة خشبية في اعماق قفصه . والاثر يبقى جميلاً
بمقدار جماله ، لا يتعلق بأية حاجة ، ولا يحمل النارغبة ولا رهبة . والشئ الحقيقي الحي ينطوي بنفسه
على جمال نفسه

هل غبطة الجمال

تضاد عاطفة المنفعة والحاجة والرغبة ؟

ان مجموعة اجزاء كل جسد بذهاها الى هدف ، تؤلف نظاماً كاملاً موزوناً وقديماً قرنوا
الجمال الى النظام

في الاشياء الظاهرة يظهر ان الوحدة درجة اولى للجمال . ان رغبة ما او ان حباً ما يخلق
في كل وجودنا اغراء طويلاً تمتدّ جليلاً لا يلبث ان يغدو فنيّاً بشرط ألا تغدو الرغبة حادة
الجمال السامي بحسب نظرية كانت — هو جمال المرأة . على ان الصفات التي نراها اكثر بروزاً
في المرأة هي اكثر الصفات تعلقاً بالرغبة والشهوة . فأمرأة جميلة — عند رجل عامي — هي
امرأة موثقة الخلق عبلة البدن ، شديدة ، ذات الوان ناعمة وشكل رقيق . هذه المرأة هي خير
ما يروي الغريزة الجنسية

وهذا الوضع يتحول في الطبقات العليا ، حيث تغدو المرأة الجميلة في اعيننا هي المرأة التي
تألم انفاس وجودنا الفردي ، والعواطف والميول التي تشترك فيها في عصرنا . يقولون قديماً انه
أحب ، أي صار عنده عاطفة مبهمة لمن يكمل معه طبيعياً او ادبياً . فالحب اذاً هو
في صميم الميول الفنية . أليس الاعجاب بنفسه حباً يبدأ وينتهي بالحب ؟ اتقول ان حب امرأة
هو الانتهاء من رؤيتها جميلة ؟ ولهذا تجد الفن — عندنا — تطوراً في الحب . اي انه حاجة
من حاجتنا الضرورية . وتأمل العاطفة الفنية للجمال — مستقلة — عن الغريزة الجنسية
وحركتها ، يبدو لنا شيئاً سطحياً يشبه تأمل العاطفة الخلقية من خلال الغرائز التأثرية حيث
رى — فيه — المدرسة الانكليزية اول اصل من اصول الاخلاق

ألا شكراً لله ! فالوردة التي ينشقها كثيرون لا تفقد أريجها . وظل حديقه باستطاعته ان
يؤوي كثيراً من الاصدقاء . وساقية واحدة بإمكانها ان تتقع غلة عطاش . وهواء نقي
يستطيع ان يملأ صدوراً ، وأغنية في بهو واسع تهيج آذاناً كثيرة . ووجه جميل او قطعة حسنة
نجلو عيوناً كثيرة دون ان تفقد شيئاً من رونقها

إن ما هو جميل هو مرغوب فيه أيضاً في الوقت ذاته . فالشعر في الأشياء — بحسب كلمة الفرد دي موسيه — يتألف من الخشية والركة ، من الاضطراب والرغبة . فأني تأثير في يوقظ فينا جملة آماني ورجاب وحاجات مهما تكن مبهمة

إذا تأثرنا بنشيد حربي رأيت انا نضطر ان نكون قاعدين اوسايرين اورا كضين، ومفتشين عن عدو لقتاله . وبعض جمل موسيقية فيها رقة الحب قد تولد القبة على شفاها . ومن ذا يتلو أبيات « موسيه »

« لنرحل !

إتنا وحدنا .

والعالم لنا :

هذه أيقوسيا الخضراء !

وايطاليا الشقراء

ومواطن اليونان . حيث يطيب الشهد ! »

من ذا يتلوها ولا يحس شوقاً الى هذه الاقطار الشعرية المجهولة يدفعه الى ارتياد هذه الآفاق الجديدة ؟

وهناك غبطة في الرغبة نفسها . بل ان تأثير الرغبة يبقى في النفس أجمل من تلك الغبطة . ومن هنا منشأ الغبطات الكبرى في الشاعر الذي يتأمل ان يحيا في المرة الواحدة حياة كل الناس . وهو بهذا التأمل يحياها الى نقطة يقينية . على ان هذه الرغبة التي تتخذه كثيراً قد تولد ألماً . لأنها تظهر له بجد وهو يريد تحقيقها . واليأس الذي يسوق الفنان الى التشاؤم هو أنه يمتنى بدون ازان ولا يقدر على اشباع أمانيه الا بصورة ضعيفة

هل تنعاصم غبطة الجمال

مع عاطفة الحقيقة وعملها ؟

الفن هو عمل لا هوى ، ومن هذه الناحية هو رغبة لا غبطة فقط . وحاجة حقيقية لا لعبة وهو

ماشعرت يوماً بسمو السماء الا بعد ان شققت طوداً عالياً حتى لأشعر بأني دخلت السماء وانني انتصرت عليها في كل خطوة وجهد أبذله . ورغبة (اللانهاية) خيّل الي أنها بلغت في بدون انتهاء ، بل تيقظت في نفسي تيقظاً شديداً

ان تمثال (زهرة ميلو) يبقى سر روعته في رخامه وجوده . ولو ان عينه الفارغتين امتلأتا

نوراً داخلاً ولو أنه مشى اليها لا تنهى أمر هذه الروعة والاعجاب
ان تلقى الوهم — دع عنك — أنه يبعد ان يكون شرطاً من شروط الحسن في الفن —
هو تحديد له . الحياة او الحقيقة هي قاعدة الفن

هنالك بعض تشوهات تكون ضرورية للأثر الفني وتكون شرطاً من شروط حياته .
وهذه تشبه تلك التجاعيد التي تلوح على وجوه المسافرين في الاقطار الشاسعة يغمهم الحر او
القر ، وفي ابطال الروايات يجب ان أرى فيهم شيئاً من العيوب والتشويه حتى يمكنني ان أؤمن
بوجودهم ، لأن الضروري في الشخص الخلق هو ألا يظهر جميلاً او قبيحاً فحسب ، بل يبدو
أنه موجود ! التهذيب هو الفن السامي الذي يؤثر في الكائنات الحية ، وليس له الا غاية واحدة
هي انتاج الامثلة الكاملة ، وجعل الجميل اغنى جمالاً ، وسعادة . هذه غاية الفن ، وعمق كل
فن يتجلى في الجنوح الى الابداع ، واذا الفنان استطاع ان يكون مبدعاً حقيقياً فهو يريد ويجنح
الى تحقيق الجمال والسعادة

اذا كان امامنا اثران فنيان متساويان في ابداعهما فنحن بحكم العادة أميل الى الأجل ،
ونجد الاجمل اغزرهما خيالاً وشاعرية

ان تقليد التبيح يندو في الحقيقة تقليداً للجمال والنظام العالمي . التقليد يجنح الى ان يصبح
ابداعاً وخلفاً . والوهم او الاختلاق ينطفئ في الحياة . وفي النهاية نجد الحياة غاية الفن ، والفنان
لا يخلق الا ليجعلنا نؤمن بأنه لا يخلق

شروط الجمال في الحركة

رأينا ان كل ما فيه جد ونفع وحياة يستطيع ببعض شروط ان يكون جميلاً .
الجميل يمكن ان يتحقق آناً في الحركات ، وآناً في الحواس ، وآناً في العواطف . واول شرط في
الحركات هو القوة ، فنحن نحس سروراً قسماً اذ نشعر بقوتنا او حين نمرن قوتنا او نرى غيرنا يمرن
قوته . والصفة الثانية للجمال هي الرقة والايقاع والنظام اي ارتباط الحركة بوسطها وغايتها
ان الجمال السامي للحركات هو استعارة ، وهذا الجمال يهبط من الأعلى ، وفي جو الارادة
والعواطف يجب علينا ان نخلق لنجد الى ذلك حلاً . النظر الى الطبيعة ، والتخيل انها جميلة هو
تمثلها أنها حية ، والتخيل انها ممكنة هو تمثيلها أنها شكل انساني . وبالا مكان ترديد كلمة (تيرانس)
« اني لا اهوى الا ما هو انساني »

القوة اول جمال ، تقاد الى حالة صغيرة من الشعور او ترتبط نفسها بالعواطف من اي نوع
كالثقة بالنفس والجرأة . وهل الارادة الا القوة ؟

خذ تمثال « موسى » الذي يمثل قائمة مديدة وعضلات متصلبة . وما تمثال شمشون والبطل هرقل إلا مثال القوة والبطش والجمال . فالقوة التي كان يؤهلها الأقدمون كانت تعتبر الفضيلة الأولى ومصدر فضائل كثيرة . بل إنها تحتل شيئاً فوق الطبيعة الانسانية ولهذا كانت تحترم . وكانت ذات قيمة فعالة . والنظام والايقاع يجعلان الحركة أكثر جلاء . أما العطف فهو يفرض حالة اقرار في العضلات ، ولا يمثل الحيوان ذلك إلا في ساعة الراحة . اذا رأيت كلباً يلعب ويبث فاعمل ضجة ما تزعجه ، وعنقه تمددت وكل ما فيه من عضلات قد تحرك . ولبس حالة غير حالته في هدوئه . وأخيراً ليس معنى العطف - دائماً - إلا الاستسلام ، ولا يتم هذا الاستسلام إلا في ساعة حب . ونقول مع (شيلنغ) ان العطف هو قبل كل شيء عاطفة حب . ومعنى العطف الحب

وهناك عاطفة ثانية ... لتتخيل ما يولده فينا مرأى العصفور ناشراً جناحيه وهو كنقطة في الهواء ، ولتتخيل أية عاطفة تعلمونها ونحن على جواد يعدو خيلاً ، او في زورق يخوض العباب اللجج او في زوبعة رقص ومرح . كل هذه الحركات تولد ما لا أعرفه من عاطفة اللانهاية ومن رغبة لاحد لها ، ومن حياة تائهة ، ولا أدري ما هي حاجة الذهاب بدون إياب ؟ وحاجة الضياع في هذا السلك ؟ وهذه الافكار المهمة تدخل كمادة جوهرية في الحالة التي تسبب لنا هذه الحركات ، وتمثال (آدم) « لميشيل آنجلو » الذي يتنقذ للحياة يمد يده - بدون نظام - الى الاشياء ، ناظراً ما حوله . وهذه الحركة وحدها تترجم بشكل منظور عن كل اللانهاية في العالم الذي وقعت انظاره عليه لأول مرة

واذا كان الجمال السامي في الحركات هو الجمال الذي يترجم الحياة الوافرة الغنى ، فبالامكان القول : ان الجمال هو منج القوة بالعطف وجعلها شيئاً يعبر جميعه عن الارادة الاكثر شدة والاكثر عدوية ورقة . هذه الارادة ليست العبث بالاشياء السطحية ، ولكنها في معاناة الاشياء الجدية والكائنات الاخر ومعاناة نفسها . تضع قوتها كلها في خدمة حناها النفس تسمو الى اعلى ما تعجب به . ومن هذه الناحية تجد الفن يلبس الحقيقة ، بل هو الحقيقة وحدها ، وفي عاطفة الاعجاب يشترك الحقيقي والوهمي ، والكون وظهوره . أريد ان استحيل الى من اتأمل فيه ، وأن اكون مثله في بعض النواحي وهنا يتحقق مذهب افلاطون بقوله : ان الجمال هو ان تغدو أحسن وأعلى

المجريطي

فلسفته ومكتشفاته (١)

لمعالي محمد رضا الشبيبي

وزير معارف العراق - باقاً ورئيس نادي القلم العراقي

لم اكن اعرف عن ابي محمد احمد عمر بن رضاع المجريطي - امام فلاسفة الاندلس في الرياضيات والطبيعات المتوفى سنة ٣٩٥هـ - اكثر من تسميته في الكتب العلمية أو ترجمته ترجمة موجزة في اسفار التاريخ الى ان كانت سنة ١٣٣٢هـ او سنة ١٩١٤م اذ ظفرت خلال التنقيب عن المخطوطات العربية القديمة بنسخة من كتاب « غاية الحكيم واحق النديجتين بالتقديم » من بين مؤلفات المجريطي فتوفرت على دراسة الكتاب دراسة اوضح لي منها مرمى تفكير المجريطي وفلسفته وخلاصة بعض دروسه ومستبطناته بحيث اصبح في الوسع اماطة اللثام المسدل على آرائه وافكاره في معظم كتب التاريخ

ذاع اسم المجريطي بما كتب لبعض مؤلفاته في العلوم الرياضية والفلكية من الانتشار وخصوصاً كتابه « غاية الحكيم » و « رتبة الحكيم » وهما اشهر كتبه التي أوردها المؤلفون الذين عالجوا تاريخ نمو الحركة العلمية والفلسفية عند العرب او كتبوا في موضوعات العلوم وفي مقدمتهم ابن خلدون وشمس الدين السخاوي والقلقشندي وطاشكيري زاده ومنلا چلي وغيرهم . وقد عول ابن خلدون على كتابي المجريطي السابقين في الفصول التالية من مقدمته .

١ - الكيمياء ، ٢ - السيمياء ، ٣ - الحكمة او العلوم العقلية وأقسامها ٤ - الفلاحة
اضف الى ما تقدم ان المجريطي هو صاحب « رسائل اخوان الصفاء » الاندلسية التي الفها على نمط « رسائل اخوان الصفاء » البصرية او العراقية فبذر بذرة التفكير الواسع في اذهان الاندلسيين على عهده فلم تلبث الفلسفة حتى ازدهرت في العصور التي تلت عصر المجريطي في الاندلس فظهر فيها ابن رشد وابن الصانع وابن الطفيل وبني زهر وغيرهم من اعيان الحكماء والمفكرين وان لم نثر على نسخة من رسائله الاخوانية المذكورة ولكن لاريب عندنا انه

(١) عن مجموعة نادي القلم العراقي (راجع باب مكتبة المقتطف)

استهدف في تأليفها اثارة الازهان وتدريبها على البحث العلمي شأنه في كثير من فصول كتابه « غاية الحكيم »

نقح المجريطي كتابه المذكور خلال خمس أو ست سنوات وجمعه من ٢٢٤ مؤلفاً سمي أكثرها فيه . وتدلنا دراسة الكتاب على ان المجريطي (فضلاً عن كونه اماماً في العلوم الرياضية والطبيعية عارفاً بجميع فروعها) من جملة الاساتذة في التربية وفي علم السياسة والاجتماع على الاجمال على ما يظهر لنا من لهجته ومن بعض اجائته في الكتاب . وهو يرى والنص المنقول له « ان الانسان اذا انفرد بعلم الحكمة النظرية والفلسفة سمي حكيماً وان جمع بين الحكمتين النظرية والعملية ونفذ فيهما كان نبياً » قال « ولا يكون هذا الا في افراد الناس وهذا الانسان أي النبي في أكمل مراتب الانسانية وفي أعلى درجات السعادة وهي التي من جهتها او من أجلها يطلب كل خير واليها ينتهي كل خير لأننا انما نطلب الفضائل لتكون سعادة ولا نتوصل الى ذلك الا باصلاح الاخلاق واصلاح المنزل واصلاح الأمة وجمعها على كلمة واحدة تقودهم الى السعادة والسعادة هي الخير المطلوب لذاته »

وكذلك يستتبع من مواضيع أخرى من كتابه انه فيلسوف يميل الى الدراسة الواسعة ولكنه يرجح العلوم الواقعية التي يؤيدها الحس والتجربة ولا يكاد يدعن الا الاحكام العدد والارقام في تفكيره . وما أكثر الشواهد التي عثرنا عليها في كتابه على ذلك . ومنها ما حكاه عن ثابت بن قرة المؤلف المشهور انه اجتمع بانسان كان باقعة في الحساب . فقال ذلك الانسان لثابت « ان الله قادر على كل شيء » فقال له ثابت « أيقدر الله ان يجعل جملة المضروب خمسة في خمسة أقل من ٢٥ او أكثر من ذلك ؟ » فسكت الباقعة في الحساب ولم يجر جواباً . وقد نقلنا هذه الحكاية للتدليل على منحنى تفكير المجريطي من حيث انه رياضي لا يقبل الجدل في الارقام . أما من حيث انه فيلسوف فانه لم يصرح لنا برأيه في هذا الشأن إذ من مقرران الفلسفة ان الجزم حتى في مثل هذه المسائل الرياضية البهجة عبث او غرور اذا كان يتضمن دعوى الاحاطة بحقائق الكون وأسراره الأزلية الغامضة

هذا وقد صير المجريطي نفسه تلميذاً لجابر بن حيان على بعد ما بينهما من المدة متخذاً منه قدوة يقتدي بها ، شديد التعظيم له ولا رائه ومستبظاته في الرياضيات والطبيعات . كثير الاقتباس من كتيبه وقد اثنى جملة صالحة منها خصوصاً في العلوم التعليمية والطبيعية وفي علم الحيل أوردها باسمائها وأكثرها غير معروف ولا مذكور بين الكتب المنسوبة الى جابر بن حيان . أما رأيه في

الرازي « فانه أستاذ جدير بأن تؤخذ المعارف عنه لكثرة بحثه ونظرة في العلوم القديمة » وهي عبارته بعينها . وهكذا رأيه في الكندي فقد رأيناه كثير الثناء عليه وعلى تبحره في العلوم وقد سنظر في المجريطي له رسالة غربية في موضوعها اذ سمي رسالته هذه « كمية بقاء دولة العرب » وليس بكثير على الكندي فيلسوف العرب أن يفكر في هذا الموضوع . وقال ايضاً عن الكندي « ذكرته في كتابي تاريخ فلاسفة العرب » . ومن ذلك يعلم ان المجريطي عاجل هذا الموضوع الشيق — اعني تاريخ فلاسفة العرب خاصة — والى فيه كتاباً الا اننا لم نعر عليه بل لم نقف على ذكره الا في هذا الكتاب وقد احالنا المجريطي عليه — أي على تاريخ فلاسفة العرب — غير مرة فهو إذن من كتبه الممتعة . ومن الاعلام الذين اعتمد عليهم المجريطي ابو بكر بن وحشية وقد أكثر من النقل عن كتبه المترجمة عن النبطية في علم المواليذ وفي الفلاحة وفي الهندسة المائية وذلك على طريقة القدامى من سكان الرافدين كما انه أثنى على كتابه في الفلاحة . ومنهم عطارذ البابلي وهو رياضي قديم أكثر من النقل عنه وعن مؤلفاته خصوصاً كتابه « سر الاسرار »

وللمجريطي في كتابه « غاية الحكيم » أسلوب خاص في تلقيب بعض المؤلفين او الفلاسفة بألقاب مجملها عليهم من تلقاء نفسه وأكثرها مطابق لمقتضى الحال كقوله « افلاطون » « المبرز » او « المقدم » وكقوله « رئيس الصناعة الاحكامية بطليموس » ويقصد بهذه الصناعة صناعة الميقات والتقويم وهي الصناعة التي برز بها بطليموس وألف بها مؤلفاته المشهورة في الاسكندرية وكقوله « سيد يونان على الحقيقة وأولاهم بالفضل أرسطو » الى غير ذلك

ويستفيد من هذا الكتاب (اعني كتاب « غاية الحكيم » للمجريطي) من يعنى بدراسة تاريخ الحضارة في اقدم عصورها وتاريخ مستنبطات الامم الشرقية العربية في القدم من انباط وأقباط وسريان وهنود وغيرهم ومكتشفاتها وجهودها في تقدم العمران . وقد أدرج فيه ايضاً كثيراً من اساطيرها وخرافاتها الوثنية فيما يتعلق بحقائق الاجرام الفلكية وقواها ودعوتها نحو ذلك لما هو دخیل في عقائد المسلمين او مقتبس من عقائد الامم الوثنية القديمة المذكورة . وللمجريطي في كتابه هذا أبحاث مقننة في الفلك والرياضيات وفي الكيمياء وفي تاريخ السحر وعلم الحيل وفي التاريخ الطبيعي وتأثير المنشأ والبيئة في الكائنات وقد عقد عدة فصول للبحث في مملكة المواليذ الثلاثة خصوصاً ما يوجد منها ببلاد الاندلس . ويستنتج من بحثه فيها ان له مكتشفات عديدة في هذا . ولا استبعد أنا وحالة هذه ان يكون لبعض آرائه وابحائه اثر

في عمران الاندلس خصوصاً فيما يتصل بالهندسة والكيمياء وعلم المواليد الطبيعية وان سكت مؤرخونا عن ذلك كله على عادتهم المألوفة

ومع كل ما تقدم فان المؤلف يعتقد بالسيمياء او السحر وهما موضوع كتابه « غاية الحكيم وأحق النتيجةين بالتقديم » كما ان موضوع كتابه الآخر المسمى « رتبة الحكيم » هو الكيمياء وهما (اي الكيمياء والسيمياء) النتيجةتان المتحصلتان من جميع جهودنا العلمية حسبما يراه المجريطي كما انهما مفتاح الأسرار الطبيعية والرياضية ومن لم يصل اليها فليس بحكيم وان احكم نتيجة واحدة منهما فهو نصف حكيم على حد تعبيره لأن الكيمياء بحسب تعريفه هي معرفة الجواهر والأرواح (القوى) الارضية واستخراج لطائفها للاتفاع بها كما ان السيمياء هي معرفة القوى او الارواح العلوية لاستخدامها والاتفاع بها . ويقول في موضع آخر من الكتاب اعلم ان هذه النتيجة اي السيمياء هي المعبر عنها بالسحر وحقيقة السحر على الاطلاق كلها سحر العقول فانقادت اليه النفوس من جميع الأقوال والاعمال وهو علمي غامض الادراك ومنه عملي . وبالجملة السحر هو ما خفي على عقول الاكثر (الجمهور) سببه وصعب استنباطه . وأحسن انواع السحر العلمي الكلام بشهادة الحديث المأثور ان من الكلام لسحراً ومن ذلك قول المؤيد افلاطون في كتاب الفصول « كما يرجع لك الصديق عدواً بالكلام اليسير كذلك ينقلب لك العدو صديقاً بالكلام الحسن اليسير . والسحر العملي هو الوقوف على المواليد الثلاثة وما أنبت فيها من قوى . ومن أنواع السحر العملي السحر الحيلي » الى ان قال « لا يبلغ أحد الوقوف على تأثير العالم الأعلى (أي القوى العلوية) في العالم الأسفل الا بعد احكامه لجميع العلوم الرياضية والطبيعية وما بعد الطبيعة أيضاً . » ثم شرح سبب ذلك قائلاً في الأخير « فباضطراب لا يعلم هذه الصناعة على الحقيقة الا من علم أوائلها وبالواجب ان لا يعلمها الا فيلسوف »

فمن ذلك ومن مواضع أخرى من كتاب المجريطي نعلم اجمالاً ان مدلول كلمة « السحر » في ذهن المجريطي غير مدلولها الخرافي المألوف بل هو مدلولها في الازدهان الوقادة والافكار النيرة التي حاولت او هي تحاول دائماً تسخير قوى الطبيعة واخضاعها لاستخدامها في رفاه الانسان ورفع مستواه في سلم الحضارة والعلوم والعمران ومن هذا القليل ساحر الكهربائية (اديسون) وساحر البخار (واط) وغيرهما من سحرة الاثير والضوء والحرارة وسائر القوى الطبيعية المبثوثة في هذا الكون . فالمجريطي حسبما نراه في كتابه هذا مفكر او ساحر من هذا الطراز او يكاد يكون من هذا الطراز

الحياة والعبقريّة

في ضوء فلسفة المذهب الحيوي

لعلى أرهم

الحياة في رأي القائلين بالمذهب الحيوي دفع غريزي وقوة ينمى الكفاح ويزودها بواث
التطور ويهيئ لها اسباب التدرج في الكمال ، وقانون التقدم الحيوي دائب لا تقتر له همة ولا
يعروه وهن وهو في النطاق العضوي الطبيعي يبدو في صورة التناحر على البقاء المفروض على
الانسان فرضاً في مراحل تقدمه الباكورة لعدم كفاية الغذاء وصعوبة الحصول على وسائل العيش
ولكن عندما ذلل الانسان هذه العقبة وجاوز تلك المرحلة لم تبطل اسباب الكفاح وانما
انتقلت الى ميادين أخرى وبدأت في ازياء جديدة ، فالجهود الذي يبذلها الفنان في خلق
آيات الفن وطرف الأدب أو الذي يقوم به العالم في تمحيص البحوث واكتناه اسرار الطبيعة
واستكشاف قوانينها هو بمنزلة المعارك الحامية التي يثيرها المستوحشون والحيوانات لينزعوا من
الطبيعة اسباب بقاءهم ومقومات كيانهم ، وجهد الفنان يعين على صقل المشاعر وتهذيب الاحساس
ويزيدنا تقديراً للجمال كما أن جهد العالم يزيد تراثنا العلمي ويوطد الحضارة ويمكن للانسان
فالحياة اذن قائمة على المدافعة والجهد والمحاولة ولو انها جردت من مهباز الحاجة لران عليها
الجمول وتوقف تقدمها وأصابها الجمود والانحلال سواء كانت هذه الحاجة عضوية كالحاجة الى
الطعام وما إليها أو فكرية كالحاجة الى المعرفة أو فنية كالحاجة الى الخلق والابداع

والحياة لكي تستجد دوافعها وتستثير بواث الكفاح والمغالبة تحد نفسها وتظامن من
سبطرتها ، لأنه لو زود انسان بكل قوى الحياة واستطاع قراءة الافكار واستطلاع الغيوب
لضعفت الدوافع التي تحدوه على الكفاح والصراع الذي ينشأ من شعوره بالحاجة وضيق المدى
ولظلمت الحياة على وتيرة واحدة وفي مستوى لا يتجاوزه ولا تملو عليه ، ومن ثم فإن تجريد
الفرد من كامل قوى الحياة يعد من قبيل اخذه بأساليب النظام والتهذيب ، والنظام والتحديد
هما كما قال نيتشه اول شرائط الاستكمال ، وما يستدعي الملاحظة ان قوى الحياة الكامنة لا تبدو
للفرد في صورة باهرة قوية الا عند ما يكون وجوده الفردي مشرفاً على الزوال ، فالنربق

الذي غمرته الامواج وأوشك ان يطويه اليه تمر به في لحظة واحدة حياته جميعها في تفاصيلها الدقيقة وصورها المختلفة ، والجندي الجريح الذي يعاني سكرات الموت قد يستطيع نقل شعوره الى من يعينهم امره ويشجعهم مصرعه وكأنما الحياة في تلك اللحظات وهي تهم بترك هذا الوفاء المحدود وتعود الى المجرى الاصلي ترفع النقاب وتزيل الحواجز التي تستر عنا مواهبها الكامنة في عالم اللاوعي

وانصار المذهب الحيوي لا يعللون سبب امتزاج الحياة بالمادة تعليلاً شافياً ولا يدون فيه رأياً قاطعاً ، وفي رأيهم انه ربما كان سبب هذا الامتزاج ان المادة كانت موجودة وكانت الحياة تبحث عنها لتخفف من كثافتها وتحيي موتها وتخضعها لاحكامها ، وربما كان سببه كذلك ان المادة بطبيعتها عقبة في سبيل الحياة وان الحياة تمر خلالها لتتجاوزها وتعلو عليها لان غرض الحياة هو التدرج في الكمال واكتساب صفات اسمى ولا يتم هذا الرقي الا اذا فرضت الحياة على نفسها حصر قواها والحد من حريتها ، ومن طبيعة هذا الحصر انه يستلزم ان يكون هناك « افراد » ولا يمكن ان تتم الفردية الا على هذا النمط ، وهذا الشعور بانحصار القوى وضيق المدى هو الذي يدفع الفرد ويخرق قواه ، فالمادة في منزلة الحافز والدافع معاً فهي تفصل الانسان عن نبع الحياة الاصلي وتحدّه لان الحياة المحصورة بها والمحدودة بحدودها تضطره الى شحذ قواه وحفز عزيمته لكي يصقلها ويهذبها ، والفرد هو تيار من الحياة منفصل عن مجراها الاصلي انفصالاً مؤقتاً وهو مع ذلك يستمد منه القوة والنشاط ، فاذا كانت القوة التي يريد بها الانسان ويفكر ويعمل هي نفسها قوة الحياة فكيف يتيسر ان يخالف « ارادة » الحياة ويتمرد على احكامها ولا يعمل على تحقيق اغراضها ؟

ولكن الحقيقة هي أننا اذا لم تمكن من التغلب على ارادة الحياة وعرقلة مساعيها فانه من الواضح أننا نستطيع ان نتردد في تلبية مطالبها ونترتب في تحقيق رغباتها بل في وسعنا ان نعوق اغراضها ونعترض تقدمها ، وبعض الافراد أقدر على النهوض بمطالب الحياة من البعض الآخر ، والعقري والأبله كلاهما يعبر عن الدافع الحيوي ولكن من الصعب ان تتصور أنهما يتحذمان الحياة بطريقة متماثلة ويعملان على تحقيق أغراضها بنصيب متساو ، وقل بين الناس العاديين من يستطيع ان يقوم في تقدم الحياة وتطورها بنصيب يعادل نصيب أمثال افلاطون وشكسبير وتولستوي ، والرجل العادي يسير في الطرق المسلوكة ولا يفكر في استحداث شيء ولا يغييه مستقبل الانسانية وخير الاجيال القادمة واكثر الناس يعبر عن قوة من قوى الحياة بطيئة التغير وكلما تقدمت به السن ازداد محافظة واستعصاء على التقدم

والحياة تلتبس الذرائع لبلوغ غايتها وتبذل جهدها في استصلاح وسائلها ولكن كل

الادوات التي أوجدتها لاتلائم اغراضها كل الملازمة . وذلك لأن قوة الحياة محدودة وهي تعمل وتؤثر في المادة وتبذل مجهوداً ضخماً ليميط عنها الحمول والثقل والبلادة وهي تؤدي خير ما تستطيعه بالوسائل الميسورة لها ، وفضلاً عن ذلك فهي تسلك طريقة التجربة وليست كل الوسائل التي تتبكرها ملائمة لأغراضها المبتغاة وهي في كل مرحلة من مراحل التقدم تلغي بعض الوسائل التي أصبحت غير صالحة وتستجد وسائل غيرها أقوم بتحقيق ما تبغيه من الاغراض وهي لاتألو جهداً في العكوف على شتى التجارب والمحاولات لاختبار الوسائل والآلات التي تسموها الى مرتفعات أسمى وأبعد شأواً ولكنها قد يخطئها التوفيق في بعض هذه المحاولات وبصبيها الاخفاق

ويمكننا ان نستببط من ذلك ان سبب اخفاق الفرد لايعزى في جميع الحالات الى ان قوة الحياة فيه محدودة ، وانما سببه الى حد ما هو تصرفه الحر الذي تقع على عاتقه مسؤوليته ومن الصعب ان ينكر ان الفرد وقد خلق لاداء غرض من أغراض الحياة في وسعه ان يؤديه او ان يعوق ادائه وينشد أغراضه الخاصة بدلاً من متابعة أغراض الحياة العامة وهذا يدل على ان للانسان نصيباً كبيراً من حرية الارادة

ولكن كيف نوفق بين حرية الارادة وتصورنا الفرد على انه مجرى من ينبوع الحياة وانه بناءً على ذلك الاعتبار يلزم ان يكون سيره وفقاً للنبع الاصلي الذي انبعث منه فهو مثل قطعة من الخشب يحملها التيار المتدفق ، والجواب على ذلك انه لولا المادة لكان هذا نصيب الفرد ولما كان له معدى عن الانقياد لدوافع الحياة ولكن المادة تعترض سير الحياة وتضطر نهريها الجاري الى أن ينكسر الى نهيرات عدة تستمد نشاطها من الجرى الاصلي ولكنها تسلك الاتجاه الملائم لمواقع الصخور المعترضة ومن شأن هذه الصخور أن ترغم هذه النهيرات على التعرج في سيرها ومن ثم تتخلص الى حد ما من سيطرة النهر الاصلي

وكذلك يمكننا ان تصور ان المقدار من الحياة الذي يتصل بالمادة ليكون الفرد يستطيع بفضل المادة المتداخلة بينه وبين النيبوع الاصلي للحياة ان يتبع طريقاً خاصاً به ، والمادة مع عجزها عن مدافعة الحياة التي تتخذها مطية لبلوغ غرضها تتقاضى من ذلك العجز والخضوع للحياة ، وذلك الثمن هو ان هذا الجزء من قوة الحياة عندما يحل بالمادة ويسمى « فرداً » . يمنح حرية الاختيار ، وبفضل هذه الحرية يستطيع اذا شاء ان يسلك طريقاً غير الطريق الذي نحاول فرضه عليه ارادة الحياة

وأعظم الحوادث في حياتنا خارجة عن ارادتنا ، فنحن نولد سواء اردنا ذلك او لم نرده ونحيى الى دنيا لم نسع اليها ولا علم لنا بها ومن والدين لانتارها ، ونحب بدافع من نفسنا

لا سيطرة لنا عليه واخيراً يدركنا الموت على غير اختيار منا وبرغم انوفنا وانما عند ما ترى الحياة انها في غير حاجة الينا

وقوة الحياة لا تشفق على مخلوقاتها ولا تبالي بسعادتهم وشقاؤهم ما داموا يحققون اغراضها، وهي لا تتورع عن خداعهم فتلوّح لهم بالسعادة وتمنيهم بالاماني المعسولة والوعود المغرية ونحن نحقق اغراضها لا لأننا زيد ذلك وانما لان شيئاً داخل نفوسنا تسمو ارادته على ارادتنا ويغلبنا على امرنا يريدنا

ولكن هناك مسائل صغرة في الحياة لنا فيها حرية الاختيار ونحن في حدودها نستطيع ان نحقق غرض الحياة او نفوقه ولذا اوجدت الحياة حلقة متصلة من الوسائل التي تشجعنا على التوجه الى الناحية التي يتجه اليها تقدم الحياة، ومن اهم تلك الوسائل خلق العطاء والعبقرين، فلو لا كبار المفكرين وعظماء المصلحين ونوابغ الفنانين لظلت الانسانية في تخلف وجمود والحياة لكي تقاوم الرغبة الطبيعية الكامنة في نفوس الناس في ايثار الجمود والكسل والمحافظة ومحاولة استبقاء صنوف الفكر والوان الفن والادب بعيدة عن حركة التجديد الذي تستلزمه دوافع التقدم - اقول ان الحياة لمقاومة ذلك توجد العبقري لكي ينهض بالعبء الذي يعجز عن القيام به اكثر الناس، والعبقري بطبيعته يتحدى طرق الفكر المألوفة وقواعد السلوك المرعية ويعيب آدابها ويزيفها، والناس تكره من يعيب معتقداًها ويسفه تقاليدها ولذا تضطهد العبقري وقد تصلبه اذا كان داعية اخلاقياً وقد تهمله وتغمله حقه اذا كان فناناً، ولكن الجماعة البشرية رغم ذلك تتجه الى الناحية التي أشار اليها وبذلك يعنوا لآرائه ابناء الذين اضطهدوه، وربي الانسان الادبي والفني يتم بوثبات معادلة لما يسمى في علم الحياة بالوثنات المباحثة او التحولات الفجائية، وظهور العبقري يدل على الاتجاه الجديد وكأنما تتخذ الحياة لساناً لرسالتها التي تريد تبليغها الى الافراد وهذا سبب وصفنا للشعراء والفنانين العظماء والانبياء والمصلحين بأنهم ملهمون وهم يشعرون أنهم مسخرون لاغراض الحياة مسوقون بدوافعها وهم يستسلمون لهذه الدوافع ولا يحجمون عن مواجهة الاخطار ويصرون على القيام برسالتهم رغم كل ما يقام في طريقهم من عقبات وما ينصب لهم من شباك

وتصورنا العبقرية بهذه الصورة يمكننا من ان ندرك الدور الهام الذي لعبه الادب والفن في قصة التاريخ ورواية التطور لان رسالة العبقري تتم بالكلمة المقولة او بالكلمة المسطورة. وقد أخذ الادب في مراحله الاولى شكل الامثال الادبية وصورة المواعظ والنصائح ولم تكن هناك وسائل تمكن العبقري من الولوج الى عقول الشعب الا بهذه الطريقة لان الوصول الى عقل الجمهور في تلك الازمان النائية لم يكن سهلاً ولا ميسوراً ولذا كان الرقي في تلك الفترة

يتم عن طريق الدين ورجاله ولذا نرى منذ فجر التاريخ الانبياء والرسل والواعظين والمصلحين يبرون بالناس ويعظونهم ليرتكووا سبل الشر ويحيوا حياة فاضلة . ومن المعروف ان جوهر التعاليم والآداب في جميع الاديان واحد وهو احلال الحب محل الكراهة والبغضاء والتسامح مكان الانتقام وتحبذ العفو عن الاعداء والعطف على الضعفاء وقد حاول الانبياء بذلك تطهير القلوب وتصفية النفوس

والمسيح وبوذا يوصيان بتوسيع نطاق الاسرة حتى تشمل الانسانية برمتها ويمقتان التحزب والتباغض ويحاولان مقابلة الشر بالخير ويوصيان بكبح الاهواء وقهر الشهوات وبارتقاء فن الكتابة واختراع الطباعة حلت الكلمة المكتوبة مكان الكلمة المقولة ولكن غايتها لا تزال تعليمية وقد كانت الدراما في اول ظهورها متصلة بالدين وروايات كبار المؤلفين في الدراما من اليونانيين اوحتها روح دينية عميقة وهي تؤكّد عدم استقرار حياة الانسان وعجزه حيال سطوة الارباب ، وفي العصور الوسطى كانت اكثر الروايات قائمة على الاغراض الاخلاقية ولا يزال اثر ذلك بادياً في روايات ابسن وبرنارد شو اللذين يهاجمان سخافات العصر وحقائقه

وكبار الفنانين وأعلام الشعراء والكتاب هم معلمو الانسانية الذين يمتون مشاعرهم ويهذبون ذوقها وينشطون الفكر ويوسعون آفاق النفس ، وتعاليمهم تزيدنا احساساً بالجمال وادراكاً لمعاني الطبيعة ، واحتكاك عقولنا بعقولهم يزيدنا قوة ويؤثر فيما يصدر عنا من الاعمال والاقوال ويسمو بنوازعنا وطموحنا ، ولا نزاع في ان للشعر الغنائي اثر اكبر في تهذيب عاطفة الحب والسمو باليول الجنسية ، وللشعراء فضل كبير في توضيح فكرة ان الحب يعلمنا التضحية ونكران الذات ويستخرج القوى الكامنة في النفس وبصرنا جمال الطبيعة

ولكن مجهود العبقري يقابل بالانكار والجحود لانه يسبق عصره وينقد مقاييسه ويشير في نقوس معاصريه غريزة المحافظة ، ولبعض الناس مصالح خاصة مرتبطة ببقاء الفكر السائد والاحوال الراهنة ولذا يبذلون جهدهم في الدفاع عنها والمحافظة على معالمها والعبقري هو بشير المستقبل ورائده وموجد آدابه ، وقد حوكم سقراط وبرونو وجاليليو وأمثالهم لان افكارهم كانت سابقة لعصرهم ولكن العالم يكرمهم الآن ، والافكار الجديدة تصبح على مر الايام قديمة ولكن الناس نظل متمسكة بها بحكم غريزة المحافظة ومألوف العادة حتى يجيء دافع جديد وهكذا يظل الفكر الانساني متقللاً بوثبات مستمرة والعبقري هو الذي يقوم بنقل الفكر من مرحلة الى مرحلة جديدة ومن مستوى الى مستوى ارفع

كيف أفرهم

النقد الأدبي^(١)

لجبرائيل جيبور

استاذ بدائرة الادب العربي بجامعة بيروت الاميركية

يروى عن سقراط انه قال في دفاعه امام القضاة الذين اقترعت ائینا على انتخابهم لمحاكمته ، كنت أبحث عن الحكمة فاستعرضت الناس الذين عرفوا بها فأخلفوا ظنوني ، حتى اذا بلغت الى الشعراء عرضت اشعارهم امامي ، ودرستها بعناية فائقة ، وحملتها بيدي اليهم اسألهم عما غنوا بها ، واني اخجل ان اقص عليكم الحقيقة ، ولكنني مكره على القول انه لم يكن منهم من استطاع ان يحقق رغبتي ، وصدقوني اذا قلت ان اي واحد في هؤلاء هذه المحكمة يفقه معاني هذه الاشعار ويستطيع التحدث عنها اكثر من الشعراء انفسهم . ويروى من ناحية ثانية عن الشاعر جويقي انه كان يخشى النقاد وانه قال : اقتلوا ناقد الكتب انه كلب . والواقع انها المحفل الكريم ان كلا الرجلين مخطيء ، فليس كل ناقد كلباً فيقتله الشاعر ، ولا كل شاعر يعجز مثل ما عجز شعراء سقراط عن ان يفهم ما يقول . ومن يدري فلعل جويقي يقصد ان النقاد لا ينصفون ، ولعل سقراط اراد ان يظهر للناس ان انتاج الادب شيء ، بينما القدرة على تحليله ونقده شيء آخر ومن زمن سقراط ، الى زمن جويقي ، بل الى زمننا نحن ، وهذه الخصومة بين النقاد والمنتجين توری نارها ، وقدماً قال العنابي : « من قرض شعراً او وضع كتاباً ، فقد استهدف للخصوم واستشرف للالسن الا عند من نظر فيه بعين العدل وحكم بغير الهوى ، وقليل ما هم » ومن أمتع ما يروى عن هذه الخصومة ان احدى الروايات التمثيلية كانت موضوع جدل ومناقشة بين الناس لشيء اثاره بعض النقاد ، وحدث انه بينما كان الممثلون يقومون بتمثيلها ذات ليلة ، بلغت الحماسة بأحد النظارة حدّاً كبيراً ، فأطل من شرفته العليا ، وانحنى ، واذا به يهوي الى القاعة ، وإن الناس لفي دهشتهم ينظرون الى هذا الجسم هاوياً ، اذا بصوت مؤلف الرواية يصرخ : ربي أسقطه على ناقد

وليرون شعر في النقد يقول فيه :

اطلب الورد في كانون ، والتمس الثلج في حزيران
وأمل من الريح ان تستقر ، ومن التبن ان يتحول قمحاً
صدق المرأة او الزخرف ، أو اي شيء زائف
قبل ان تثق بناقد

وقال بعض النقاد في امثال هؤلاء الادباء :

ان مثلهم مثل طائر صغير ساقه القدر فدخل غرفة من مدختها ، حتى اذا بلغ وسطها رآها مغلقة عليه ، ورأى نفسه سجيناً ، وحاول ان يهتدي الى الطريق الذي اتى منه ، فلم يفلح ، فأخذ يضرب النوافذ الزجاجية بجناحيه لجهله النافذة التي اتى منها
ولحسن حظ النقد انه لا يحيا عالة على الشعراء واصحاب الكتب ، ولا يستمد منهم الحياة بل انه يستمد بقاءه من جماهير الناس الذين يتذوقون الادب ولكنهم لم يؤثروا عبقرية الشعراء ولا نبوغ النقاد
ويجب ألا ينكر اثر النقد في توجيه بعض المؤلفين والشعراء الى السبل القويمة ، وتبئيرهم الى مواطن الضعف في أقوالهم ، ليتجنبوها فيما يصدر عنهم بعد ذاك ، فكم من كاتب استفاد من آخر بعرضه أمامه ما كتب ، ولا سيما اذا كان كلاهما خيراً في الموضوع الذي يبحث فيه ، حتى زعم بعضهم ان كثيرين من الروائيين المشهورين لم يحرزوا مكانتهم الكبرى الا بعد ان دفعتهم نظرات النقاد الى سلوك السبل القويمة ، ولهذا كان « هوراس » على حق حين قال : ان النقد حجر المسن فهي وان لم تقطع فلها تشخذ الحديد

وفائدة النقد بين الجمهور ، انه اعلان سيار بينهم ، ينقل الاخبار عن الكتب والشعار ، فيشوق الناس لمطالعتها ، ويمهد السبل الى الناس لفهمها وتذوقها ، ويرفع مستوى الثقافة الأدبية الفنية الى حد يصبح معه من الممكن ان تظهر عباقرة الفن ويظهر معهم من يقدرهم قدرهم ، او كما قال أناتول فرانس : ان الناقد يستطيع ، وهو يطوف رياض روائع الفن ، ان يسهل على الناس ارتيادها ، فيهيء لهذا مجلساً ، ولذلك متكا ، بحيث يمكنهم ان يستمتعوا بجماهاها الأخاذ .
ويمكن للنقد سواء أمن النوع الهدام كان ام من النوع الذي يكون رائده المنطق والعدل ، ان يكون لذاته أدباً يقرأ ، وقفاً يستجلى جماله . وبعد فقد آن لنا ان نحد النقد

جاء في المعاجم : « نقد الشيء ينقده نقداً اذا نقره بأصبعه كما تنقر الجوزة ، ونقد الطائر الحب ينقده اذا كان يلقطه واحداً واحداً ، ونقد الرجل الشيء بنظره ونقد اليه اختلس النظر نحوه . وفي حديث أبي الدرداء : « ان نقدت الناس نقدوك ، وان تركتهم تركوك ، اي

ان عبتهم واغبتهم قابلوكم بمثله . « ونقد الدراهم اذا ميز جيدها من رديئها »
ولعل هذا التحديد الاخير هو اقرب ما يكون الى ما فهمه العرب القدماء من النقد الادبي.
حكى ابن رشيق ان رجلاً قال لخلف الاحمر : ما ابالي اذا سمعت شعراً استحسنته ، ما قلت انت
واصحابك فيه ، فقال له : اذا اخذت درهماً تستحسنته ، وقال لك الصيرفي انه رديء هل
ينفعك استحسانك اياه ؟ . وقال الجمحي :

« وللشعر صناعة وثقافة يعرفها اهل العلم كسائر اصناف العلم والصناعات ، منها ما يتفقه
الأذن ، ومنها ما يتفقه اليد ، ومنها ما يتفقه اللسان من ذلك التؤلؤ والياقوت ، لا يعرف بصفة
ولا وزن دون المعاينة ممن يبصره ، ومن ذلك الجبهة بالدينار والدرهم لا تعرف جودتهما بلون
ولا مس ولا طراوة ولا دنس ولا صفة ، ويعرفه الناقد عند المعاينة ومنه البصر بانواع
المتاع وضروبه وصنوفه ، ما تشابه لونه ومسه وذرعه واختلاف بلده ، حتى يرد كل صنف منها
الى بلده الذي خرج منه ، وكذلك بصر الرقيق ، فتوصف الجارية فيقال : ناصعة اللون ، جيدة
الشطب ، نقية الثغر ، حسنة العين والأنف ، ظريفة اللسان ، واردة الشعر ، فتكون بهذه الصفة
بمئة دينار ، وبمئتي دينار ، وتكون أخرى بالف دينار ، والف دينار ، ولكن لا يجد
واصفها مزيداً على هذه الصفة »

« ويقال مثل ذلك في المغنين ، يعرف ذلك أهل العلم به ، عند المعاينة والاستماع ، بلا صفة ينهي
اليها ، ولا علم يوقف عليه ، وان كثرة المدارس للشيء لتعين على العلم به وكذلك الشعر يعرفه أهل
العلم به » وقال ابن رشيق : « سمعت بعض الخذاق يقول : ليس للجودة في الشعر صفة ، انما
هو شيء يقع في النفس عند المميز كالفرند في السيف والملاححة في الوجه ، وهذا راجع الى قول
الجمحي بل هو بمنه وإنما فيه فضل الاختصار »

ومن المتع أن تعلموا أن الخطاب في بعض مدتنا يبعثون امهاتهم وأخواتهم أو غيرهن من
قربياتهم لينقدن لهم العروس ، فينظرون الى محاسنها ومساوئها ، ويزاولن اختبارها ويصدرن
عليها احكامهن

واذا كانت المعاجم العربية القديمة لم تعرض لتحديد النقد الادبي ، فإن كتب الادب قد
النقت اليه كما لاحظتم ، وقد سموا بعض أئمتهم في العصور القديمة ، قالوا : « وقد كان ابو عمرو
ابن العلاء واصحابه لا يجرون مع خلف الاحمر في هذه الصناعة في النقد ، ولا يشقون له
غباراً لفاذه فيها وحذقه بها واجادته لها »

أما التحديد الحديث للنقد الادبي فنستطيع أن نجمله بقولنا :
انه فن تحاول فيه — وانت خال من الغرض والهوى — أن تحكم على الاشياء الفنية

الادبية بعد فهم خصائصها ومزاياها ، ثم تعرض للناس هذا الحكم في قالب فني ادبي . فهو ينطوي قبل كل شيء كما تلاحظون على فهم الأثر الادبي وادراك الجمال ، أو القبح الذي فيه ثم ينتقل الناقد الى اصدار الحكم ، وقد تجرد من ميوله وتزعاته الخاصة ، ثم يصوغ هذا الحكم في عبارة فنية يعرضها على الناس

ولعل أوجز تحديد في نظري للنقد الادبي هو تطبيق علم الجمال على الادب ، ومن الخير أن نلاحظ ايضاً أنه متى عرضنا هذا النقد الادبي في قالب فني اصبح النقد الادبي نفسه ادباً وأصبح الناقد بدوره اديباً واذن فكل ناقد ادبي اديب ، ولا يعكس ! فليس كل اديب ناقدأ أما الرأي الشائع عند بعض الناس من ان النقد هو اظهار المساوىء فقط وأنه لا يعرض للمحاسن فهو رأي مغلوط اذ ليس هناك شيء يخرج عن نطاق النقد أو فوق النقد مهما يبلغ من الكمال والروعة ، ولكن هناك اشياء ادنى من النقد ، اذا كانت سخيفة وكان في نقدها مضیعة لوقت الناقد والقراء

ومن البدهي أن النقد لا يمكن أن يكون قد عرف قبل الاتاج الادبي ، ذلك أنه لا يمكن للناقد أن ينقد في الهواء بل لابد من اثر ادبي بين يديه ولا نستطيع ان نتصور ان النقاد بدأوا عملهم في الخيال كأن نزعهم تصوروا وجود قطع ادبية ثم حاولوا نقدها اذ ان مجرد تصور اثر ادبي دليل على أن الاتاج قد سبق هذا التصور ولا يمكن للخيال مهما يخلق ان يصل الى ما لم يجتبره الانسان أو يسمع به واذن فالنقد قد عرف بعد الاتاج . وهناك خطوة تفصل بينهما وهي التذوق والاستيعاب والتلذذ بما تقرأ أو تسمع ، وهي الخطوة التي انتقل فيها الادب من طور الاتاج الى طور الاستمتاع به ، وقد بدأ النقد الادبي كما تلاحظون منذ حاول الناس ان يفضلوا اثرأ ادبيأ على آخر ، وليس من شك في ان تفضيل الناس اول الامر لم يزد على أنه تعبير عن شيء احسوه ولم يستطيعوا ان يتلمسوا أسبابه ، وهو التفضيل المبهم ، ويظهر لي مع الأسف ان كثيراً من نقادنا لا يزالون في هذا الطور . وحسبي ان أوجه انظاركم الى أكثر مقدمات الدواوين الشعرية في هذا العصر ، فترون فيها ان الشاعر الذي كلفوا ان يكتبوا عنه هو شاعر عصره وفريد دهره ، طاوعته البلاغة وانقادت اليه القوافي ، وهو فوق ذلك اشعر الشعراء بلا منازع . فاذا تركت مقدمة ديوان الى مقدمة ديوان آخر رأيت الكلام نفسه لناقد آخر في شاعر آخر ، او للناقد نفسه في شاعر آخر ، وبذكرني هذا بقصة تروى عن مروان ابن ابي حفصة قالوا انشد يوماً امام جماعة شعراً لزهير ، ثم قال : زهير والله اشعر الناس ، ثم

أنشد للاعشى فقال : الاعشى أشعر الناس ، ثم أنشد شعراً لامرئ القيس فقال : امرؤ القيس أشعر الناس ، ثم قال : والناس والله أشعر الناس . وأظنه يعني انهم اشعر الناس حين ينشد شعراً وكذلك يعني اصحابنا في هذه المقدمات ، اما اذا اردت ان تعرف آراءهم في الشعر فقد كلفت نفسك شططاً . فالشعر عند صاحب مقدمة ديوان حافظ مثلاً ، ظرف الحكمة ومسرح الخيال ومعنى الفصاحة وخدر البلاغة ووعاء الحقيقة . قال الدكتور طه حسين « ان كنت قد فهمت من هذا الكلام شيئاً فانت موفق سعيد ، اما انا فلا ارى فيه الا اثره وتكراراً ، كلام مرصوف ولفظ مصفوف لامزية له إلا انه منقح مختار »

وارتقى النقد من طور التفصيل المبهم واصبح اختياراً يستطيع معه الناقد ان يصطنع الاسباب والمبررات ، ويستند الى عوامل منطقية وتاريخية يرى لها الاثر الاكبر في تفكيره واحكامه : اي اصبح للنقد في هذا الطور أساس يرتكز عليه ، قوامه بالاكثر النقل والعقل

اما النقل فذلك حين كثرت النتاج الادبي وتعددت فروعه واصطلح الادباء على تقسيمه وتبويبه وتنظيمه فصار الناقد يحكم هذه النظم والتقسيمات الموضوعية مرغماً في اغلب الاحيان ان يلتفت في نقده اليها ، ويتدرج منها الى النظر في الاثر الذي بين يديه ، فيتساءل مثلاً اي شبه بين هذه القصيدة والشعر الغنائي ، او اي شبه بين هذه القصة وقصص الادب القديم ؟ وهو يحكم هذا مضطراً ان يكون قد ألمّ بأنواع الادب المختلفة ونظمها وخصائصها فناً وفناً ، ويحاول ان ينقل منها الى الاثر الذي بين يديه وهو ما نسميه النقد المبني على كيان الادب وهو في رأيي على علو شأنه نقدياً لم يسبق على نظرية فلسفية صحيحة ويكفي ان يكون مصدره النقل حتى ينهار اكثر بنائه . ولندكر ان هذه النظم لم توضع قبل الادب ، بل استمدت منه ، اي ان النقاد القدماء درسوا النتاج الادبي القديم ، ورأوا خصائصه المشتركة ومزاياه المستقلة ، فبووها ونظموها واستمدوا منها النظريات وجعلوها قاعدة يبنى عليها النقد فيما بعده فاذا كانت الدراما التي مثلت في العصور القديمة مثلاً لم تزد او تنقص عن خمسة فصول فيجب على الدراما الحديثة ان تنقيد بهذا الشرط . واذا كانت الملاحم مثلاً قد حوت خصائص خاصة واقتضت ابياتاً كثيرة من الشعر فيجب على كل ملحمة حديثة ان تحوي مثل هذه الخصائص ، وما يقرب من عدد تلك الايات ، ولا اظني بحاجة الى التدليل على فساد هذه النظرية في هذا النوع من النقد . ويكفي ان اذكر لكم ان ارسطو كاد يحتم على الرواية التمثيلية ان تتم حوادثها في أربع وعشرين ساعة في يوم واحد - وان يوماً عند ربك كآلف سنة مما تعدون

أما النوع الثاني من النقد فقد اصطالحوا على تسميته بالنقد الاساسي . وهنا ينقلب الامر فلا يلتفت الناقد الى الادب بوجه عام ، ولا تهتم النظم التي استمدت منه ، بل جل غايته درس المزايا

التي يراها في الأثر الأدبي الذي ينقده من حيث الموضوع واللغة والاخراج والأثر الذي يحدثه في النفس وغير ذلك

فالنقد هنا عبارة عن محاولة يحاول بها الناقد ان يستفهم من الأثر الأدبي نفسه عن امور ، ثم يسعى هو نفسه ان يحجب عنها مستمداً افكاره مما بين يديه محكماً عقله فيما يصدر عنه من جواب ، اي ان غرض النقد هنا هو فهم كل شيء وقدره قدره ، وهو يستند كما لاحظنا الى العقل لا الى النقل والى الذوق الخاص في فهم الجمال وتذوقه لا الى المصطلحات والنظم . ولكن أيكفل الذوق الخاص وحده الوصول الى الحكم الصائب عن الأثر الأدبي ؟ سنرى ذلك بعد حين .

وتستطيعون اذا شئتم ان تقسموا النقد الى مناحٍ اخرى مختلفة فتذكرون المنحى التاريخي مثلاً وتزعمون بحق اننا لا نستطيع فهم أدب عصرٍ ما دون درسٍ كثير من العوامل الخارجية في ذوق ذلك العصر وانتاجه ، فنحن لا نفهم الأدب الجاهلي مثلاً دون ان نعرف الخصومات بين قبائلهم ، او الأدب الأموي دون ان نكون قد ألمنا بهذه الفتوحات العربية وما استتبعته من عناصر جديدة دخلت في حياة الشعراء ، او الأدب العباسي دون ان نلاحظ قبل ذلك تطور العلم وخضوع العرب للثقافة العالمية الفارسية واليونانية

كذلك قولوا في آداب الأمم الأخرى ، فليس هناك من ينكر أثر انتصار الانكليز على اسطول اسبانيا « ارمادا المنيع » في الأدب الانكليزي في عصر اليبابات ، وليس هناك من ينكر أثر دك الباستيل في كتاب فرنسا الرومنطيين

وتعمقون في درس هذا المنحى فتصلون الى فروع له قد تستقل بعضها عنه استقلالاً تاماً ، وتشاهدون منحى بيئياً ترون فيه من الحتم ان تدرسوا بيئة الشاعر او الاديب وحياته الخاصة التي عاشها مع اهله وذويه ، وتشاهدون منحى سيكولوجياً ترون فيه من اللازم ان تعرفوا الى اخلاق الشاعر وصفاته وهيئته قبل ان تستطيعوا فهم شعره ، وربما يعرض امامكم من يلوح بالمنحى النظمي الذي ألمنا اليه والذي يفرض عليكم ان تدرسوا نظم الأدب التي وضعها القدماء وسنمها الاجيال قبل ان تلتفتوا الى الأثر الأدبي الذي بين ايديكم

وتستطيعون ان تذكروا المنحى المثالي اذا جاز لي هذا التعبير فتزعمون اننا لا نستطيع تقدير الأدب ما لم يكن ينزع الى مثل أعلى وغاية عظمى ، وتستعرضون الأدب في اكثر اطواره فترونه يتأثر بالمثل العليا التي وضعها الدين وسنمها علم الاخلاق وتلاحظون ان الفضائل والحكمة كادت تستأثر فيه

وهنا يعرض امامنا اصحاب المنحى التأثري ، فنسمع غويته يقول اذا قرأت اثرأ ادبياً واستسامت لتأثيره فيك فيجئذ فقط تستطيع ان تستسيغ ما فيه وتصل الى حكم عادل عنه ويقول لك غيره من اتباع هذا المذهب: بين يدي اثر ادبي حاول فيه صاحبه ان ينقل اليّ اختباراً خاصاً مستعيناً بألفاظ خاصة وأسلوب خاص ، ففي قراءته متعة لي ولذة فنية . وفي هذه اللذة او اللذة وحدها يستطيع ان احكم عليه ، وكل ماوسعني هو ان اصف هذه اللذة واثر هذا الانتاج الادبي فيّ وباستطاعة غيري ان يستمد منه لذة تختلف عن تلك التي اشعر بها وباستطاعته ان يصفها كما يشاء . وفي وسع كل منا اذن ان ينتج انتاجاً فنياً جديداً يصف فيه اختباراً جديداً يشغل محل الانتاج الذي قرأه . هذا هو فن النقد وتلك هي حدوده التي لا يتعداها . فاذا اعترض معترض وقال : وما يعني من الأثر الذي احدثته فيك هذه القطعة وما شأني وما فعلت بك مثلاً « قفا نيك » ؟ فانا إنما اريد ان افهم القصيدة وانت تبعدي عنها وتقربني اليك . قال : نعم ! ولكن اي نقد لا يبعدك عنها او اي منحى مما تعرف لا يدنيك الى غيرها ؟ أأنت مضطراً في المناحي الأخرى ان تدرس — اذا استعرضت « قفا نيك » هذه — العصر الجاهلي ؟ أأنت مضطراً ان تدرس حياة امرىء القيس ؟ بلى وانت مضطر بعد الى التعرف الى اخلاقه ، وهكذا فانت تدرس متى عاش ، وابن عاش ، وكيف عاش ، وكيف كان الناس الذين عاش معهم ، ونهج ايمهم نهج ، وما هي صفاته واخلاقه ، وكل هذه تبعدك عن القصيدة ، وكذلك قل في المنحى النظامي المبني على الآثار الفنية الأخرى التي لم تسألني عن اثرها الفني في نفسي ولا عن اللذة التي استفيدها منها

النقاد الآخرون يصورون لي التاريخ والسياسة وحياة الرجل وأخلاقه ويشرحون لي نظم الادب القديم ، اما انا فرغبتني هي ان اغمض عيني لأحلم الحلم الذي حلمه صاحبي والتذنيه ، فاذا رأيتني اشرح لك هذه اللذة فذلك لانني لسوء حظي قد استيقظت من حلمي وتراني ابسم ان هذه اللذة التي شعرت بها كانت حلماً لا حقيقة وقد يبدو لأول وهلة ان موقف اصحاب هذا المنحى التأثري منيع ، ولكن هناك فيما أرى ثغوراً في حصنهم هذا الذي امتنعوا فيه نستطيع ان نهجمهم منها ، وهنا اعود الى مسألة الذوق الخاص الذي تركته منذ حين

وأريد قبل كل شيء ان اقرر هنا مبدأين رئيسيين يعنيهما تفههما عن متاعب كثيرة في النقد ومن الغريب انهما متناقضان في الظاهر متفقان في الواقع ، فأما اولهما فهو ان الناس جميعاً متشابهون مهما اختلفت ازمنتهم او تناءت بهم امكنتهم ، واما الثاني فهو ان الناس جميعاً مختلفون مهما اشددت وجوه الشبه بينهم . فتستطيعون ان تقولوا ان العواطف البشرية واحدة في كل زمان

ومكان ، وانما تختلف باختلاف المؤثرات فيها . وهذا الاتفاق وهذا الاختلاف هما سبب وجود نوعين من الذوق

فانتم تعلمون مثلاً ان الاقطار العربية تشترك بأذواقها في كثير من الامور فتكاد جميعها مثلاً تعجب بالشعر وتطرب له وتقدر المروءة والكرم وحرمة الجار ، وانتم تعلمون ايضاً ان هذه الاقطار نفسها تختلف كثيراً فيما بينها بالنظر الى امور اخرى ، ففي اشتراكهم نرى ذوقاً عاماً وفي اختلافهم نرى اذواقاً خاصة . وقد تضيق هذه الاذواق الخاصة فتتصغر في المدن . فتقول مثلاً ان ذوق الشاميين غير ذوق اهل بيروت . وقد تضيق اكثر . فتقول مثلاً ان ذوق طلبة جامعة بيروت الاميركية غير ذوق غيرهم من طلبة بيروت . وقد كان الناس الى حين يميزون طلبة هذه الجامعة من سيرهم في شوارع المدينة عراة الرؤوس . وقد يضيق هذا الذوق نفسه فينحصر في الافراد . وهنا يتجلى في اقوى مظهره . ولكن ايكفي هذا الذوق الخاص للحكم على الادب ؟ والجواب . لا ! لانه لا يزال جزءاً من الذوق العام يختلف احياناً عن سائر اجزائه . وهذا الاختلاف او الاتفاق يجب ان لا يكون العامل الاوحد في الحكم على قيمة اثر الفني ، ثم ان كلا الذوقين الخاص والعام لا يمكن ان يحلا محل العلم ولا هو معلمهما بل لا بد من وجودهما كليهما في النقد الحقيقي ، اريد ان اقول ان الذوق الخاص على اهميته لا يمكن ان يكفي لتقرير الاحكام على الاثر الفني حتى ان اتفق في الجوهر مع الذوق العام ، وأنا لا اعني هنا ذوق عامة الناس بل اعني ذوق عامة الادباء . لان احكام عامة الناس يجب ان لا تتخذ مقاييس لنقد الادباء

واذن فان للنقد فيما ارى لونين مختلفين . او كما وصفهما بعض ادباء الغرب . جنسين . لا يستطيع النقد ان يعيش ويستمر دون وجودهما معاً كما ان البشرية لا تستطيع البقاء طويلاً دون ان يكون فيها جنسان متباينان يتم الواحد الآخر

فقد يقوم على نظم وأسس تعارف عليها العلماء وقد تأثر بها الذوق العام . ونقد قوامه اللذة التي تحس بها وانت مغمور بروعة الفن الذي تستجليه مقرونة الى عوامل اخرى متعددة كوث فيك ما نسميه بالذوق الخاص . فالذوق العام هو الذي يعطي النقد الادبي حظاً من الموضوعية . والذوق الخاص هو الذي يعطيه حظاً من الذاتية :

ونستطيع بعد ان نقسم النقد الى نوعين : علم وفن . او الاولى ان نقول ان النقد ينتحل صفتين صفة العلم وصفة الفن . فالنقد وهو تعبير عن النفس وبحث عن الحقيقة والجمال لذوقهما ينتحل صفة الفن . والنقد وهو فحص لتعبير الغير وطرقه ومحاولة معرفة اصوله ومصادره ينتحل صفة العلم

[للبحث بقية]

الغ بك

بين الحكيم والعلم

نقرى حافظ طوقان

نشأ الغ بك في القرن الخامس عشر للميلاد في بيت اماره وسليطان فقد كان والده يحكم
بلاداً كثيرة ومقاطعات واسعة واتخذ هراة مركزاً له وعاصمة للملكة

ولد في سلطانية عام (٧٩٦ هـ — ١٣٩٣ م) وظهرت عليه علامات النجابة والذكاء مما
حدا بوالده أن ينصبه اميراً على تركستان وبلاد ما وراء النهر ولما يبلغ عشرين عاماً . وقد جعل
الغ بك سمرقند مركزاً لأمارته وبقيت كذلك زهاء ٣٩ سنة استطاع فيها أن يقوم بأعمال
جليلة ويسدي خدمات جليلة للعلوم والفنون على الرغم من اضطراب الحالة ومحاوله بعض الأمراء
ازعاجه بالتعدي على حدود بلاده . ولولا والده الذي احاطه بعنايته وعمل على دفع كل اعتداء
عليه لما استطاع أن يصمد للصعاب التي كانت تتناوبه بين آونة واخرى

وفي منتصف القرن الخامس عشر للميلاد (حوالي ٨٥٠ هـ — ١٤٤٧ م) توفي والده
وانتقل الحكم اليه وجلس على عرش هراة . ومن هنا بدأت النكبات بالانصباب عليه من كل
جانب فقام بعض امراء الولايات يطلبون الانفصال كما قام آخرون يكيّدون له ليؤوّل العرش
الى ابنه عبد اللطيف . ومن الغريب ان امّه كانت تسند هؤلاء وتعصدهم فظن (الغ بك)
انها تعين علاء الدولة وهو مطالب آخر بالعرش فسجنها وكان ذلك بعد وفاة والده شاهرخ
بأيام قلائل ، « .. وذهب بها سجينه الى سمنان ثم غادر المدينة الى هراة ففتحها ونادى بنفسه
حاكماً عليها .. » (١) ثم حدث بعد ذلك أن قام بعض الأمراء فاستولى اّحدهم على شيراز واستولى
آخر على كابل وغزوة وثالث على جرجان ومازندران وأحاطت به الصعاب وتخللها حروب
دائمة ومعارك حامية انتهت بالقضاء عليه . فلقد ثار ولده عبد اللطيف واستولى على بلخ وهزم اّباه

وأخاه عبد العزيز عند شاهر خيه وقد سلم أباه (الغ بك) الى عبد فارسي يدعى عباساً فقتله بعد محاكمة صورية وكان ذلك عام (١٨٥٣ هـ - ١٤٤٩ م) بعد ان حكم عامين وثمانية أشهر . ويرجع العلماء سبب ما وقع بين الغ بك وولده عبد اللطيف الى اعتقاد الاول بالتنجيم فلقد دلته أحكام النجوم على ان الثاني (أي ولده) سيثور عليه ويقتله ، ولذلك كان يرى المصلحة في ابقائه بعيداً عنه مما أدى الى تأصل حقد وشحناء بين الاثنين . ويرى بعض الباحثين ان الابعاد لم يكن العامل الوحيد لما حدث بينهما فهناك عوامل أخرى لا تقل شأناً عن (الابعاد) فلقد وضع (الغ بك) اسم ابنه عبد العزيز بدل اسم عبد اللطيف في وصفه لوقعة (رباب) « ويقال ايضاً ان الأب رفض ان يعيد لابنه ما كان يحفظه في هراة من مال وسلاح . . . » (١)



أما في ميادين العلوم والفنون فقد كان الغ بك أكثر توفيقاً، ولا شك انه لولا ما انتاب حكمه من محن ومصائب ولولا انشغاله في دفعها والوقاية منها — وقد استغرقت كثيراً من جهده ووقته — لولا هذه لتقدمت بعض فروع المعرفة أكثر من التقدم الذي أصابها في عهده ولكان النتائج العالمي أغزر وثمار المواهب أبلغ .

كان صاحبنا أديباً له مشاركة في العلم والفن « وقد حقق احلام تيمور بأن جعل سمرقند مركز الحضارة الاسلامية . . . » جمع فيها كثيراً من فحول الادباء وكبار الرياضيين وأعلام الهيئة أمثال جمشيد وقاضي زاده رومي والشاعر عصمت البخاري وميرم چلي وطاهر الايوردي ورسم الخورياني ومعين الدين القاشاني وغيرهم

أنشأ بسمرقند مدرسة عالية بها حمام مزخرف بالفسيفساء البديعة وعهد بإدارتها الى قاضي زاده رومي . وبنى مرصداً زوده بكل الآلات والادوات المعروفة في زمانه وقد زين احدى دوائره بنقوش تمثل الاجرام السماوية المتعددة جاءت غاية في الاتقان والابداع فأمره الناس من مختلف الجهات للفرج عليه وكان في نظرهم إحدى عجائب الدنيا . امتاز هذا المرصد بآلاته الدقيقة ويقول صالح زكي : « . . . وامتاز المرصد بآلاته الكبيرة وهي من الدقة على جانب عظيم وفيها ربع الدائرة التي استعملت لتعيين قطب ارتفاع النقطة الموجود عليها المرصد . . »

ويقول (L. Bouvat) : «... واستطاع المترجم (اي ألغ بك) في اثناء عمله معهم (اي مع كبار الفلكيين) استنباط آلات جديدة قوية تعينهم في بحوثهم المشتركة...»

وقد بُدئت الارصاد عام ٧٢٧ هـ وفُرج منها عام ٨٣٩ هـ وعُهد لغيث الدين جمشيد وقاضي زاده رومي باجراء الارصاد بقصد تصحيح بعض الارصاد التي قام بها فلكيو اليونان اذ رأى أن حساب التوقعات للحوادث على ما قرره بطليموس لا يتفق والارصاد التي قام بها هو وكان من ذلك زيجه السلطاني الجديد الذي يقول بشأنه صاحب كشف الظنون : «... زيح ألغ بك محمد بن شاهرخ اعتذر فيه من تكفل مصالح الامم فتوزع باله وقل اشتغاله ومع هذا حصر المهمة على احرار قصبات طريق الكمال واستجاع ماثر الفضل والافضال وقصر السعي الى جانب تحصيل الحقائق العلمية والدقائق الحكيمة والنظر في الأجرام السماوية فصار له التوفيق الا لآسهي رفيقاً فانتقشت على فكره غوامض العلوم فاخترار رصد الكواكب فساعدته على ذلك صلاح الدين المشتهر بقاضي زاده الرومي وغيث الدين جمشيد ، فاتفق وفاة جمشيد حين الشروع فيه وتوفي قاضي زاده ايضاً قبل تمامه فكمل ذلك باهتمام ولد غياث الدين المولى علي بن محمد القوشجي الذي حصل في حداثة سنه غالب العلوم فحقق رصده من الكواكب المنيرة اثبتته ألغ بك في كتابه...» (١) وبذلك استطاع ألغ بك أن يكمل زيجه المشهور (زيح كوركاني) او (زيح جديد سلطاني) الذي بقي معمولاً به ومعترفاً بقيمته بين المنجمين في الشرق والغرب بضعة قرون (٢) وعلي القوشجي المذكور ذهب الى بلاد الصين باذن ألغ بك وضبط قياس درجة من خط نصف النهار ومقدار مساحة الارض (٣) . ويحتوي الزيح السلطاني على اربع مقالات :

- الاولى : في حساب التوقعات على اختلافها والتواريخ الزمنية وهي على مقدمة وخمسة ابواب . وقد أبان في المقدمة الباعث الى وضع الزيح كما اشاد بفضل الذين عاونوه
- الثانية : في معرفة الاوقات والمطالع في كل وقت وهي اثنان وعشرون باباً
- الثالثة : في معرفة سير الكواكب ومواضعها وهي ثلاثة عشر باباً
- الرابعة : في مواقع النجوم الثابتة

(١) كاتب — كشف الظنون ج ص ١٣ — ١٤

(٢) سمث — تاريخ الرياضيات — ج ١ ص ٢٨٩ وكتاب تراث الاسلام ص ٣٩٤

(٣) سيدو — خلاصة تاريخ العرب — ص ٢٣٢

ويعترف صاحب كشف الظنون وصالح زكي ان هذا الزيج هو من أحسن الازياج وأدقها .
وقد شرحه ميرم جلبي وعلي القوشجي واختصره الشيخ محمد بن ابي الفتح الصوفي المصري (١)
وطبع لأول مرة في لندن (٢) سنة ١٦٥٠ م ونقل فيما بعد الى اللغات الاوربية ، ونشرت جداوله
في الافرنسية سنة ١٨٤٧ م (٣) كما نشر (كنوبل) ثبت النجوم بعد ان راجع جميع
المخطوطات في مكتبات بريطانيا وأضاف حاشية عربية وفارسية وكان ذلك عام ١٩١٧ م (٤) .
ويقول سيديو عن اعمال ألغ بك الفلكية : « . . . فكانت تنمة ضرورية للاعمال الفلكية
المأثورة عن العرب .. » واشتغل صاحب الترجمة ايضاً بالمثلثات وجداوله في الجيوب والظلال
ساعدت على تقدم هذا العلم (٥) واعتنى بفروع علوم الرياضيات الاخرى ولا سيما الهندسة وله
فيها جولات وكثيراً ما شغل نفسه في حل اعمالها العويصة ومسائلها المعقدة . ولم يقتصر اهتمام
ألغ بك على الفلك والرصد والرياضيات بل تين لنا من سيرته انه كان فقيهاً أكب على دراسة
القرآن الكريم وحفظه وجوده على القراءات السبع . وفوق ذلك شغف بالشعر وقرَّب الشعراء
واتخذ احدهم شاعراً لنفسه ، وعني بالتاريخ ووضع في تاريخ ابناء جنكيز خان الاربعة كتباً بعنوانه
(اوغوسي اربع جنكيزي) ويقول L. Bouvat : « . . . ويظهر انه ضاع ولو بقي لأصبح جليل
القيمة في تاريخ ابناء جنكيز خان . . . » (٦)

وقبل الختام لا بد لنا من الاشارة الى ان ألغ بك كان عمراً نياً ذا ذوق فني وقد دفعه
هذا الذوق الى العناية بالبناء فشيده (الخانقاه) التي فيها أعلى قبة في العالم والمسجد المقطع وزخرف
داخله بالخشب المقطع الملون على النمط الصيني ومسجد شاه زنده « والقصر ذا الاربعين
عموداً بأبراج اربعة شاهقة والمزين بصف من عمد المرمر . . . » وأبنية أخرى كقاعة العرش او
(الكرمشخانه) و (جيني خانه) ملأ حوائطه بالصور والنقوش الصينية (٧)

- (١) كاتب جلبي - كشف الظنون ج ٢ ص ١٤
- (٢) تراث الاسلام . ص ٣٩٧
- (٣) سمث تاريخ الرياضيات - ج ١ ص ٢٨٩
- (٤) دائرة المعارف الاسلامية - مج ٢ ص ٥١٥
- (٥) سمث تاريخ الرياضيات - مج ٢ ص ٦٠٩
- (٦) دائرة المعارف الاسلامية مج ٢ ص ٥١٣
- (٧) راجع دائرة المعارف الاسلامية مج ٢ ص ٥١٣ - ٥١٤

الشعر والثقافة

لعمير الرصحن شكرى

وقد ظهر أثر ثقافة جويتي ومذهبه في قصائد عديدة مثل قصيدة (التجدد في حياة الأمم)
ومنها في مذهب التجدد بالثقافة : —

حياة الناس إما ماء نهر فيصلحه التدفق والمسير
وإما ماء آجنة كثير قذاه ويأجن الماء الطهور
ومثل قصيدة (الايمان والقضاء) ومنها :

سكنات الايمان برء من الحزن وماوى لهارب من قضاء
يلج النفس بالثبات وبالغز م ويطوى جوانب الضراء
ومثل قصيدة (الحياة والعبادة) ومنها :

أكذب الدين ما ينم قوى النفس كما يخرس الرياح الركود
انما الدين ان يجد مجد أو السعي أو يجد مجد
وقصيدة (الفلق والغفلة) ومنها :

إن عتياً على القضاء سفاة غاب عنه مطالع النماء
وقصيدة (الحياة والعمل) ومنها :

والعيش سر أنت باحثه فعسى تجوب مجاهل السُّبُل
والنَّجْحُ ليس بنجى مكدسب كم نجحة شر من الفشل

وقصيدة (الباحث) الطويلة وهي تقديس لبحث الثقافة والعمل في الحياة وهي من أثر

جويتي من الناحية الثقافية ومن أثر شلي من ناحية الطموح الى المثل العليا ومنها : —

أنشد الحق بالتَّعَلُّبِ في العيش وأبني سريرة الأشياء

والانسان الحيايى الموصوف في القصيدة بانه قد خلدته البحث فيه التفات ايضاً الى فكرة

اليهودي النائه المحروم من الموت عقاباً. ومن القصائد التي دعت اليها الثقافة ايضاً قصيدة (الامل)

الطويلة و (المجاهد الجريح) و (الانسان والكون) و (الانسان والزمن) التي مطلعها : —
حيوانٌ مُهَذَّبٌ أم آله مُعَذَّبٌ

وقصيدة (قوة الفكر) وقد نشرت الاخيرة في المقطم ولعل قصيدة (الأمل) من أحسن ما كتبت من الشعر

(٣) والمصدر الثالث لثقافتني الجديدة كان المصدر الجامعي وكنا ندرس التاريخ والجغرافية والاقتصاد والنظريات السياسية ونُظِّمُ الحُكْمَ وقد درست فيما درست تاريخ الأغريق والرومان وآدابهم وحياتهم وتاريخ فنونهم في طبعة بوهن وغيرها وكان لهذه الدراسة اثر فيما قلت شعراً ونثراً . فمن قصائد هذه الثقافة قصيدة (الجمال والعبادة) وفيها وصف عبادة الاغريق القدماء للجمال في مظاهره المختلفة مما ادى الى تخليف آثار جميلة من المعابد والتماثيل ومن هذه القصيدة

كم أُمّةٍ احكمت بالحسن دولتها فَيَخْلَفْتُهُ وَأُودَى بِجَدِّهَا الْفَانِي
تلك التماثيل ام هذي المعابد ام تلك الفنون عليها خير عنوان
ياربِّ مَرَأَى لثامها ورُبَّ مَنِيٍّ فيها وحسن قديم العهد (يوناني)
لم يحبس المرء عن آماله فَرَقَّ منها ولم يَنْتَهِ عَن عَزْمِهِ ثَانِي
لم يُزِرْ بِالْحَقِّ حُبُّ الْحَسَنِ يَنْهَمُ فَالْحَقُّ وَالْحَسَنُ إِنْ فَكَّرْتَ سَيَّانُ (١)

ومن مظاهر هذه الثقافة قصيدة (ام إسبرطية) قتلت ابنها لحينه عن الدفاع عن إسبرطة وطنه وقصيدة (الحسن والآمال النبيلة) وفيها تمنى النفس تصوير مُثَلِّها العليا في شكل تماثيل كتماثيل الاغريق القدماء . وقصيدة (ايكاروس) العبد الروماني في وصف اثر معاملة الرومان للعبيد في النفوس وقد كان لدراسة الفنون الاغريقية وعبادتهم (٢) للجمال اثر في النفس جعلني اعد الجمال ثقافة وان افهم قول الاديب ولعله رتشارد ستيل : (إن رؤيتها كانت ثقافة سَخِيَّة) . ومن اثر دراسة خرافات الاغريق قصيدة (ليتني كنت إلهاً) والذي يقرأ القصيدة يرى فيها اثر لوسيان الساخر الاغريقي (طبعة بوهن) كما يرى فيها اثر هيني الساخر الالماني ولكن الذي يفصر معناها على اثر الخرافات الاغريقية ولوسيان وهيني يخطئ خطأ كبيراً فان مغزاها الحقيقي بالرغم من اطراء الفنون هو مغزى قصيدة (قصر الفن) للشاعر الانكليزي تينسون والمغزى هو ان قصر أحاسيس النفس على لذات الفنون ، قد يجلب الضرر والفساد كما يُقْرَأُ في الجزء الاخير من القصيدة . ومن أثر دراسة تاريخ الفنون الاغريقية أيضاً قصيدة (الحياة والفنون) ومنها :
من عَلَّمَ المرء في بدايته صُنْعَ مفيد الآلات والقُضْبِ

(١) هذا البيت في الشطر الثاني منه معنى قول الشاعر كيتس الانكليزي

(٢) لم يكن المثقفون من الاغريق يعبدون التماثيل والمراد بعبادتهم للجمال شدة الاعجاب بالفنون

من علم المرء ان يقيم على ال أرض بيوتاً مرفوعة الطب
من علم المرء ان ينال من المزمار والصنج لذة الطرب
يحكي بها ضربه مغازلة العاشق لينا وسورة الغضب
يحكي بها الجذ إذ يجد به الدهر وطوراً كرقصة اللعب
من علم المرء ان يخط على القرطاس لوناً من أعجب العجب
يحكي به الضوء والدياجير وال أجسام من ناضر ومن شحب
كانما يقبس الضياء من الشمس ويأتي بظلمة السحب

الخ الح - ومن أثر دراسة الخرافات الاغريقية ايضاً قصيدة (رجس) وهي انشودة
في موضوع بشيئة قصة نرسيس المعروفة في خرافات الاغريق بعد تحوير في المعنى ومنها:-

رجس أنت الحسن يا رجس تشاقتك الابصار والأنف
تحنو على الغدران مستأنساً يا زهرة في روضها تغرس
تبصر وجه الحسن في ملها بحسنه كل امرئ يأنس
حتى اذا البدر بدا ضوءه زينته في ثوبه الخندس
أفقت في جسم كجسم الدمي يلتذ منه الشم والملمس
كلدر من أصدافه خارجاً والدر في اصدافه يحرس
رجس أنت الحسن يا رجس يقبس منك الطرف ما يقبس الخ الح

(٤) و (٥) والمصدران الرابع والخامس من مصادر ثقافتى الجديدة كانا في دراسة آداب
اللغات الاوربية الحديثة انكليزية او منقولة الى اللغة الانكليزية . فمنها دراسة الادباء الساخرين
امثال هيني وفولتير وسويقت وانا تول فرانس واخيراً سمرست موام . ومنها دراسة الادباء الذين
اشتهروا بتحليل النفس اما في قصص طويلة او قصيرة مثل دكنز وثاكري وتولستوي
وتور جنيف ودستويفسكي وميرجكوفسكي ومثل بالزاك وفلو بيرت وموباسان وبروست وكوزناد
وغيرهم . واصحاب النظرات في كلمات موجزة مثل لارشفو كولد ولا برويير . وانا مدين لهؤلاء
ولكثيرين غيرهم ولا يستطيع احصاء كل أثر لهم لأن اكثر تأثري بهم كان عن غير قصد
ولكني اذكر على سبيل الامثلة ان قصيدة (الحق والحسن) التي نشرت في المقتطف كانت
تعبيراً عن الصراع العنيف الذي قاساه تولستوي بين نشدان الجمال الفني والحقيقة الروحية
والذي دعاه الى رفض كثير من مظاهر الفنون والآداب في كتاب (الفن) الذي ألفه .
وقصيدة (حواء الخالدة) التي نشرت في المقتطف ايضاً بعثني الى نظمها إعجابي بوصف جوزيف
كوزناد لسحر امرأة في قصته (السهم الذهبي) وفيها يتخيل انها جمعت في شخصها سحر النساء

جميعاً قديماً وحديثاً. وقصيدة (عجز التجارب) التي نشرت في الرسالة مؤسسة على فكرة عرضت لبروست ولغيره من القصصيين وهي ان الخبرة والعرفان الذين يكتسبان بالتجارب قلما يتعلبان على طباع الانسان. وقلما ترى قصيدة ليس فيها اثر لاكثر من مفكر. فقصيدة (قيد الماضي) التي نشرت في المقتطف ايضاً بها بواعث من ادباء عديدين فالمطلع وهو

اخذنا عن الماضي قليلاً من النهى واكثر ما نلنا الهواجس في النفس

مؤسس على مبدأ من مبادئ فلسفة الفيلسوف بيرجسون الفرنسي والبيت الثاني والثالث والرابع تلخيص لصفات النفوس التي وصفها الكاتب فردريك بروكوش^(١) في قصة السبعة الذين هربوا والبيت

بناء المعالي كان بالشر قائماً وما طربوا إلا إلى نغم النحس

دعت إليه دواع عديدة فنما ما كان من قراءة قول محمد بن هاني الاندلسي

ولم يتجمع لامرء كان قبله بناء المعالي واجتنب المآثم

ومنها ما كان من أثر قراءة قصة (الدير) لاناتول فرانس وفيها يصف انساناً ذهب الى الدير وتجنب حتى قول الخير وعمل الخير لأنه وجد انهما كثيراً ما يعثان الناس الى عمل الشر. ومن فكاهات اناتول فرانس انه قال لذلك الانسان ساخرأ (لكن ألا تخشى ان يتخذ الناس انقطاعك عن الاقوال والاعمال) حتى ما كان منها خيراً) عقيدة يقتلون بسببها فيكون الشر الذي حاولت ان لا يرتكبه أحد بسبب فعلك أو قولك). ومن دواعي نظم البيت ايضاً وصف الدكتور هافيلوك ايلس في كتاب (رقصة الحياة) لما يخالط معالي الحضارات ومجدها من شرور ودعا اليه ايضاً وصف جورج مور في كتابه (اعترافات شاب) كيف ان جلائل الاعمال الفنية قد مكن من صنعها ارتكاب الشرور في الحضارات المختلفة. والبيت الاخير مثلاً وهو

يقولون ان الحق في النفس قوة وأقوى من الحق الجهالة في النفس

قد بعث على نظمه قول شيلر الشاعر الالماني ويعني آلهة خرافات الاغريق: (عبثاً تحاول

الآلهة ان تقضي على قوة الجهل والغباء)

قد كان من أثر دراسة ادباء السخر أو التحليل نظم قصائد في السخر والتحليل منها (سعار الغرور) و (حلم بالبعث)^(٢) و (خساسة التعاسة) و (سجن الفضيلة) و (قرد النهى) و (جد أم لعب) و (اختفاء الحق) و (وصف الطباع) و (مظاهر الصداقة والعداوة)

(١) في القصص الروسية ايضاً نفوس تشبه هذه النفوس. والظاهر ان بروكوش متأثر بدراسته الادب الروسي أو مزاجه مثل مزاج الكتاب الروس

(٢) أوضحنا ان القصد من قصيدة (حلم بالبعث) نسبة ما كانوا عليه في الحياة من التكالب والتراحم والتقاتل اليهم فهي سخر يعيوب الانسانية

و (النجاح) و (آلة الضمير) و (درع الحياة) و (صديق البلاء) و (مرآة الضمائر) و (صلح الدهر) و (اقوام بادوا) و (عبید الحیاة) الخ .

وقد بقي معي أثر يرون وشلي فقصيدة (الزوج الغادرة) هي (ميلو درامة أو درامة) على نمط قصص يرون و (لسان الغيب) و (الشاعر وصورة الكمال) من أثر شلي . وقد غالى بعض الكتاب في أثر من سموهم الشعراء الطبيعيين وكانوا يرفضون الطبيعة ويريدون تجميلها بالفنون فهي تسمية غير صحيحة . وأعني أثر سوينبورن وبودليير وروزيتي وأوسكار وايلد وأمثالهم . وقد كان يكون غريباً بعد ما شرحت من اسباب تنوع جوانب الثقافة في شعري أن لا يكون لهؤلاء أثر ولكن قصيدة (بين الحب والبغض) لم تكن من أثر سوينبورن بل هي دراسة سيكولوجية دعا اليها قول جميل إن معمر (رمى الله في عيني بثينة بالقذى) . وقصيدة (سلوان الجنون) هي أيضاً دراسة سيكولوجية دعت اليها آيات في كتاب (مصارع العشاق) تبدأ بكلمة (عسى) كما في قصيدتي وقصيدة (الازاهير السود) ليست من أثر دراسة (ازاهير الشر) لبودليير ولكنها انشودة قلت على لسان التعساء وما بها من التشبيهات والاستعارات لها اشباه ونظائر في الشعر العربي . وقصيدة (الازاهير السود) قد عدها ناقد من الطريقة الرمزية وهي ليست كذلك واذ كان بها أثر لبودليير فليس من العقل أن يحتكر بودليير وصف الشقاء . ولا انكر أن في بعض شعر بودليير قوة عظيمة وخيالاً قوياً ولكنه محدود الثقافة متشابه النتاج ولا يصف إلا جانباً واحداً من جوانب الحياة والنفوس وقد منعي من أن اتوغل في هذه المذاهب أو ان اقصر قولي عليها أولاً تأثري بمبدأ الثقافة العامة في قول جوبيتي وقدوته وثانياً اطلاعي على نقد ما كس نور داو لهذه المذاهب ومن أجل ذلك قلما اعرض في قصيدة جانباً من الاحاسيس أو المشاهد إلا واعرض ما هو ضده طلباً للآوازن الفكري ففي قصيدة (النساء في الحياة والموت) آيات في وصف مقابح الموت ربما كانت شبيهة بمذهب سوينبورن أو بودليير ولكن بها عكس ذلك في مثل هذه الآيات : —

بعد أن كُنَّ للعيون جلاءً فائناتٍ بأعينٍ وخدود
مائلات وجه الحياة ضياءً عابثاتٍ بمسعدات الجدود
هز منها الهوى ثمار صباها هزّة الریح زهرة الاملود

وأما قصيدة (صوت الموتى) فهي وصف لأثر قطعة موسيقية في هذا المعنى . وفي قصيدة (الملك الثائر) بعد اقوال الملك في ثورته أُورِد ما يجعل النفس تطمئن الى الحياة طلباً للآوازن الفني كما ذكرت وكما في قصيدة (سر الحياة) و (بين الحب والبغض)

(٦) والمصدر السادس وهو الاول الذي بدأت به المقال السابق والاخير الذي اختم

به هذا المقال هو ثقافة الادب العربي والشعر العربي . ومن اطلع على مقالاتي في نقد شعراء العرب والشعر العربي يعرف اني لم اقتصّر في اجتناب هذه الثقافة التي بدّتها وأنا تلميذ بالمدرسة الابتدائية ولن انهي منها في الحياة . وقد ذكرت شواهد عديدة من شعري تدل على أن اطلاعي على الادب الاوروبي لم يصرفني عن الاسلوب والشعر العربي . وفي كل عام اكتب مجموعة جديدة من الشعر العربي . وقد كنت جمعت من شعر العذريين وغيرهم بعد عودتي من انكلترا مجموعة سمينها ذخيرة الذهب في المنتخب من شعر العرب وكانت تغلب عليها النزعة العذرية وهي سبب ظهور تلك النزعة في الجزء الثالث من شعري . ولم استطع ان احصي في هذا المقال كل من تأثرهم من الشعراء والكتاب والقصصيين والمفكرين والفلاسفة والنقاد من عرب وأفرنج واذا كنت قد عبرت عن جانب التشاؤم فقد عبرت عن جانب التفاؤل في قصائد عديدة . وكان بعض التشاؤم استحضاراً للهمم كما في قصيدة (شهداء الانسانية) التي اتخيل فيها شهداء الانسانية على باب الحياة يتساءلون هل ضحوا بحياتهم وسعادتهم عبثاً ام تحققت احلامهم وزالت الشقاوة والشر والظلم . وفي قصيدة (الموت) جعلت الموت نفسه مظهراً من مظاهر الامل وباعثاً له وفي قصيدة الامل الطويلة وصفت آثاره في النفس والحياة ومظاهره المختلفة وجعلت حتى إخلافه سعادة وهي التي مطلعها : —

(ألا عدّ وأخلف أنت بالوعد مانح)

ولا يوضح الفرق بين مذهبي في الثقافة الشعرية ومذهب بودلير شيء اكثر من مقابلة قطعة له قصيرة عنوانها النائر (في كتاب أغاني أوربا) طبعة كاتربوري بقصيدة لي طويلة عنوانها (الملك النائر) فقطعة بودلير فكرة واحدة — وكثيراً ما يكون بودلير من أصحاب الفكرة الواحدة الملحة المتغلبة على النفس — وهي ان انساناً أبى ان يحب النساء والتعاسة فناء ملك وامسك برقبته من الخلف وأراد ان يرغمه بالقوة على ان يحب التعاسة والتعساء فضرب الرجل الارض بقدميه وقال لا أفعل ذلك مادمت حياً . فاذا وجد قارئ اكثر من هذا المعنى في قطعة بودلير فليذكره . اما قصيدي (الملك النائر) فهي قصة ملك أخذته الشفقة على الانسانية فأبى عيشة النعيم الأبدى والسعادة الخالدة وكمل الملائكة وهبط الى الارض كي يرد الناس عن شرهم وليجلب لهم السعادة وليزيل عنهم النحس فاضطهدوه وصلبوه وهتف هاتف من السماء بحكمة الله في استخراج الخير والرحمة والفضائل كلها من الشر الذي يقع في الحياة وهذا الختام في القصيدة مظهر من مظاهر الاتزان الفني الذي أشرت اليه وقلت اني التمسته بالثقافة في الشعر وربما كان من تمام الدلالة على تلك الثقافة ان أحصص مقالاً لما عاجلته من صنوف النسيب والتشبيب ومصادر الثقافة فيها

التعقيم

بين أنصاره ومعارضيه

للدكتور شريف عيسى

﴿ تعريفه ﴾ العقم لغة هزيمة تقع في الرحم فلا تقبل الولد^(١) ورجل عقيم وعقام وامرأة عقيم لا يولد لهما ولد . والتعقيم تعمد اجراء العقم بوسائط صناعية . وكان الملوك والحلفاء يعقّمون الرجال الذين يستخدمونهم في حرمهم بسلّ خُصّاصم^(٢) فيزول منهم الميل الجنسي . ويقال لمثل هؤلاء خُصّيان جمع خُصي وهو الذي سلت خُصّيته وكان الخُصي مذلة . وقد عير المتنبي كافوراً بقوله
من علم الاسود الخُصي مكرمة آباؤه البيض ام اجداده الصيد

﴿ تاريخه ﴾ التعقيم طريقة ابتدعها الأمم الراقية في عصرنا الحاضر لمنع نسل المصابين بعايات وراثية كالجانين والحمقى والبله وأضرابهم ممن يكونون عالة على أمهم ويخطون من جودها اول من مارس عملية التعقيم بصورة غير شرعية (قانونية) الدكتور هري شارب Dr. Harry Sharp وهو طبيب اميركي من جفرسنفيل بولاية انديانا فقد شرع باجراء هذه العملية سنة ١٨٩٩ وكان القانون الاميركي لا يحجزها وكان يجريها برضاء الشخص فحصل على نتائج مرضية . وقد سنت هذه الولاية قانوناً سنة ١٩٠٧ حُلِل اجراء عملية التعقيم ثم تعمت في غيرها من الولايات المتحدة . وسنت ٢٧ ولاية منها قانوناً يحجز اجراء هذه العملية وحذت حذوها مقاطعتا البرتا وكولومبيا البريطانية بكندا والدانمارك وألمانيا ومقاطعة فود بسويسرا وولاية فيراكروز بالمكسيك ومدينة دانتزك الحرة^(٣) ويقدر عدد العمليات التي اجريت لتاريخ سنة ١٩٣٣ بنحو ١٦٠٠٠ عملية^(٤)

إن لفكرة التعقيم أنصاراً ومعارضين شأن كل فكرة جديدة وسنلخص آراء الفريقين بغاية الاختصار منعاً للتطويل الممل :

﴿ حجج المناصرين ﴾ يقول المناصرون ان معدل الفهم آخذ بالانحطاط عند الأمم المتقدمة فالواجب يقضي برفع مستوى الامم العقلية بتقليل نسل الفئة المنحطة والقضاء عليها تدريجياً .

(١) تاج العروس (٢) يقال هو اغفل من خاصي الخنثين وهو مثل اصله ان جماعة من الخنثين كانوا في المدينة في عهد سليمان بن عبد الملك الاموي فاراد ان يفهم منها فكتب الى حاكمه فيها اني بكر عمر بن حزم احس من عندك من الخنثين فاتفق ان نقطة من السطر الاعلى وتمت فوق الحاء نصارت خاء ففصاهم (السنان)

ويقدرن نسبة ناقصي العقول في انكلترا ممن لا يستطيعون الاعتماد على أنفسهم بواحد في الالف (١) ويقدر هذا الصنف بالولايات المتحدة بخمسة وعشرين مليوناً . وقد بلغ عدد ضاف العقول والمصروعين سنة ١٩٢٩ في معاهد الولايات المتحدة ٦٤٢٥٣ نفساً والمترددن الى السجون سنة ١٩٣٠ مقدار ١١٦٣٠ شخصاً . وظهر من احصاء سنة ١٩٣٠ انه يوجد حوالي ٦٣٤٨٩ أعمى و ٥٧٠٨٤ أخرس . ويوجد ما يقرب من العشرة ملايين عاطل . ومن أقوال الرئيس فرانكلن روزفلت ان ما يقرب من نصف هذا العدد غير أهل للحياة الصناعية (٢)

وتتلخص عقيدة الولايات المتحدة في الجملة الخالدة التي نطق بها القاضي هومن O.W. Holmes حيث قدمت امرأة ضعيفة العقل عريضة للمحكمة تطلب فيها تعقيمها وقد ولدت هذه المرأة ولداً ضعيف العقل وكانت امها ايضاً ضعيفة العقل ولما رفعت العريضة الى محكمة الولايات المتحدة العليا قال القاضي الذي اصدر الحكم « يكفي ثلاثة اجيال من البله » (٣)

﴿ المانيا ﴾ سنت المانيا قانون التعقيم في ٢ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٣٤ ولا تختلف مسوغاتها له عن مسوغات غيرها من الائم فانها تتفق في مدارسها على كل تلميذ صحيح العقل ٧٥ ماركا فينا تتفق على الضعيف العقل اضعاف هذا المبلغ في السنة ويكلف الجنون الواحد الحكومة ودافع الضريبة ٦ — ٨ ماركات يومياً . ان الكتبة في المانيا لا يحصلون قدر ما تنفقه الامة على البله والجانين والمجرمين وأضرابهم . وليس للطبقات المتفوقة في المانيا الآن اكثر من ولد أو ولدين ومن النادر جداً ان يجد عدة اولاد للأسر ذات الوراثة الصالحة (٤)

(٢) الحججة الثانية التي يستند اليها المناصرون اقتناع كثير من الائم المتمدنة بصدق هذه النظرية واجماعهم على سن القوانين الاجبارية لتنفيذها

(٣) سهولة اجراء العملية وخلوها من الخطر على حياة المرء وأمياله الجنسية والنفسية
(٤) الاستيثاق من ان الشخص الذي تجري عليه عملية التعقيم مصاب بأمراض وراثية نضر النسل بعد فحصه من قبل جماعة اخصائيين وبعد موافقة الشخص نفسه على اجراء العملية
(٥) اعتقادهم ان التعقيم يشجع المصابين على الزواج بعد تعقيمهم ولا ينفقهم منه إذ لو لم يقيموا وكان لهم اولاد لمجزوا عن القيام بأودهم لان تحصيلهم دون الاصحاء عقلاً وهذا يشي عن الزواج وإخلاف النسل

﴿ المعارضون ﴾ ذكرنا اهم حجج المناصرين وتلخص الآن حجج المعارضين

(١) ليس من حق الحكومة سن قانون كهذا يرمز الى الاستبداد ويجعل الفرد للحكومة لا الحكومة للفرد فضلاً عن انه عمل مخالف للشريعة والآداب

(١) Eugenic Sterilization 2nd. Edition (٢) Scientific American vol. 150, p. 292

(٣) Applied Eugenics p 156 (٤) Scientific American, September 1934, p126

(٢) إنكارهم ان الطبقات العالية ارقى عقلاً من الطبقات المنخفضة او خيراً منها بنفعها للمجتمع وان نسل الذكي يكون ذكياً والأبله أبله والمجنون مجنوناً وأن نسل الطبقات السفلى يزداد أكثر من ازدياد نسل العليا وليس من الضروري ان يكون نسل هذه الطبقة ضعيفاً او ابله (٣) ادعائهم ان العالم يحتاج الى الطبقة السفلى لتقوم بالاعمال التي لا تتطلب ذكاء . وان العلماء متفوقون على الصفات التي تنتقل بالوراثة وان المحيط عامل كالوراثة في نقل الصفات العاطلة وان الذين يعقّمون لا يعيشون سعداء

(٤) حجّتهم ان التعقيم لا يحرر الامة من المجانين وضعاف العقول والمصابين بمختلف العاهات الوراثية لان الصحيح يحمل صفات معينة قد ينقلها الى نسله وهذه الصفات تكون كامنة او مستورة (٥) قولهم ان التعقيم يشجع على الزنا ونشر الامراض الزهرية وفساد الاخلاق ومن المعارضين الذين يشار اليهم بالبنان الاستاذ الشير J. B. S. Haldane ولا بد من ذكر بعض آرائه لانه من ألمع الاقطاب في علوم الاحياء . ان هالدين لا يعتقد ان التعقيم يفيد من وجهة اصلاح النسل وتتلخص آراؤه في مايلي: (١) ان التعقيم يمنع ولادة الاسوياء وغير الاسوياء على حد سواء (٢) الامراض التي يعقم الناس لاجلها غير خطيرة ولا مقعدة للانسان عن العمل وانما هي مزعجة ويضرب مثلاً للعمى ملتن وللصمم بهوفن . فان عمى الاول وصمم الثاني لم يحولا دون بروز عبقرية (٣) يقضي التعقيم على اكثر الامراض الوراثية ولكنه لا يقضي عليها كلها (٤) يموت عدد كبير من المصابين بامراض وراثية خطيرة قبل ظهور علامات المرض فيهم وقبل سن البلوغ فلا داعي لتعقيمهم (٥) اذا اردنا القضاء على الامراض الوراثية فلا ينبغي ان تقتصر على تعقيم الاباء بل علينا ان نعقم الانباء أيضاً (٦) ان تعقيم المصابين بنزف الدم الوراثي (هيموفيليا) يعرض حياتهم للخطر (٧) هبكت أننا قضينا على الامراض الوراثية بالتعقيم فالتحولات الفجائية Mutations تولد مثلها (٨) من المعلوم في علم الوراثة ان الصفات الجيدة تغطي العاطلة (٩) ان كثيراً من العيوب الوراثية تكون بصورة كامنة (Recessive) فلا تظهر وتنتشر بالرغم عنا (١٠) ان المصابين بالضعف العقلي يستطيعون عمل عمل ، فلا مسوخ لتعقيمهم (١١) لا يوجد في كل انكثرا اكثر من ستة اطباء وامرأة واحدة يعتمد عليهم في معرفة الامراض الوراثية الخطرة على النسل والتي توجب التعقيم (١)

واذا قابلنا حجج المؤيدين بحجج المعارضين رأينا تطرفاً في الفريق الثاني وميلاً الى العاطلة والمنطق الكلامي فأى عقل أو شرع يبيح انتشار المجانين والبله والمصروعين وأضرابهم . فما لا شك فيه أن كل امة ترغب في أن يكون نسلها صحيحاً قوياً سالماً من العيوب وأن تتخلص من العاهات

(١) راجع: Heredity and Politics, J. B. S. Haldane 1938 p. 15, 17

ايضاً: Scientific Progress, 936, p. 145

الوراثية . فأنصار التعقيم لا يقولون بأجرائه جزافاً بل في العاهات التي يثبت أنها وراثية فهم لا يقولون ان كل أنواع الجنون والصرع والبله وراثية بل يعترفون ان منها ما هو وراثي ومنها ما هو غير وراثي ويحصررون التعقيم في النوع الاخير بعد التثبت الدقيق بواسطة ثقات الاختصاصيين المشهود لهم بالكفاءة العلمية ونزاهة الوجدان . نعم لا يزال العلم يحجل الكثير من حقائق الوراثة ولكنه أطاق الثام عن كثير منها واتفق العلماء على ان بعض نواميس الوراثة التي تسري على الحيوان تسري على الانسان أيضاً . واذا كان يحق للحكومة ان تسجن السارق وتعدم القاتل وتتصرف بمصلحة الفرد لما فيه خير المجموع، يحق لها ان تسعى لتقليل عدد المجانين والبله وضعاف العقول والمصروعين والمدمنين ومنع انتشار أمثالهم . ان انصار هذا المذهب لا يدعون ان التعقيم كفيل بإزالة كل العاهات الوراثية بل يعترفون انه يقلل عددها فقط ويؤول تدريجياً الى تحسين النسل فهو خطوة صغيرة الى الامام . وقد اتخذت الامم التي سنت قوانين كهذه كافة الاحتياطات لتأمين مصلحة الفرد وهي تبث الدعايات الصالحة في هذا السبيل حتى ان كثيرين من المصايين صاروا يطلبون من تلقاء أنفسهم اجراء هذه العملية عليهم . ولم يثبت ان اجراءها يدفعهم الى اتيان الفاحشة بل ثبت عكس ذلك فان الفواحش اللاتي أجريت لهن هذه العملية تحسنت أخلاقهن وارتدعن عن اتيان المنكر لان دخولهن المؤسسات المعدة لهذه العمليات أسبغ عليهن شيئاً من الترية والاخلاق . أما الخطر الذي يتوقعه المغالون من ضياع بعض النوابع من جراء التعقيم فقد أجاب عليه بوبنو بالعارة الآتية . لا تحرم الامة شكسير او ارسطاطاليس من التعقيم الحديث لغاية اصلاح النسل بل بالعكس فان تقليل البله وضعاف العقول يفتح مجالاً أكبر لظهور المتفوقين ذكاءً (١)

﴿ الوجهة الدينية ﴾ اما المانع الديني فقد اجابت عنه الحكومة الالمانية في بيانها الموسوع لسن قانون التعقيم وقد جاء فيه ان غلمان المرتلين (Choir Boys) في كنيسة سستين Sistine Chapel كانوا يخضون في القرن التاسع عشر للاحتفاظ بنعومة اصواتهم (٢)

﴿ الامراض الموجبة للتعقيم ﴾ هي الجنون الوراثي، البله الوراثي، ضعف العقل، الصرع، العمى، الصمم، وغيرها من الامراض والعيوب الوراثية وقد بحثنا موضوعها بحثاً وافياً في مقالتنا السابقة (٣) . ويشمل بعضهم الاجرام والادمان أي ادمان الكحول والتخدرات ولم يثبت حتى الآن ان الاجرام والادمان وراثيان ويعتقد عدد من الثقات أن المحيط عامل قوي فيها وأن المرء يرث في حالات كهذه مزاجاً خاصاً يجعله ضعيف الارادة فتتغلب عليه العوامل المحيطة وعلى كل ليس المجرمون والمدمنون قدوة حسنة ولا هم آباء صالحون

(١) Applied Eugenics, p. 157 (٢) Secintife American vol 151, p. 127

(٣) راجع المقتطف مارس ١٩٣٨ ص : ٣٣١٣ الملل الوراثة الجسمية والعقلية

﴿عملية التعقيم﴾ تجري عملية التعقيم للذكر أو الانثى وهناك ثلاثة اسباب لاجرائها على الانثى (١) طبية (٢) اجتماعية (٣) لاصلاح النسل. والاخير هو بيت القصيد وطرق التعقيم متعددة (١) كيميائية (٢) اشعاعية (بواسطة الاشعة السينية) (٣) جراحية. وسنلم الماماً بكل من الطرق زيادة للفائدة وتنمياً للبحث

﴿الطريقة الاحيائية الكيميائية﴾ (Biochemical) تتوقف على اساس استعمال الامصال التي تحقن في الجسم وتكون مادة مضادة لها فيحقنون سائل الذكر المنوي تحت جلد او في وريد أنثى فيتولد في جسمها مواد مضادة للحمل او يحقنون الذكر بخلاصة البيض فيصير الذكر عقياً او الانثى بخلاصة خصية الذكر فتعقم. ورغماً عن إيمان بعض ثقات الاطباء بصحة هذه النظرية فلا قيمة عملية لها ولم يخرج من قيد النظريات والاختبارات

﴿الاشعة﴾ من المعروف ان أشعة اكس تؤثر في أعضاء التناسل وتسبب العقم لمن يشعون بها ولهذا يضعون حاجزاً كثيفاً يحول دون اختراقها أجسامهم فتعريض المبيضين والخصيتين لدرجة خاصة من أشعة رنتجن يسبب العقم ولهذه الطريقة محاذير لا مجال لذكرها هنا وهي كالطريقة الاولى لا تزال نظرية ومحفوفة بالاعطال

﴿الجراحة﴾ هي بيت القصيد والمعول عليها في اجراء التعقيم وتجري على الذكر والانثى واجرائها على الاخرة أما مؤقتاً او دائماً فالطريقة الوقتية تعمل بدفن قناتي فالوب في صفاق البطن (البريطون) سنة او سنتين او اكثر بحسب المدة المطلوبة فلا تستطيع البويضات بلوغ الرحم وبعد مضي المدة تعمل عملية ثانية وتعاد القناتان الى حالتها الطبيعية وتجري عملية التعقيم الدائم بطريقتين (١) سل المبيضين اللذين يقلابان الخصيتين في الذكر وهي عملية بربرية تسلب المرأة حاستها الجنسية وتفقدها شطراً كبيراً من حيويتها وتؤثر تأثيراً سيئاً في نفسياتها وعقليتها (٢) استئصال قناتي فالوب اللتين تدخل منهما البويضات وهي لا تسلب المرأة شيئاً من خصائصها النفسية (١)

﴿الذكر﴾ ان عملية التعقيم في الذكر اسهل من الانثى وتجري تحت البنج الموضعي ولا تستغرق اكثر من نصف ساعة بيد المدرب وطريقها ربط القناة المنوية في الجانبيين وقطعها فينسد طريق النطف المنوية ولا تستطيع الوصول الى الرحم وهي لا تفقد الرجل شيئاً من خصائصه النفسية والجنسية والمعول اليوم على هذه الطريقة نظراً لسهولة وقصر الوقت الذي تستغرقه وخلوها من الخطر. اما استئصال المبيضين في الانثى فيتطلب فتح البطن وتعريض المرأة للخطر ولهذا يفضلون اجراء التعقيم على الرجل. هذه لمحة صغيرة عن التعقيم ذكرناها من وجهة اصلاح النسل ولم نشأ التطويل فيها لان المقتطف الاغر بسط جانباً منها في اعداداه السابقة

تأسيس سامرا

— ٢ —

بقلم الكبتن كرزول

استاذ العمارة الاسلامية بجامعة فؤاد الاول
وترجمة السيد محمد رجب عضو بعثة الآثار الاسلامية ببرلين

الجوسق الخاقاني او قصر المعنصر

قام بكشف أطلال هذا القصر العظيم العالم الأثري فيولية Viollet سنة ١٩٠٧ غير أن أعماله لم تكن سوى تمهيد للاستكشافات العظيمة التي قامت بها البعثة الأثرية الألمانية فيما بعد بإشراف العالمين الكبارين زره Sarre وهرتسفلد Herzfeld . ومع مضي أكثر من عشرين عاماً على هذه الاعمال فإن البعثة لم تنشر سوى تقرير موجز عن نتائج استكشافاتها بقصر الجوسق الخاقاني

وقد تفضل الدكتور هرتسفلد رئيس هذه البعثة بأعازتي التخطيط العام الذي عملته البعثة عن هذا القصر وقد استغنت به وبغيره من الرسوم والصور الشمسية التي لازخارف المنشورة بكتاب Wanderschmuck في دراسة هذا القصر واني أرجو بعد هذه الدراسة واعتماداً على مشاهداتي الخاصة لباب العامة أحد ابواب هذا القصر منذ عامين أن أوفق في رسم صورة واضحة للقارىء عن هذا البناء الهائل . وإن كنت اعتقد أن نشر نتائج أبحاث هذه البعثة وأعمالها بأقلام اصحابها قد يكون أكثر فائدة وأعظم شأناً . وأنا لارجو ألا يطول انتظارنا لنشر هذه الأبحاث

يقول هرتسفلد في تقريره : « استمرت أعمال الكشف بهذا القصر سبعة أشهر كان يشتغل في اثائها عدد يتفاوت بين ٢٥٠ و ٣٠٠ عامل يومياً واستخدمت سكة جديدة محلية خاصة لنقل الأتربة وتزيد مساحة القصر التي يطيف بها السور عن (١٧٥) هكتاراً تشغل منها التي تشرف على نهر دجلة بنحائرها وممراتها وقاعاتها وحماماتها ٧١ هكتاراً

وبناءً على ذلك فلو أريد استكشاف القصر جميعه وملحقاته لاستغرق ذلك عشرين عاماً ، ومهما يكن من شيء فإن كشف هذه الامكنة لم يكن امراً شاقاً كما يتبادر الى الذهن

لأول وهلة . لانه كان من الممكن تتبع التخطيط العام للقصر وترتيب قاعاته وحجراته المختلفة حتى بدون القيام بأعمال الحفر . ولذلك فقد رؤي حصر هذه الاعمال في الاجزاء الرئيسية اي الواقعة على المحور الرئيسي للقصر

وقد كشف حوالي ١٤ الف متر مربع من الارض وأزيل ٣٢ الف متر مكعب من الردم منها ١١ الف متر مربع او ٢٨ الف متر مكعب من الردم من الحفائر التي اجريت في وسط القصر وقد بدئت اعمال الحفر والتنقيب بعدة اختبارات وابحاث تمهيدية في المحور الرئيسي والمحور العرضي للرحبة الكبرى لتأخر وصول السكة الحديدية المحلية التي طلبت لاستخدامها في نقل الردم وبعد وصولها امتدت اعمال الحفر الى البناء الرئيسي نفسه

وكانت تفاصيل تخطيط هذا البناء تتضح لنا رويداً رويداً الا انهم لم تعرف تماماً إلا حينما ظهر اثناء الحفر وكشف تخطيط القصر ورفع التربة ان هذه المجموعة الهائلة من المباني لم يكن لها سوى مدخل واحد في وسط جانبها الغربي ما زال بقاءه موجودة الى اليوم تعرف بباب العامة وكان نهر دجلة يجري بجوار الجانبين الغربي والجنوبي الغربي للحديقة السفلى وكان الشارع الأعظم يمتد من الجنوب حتى ينتهي الى جدران القصر وهناك يتصل بشاطئ دجلة من جهة الجنوب مكوناً معه زاوية حادة حيث يقع باب الزلالة وهناك طريق طوله ستمائة متر يخترق الحديقة حتى الحوض الأعظم وسعته ١٢٧ متراً مربعاً حيث يبدأ سلم عرضه ٦٠ متراً وطوله مثل ذلك يرقى منه الى شرفة ارتفاعها ١٧ متراً امام باب العامة

﴿باب العامة﴾ يكاد يكون باب العامة افضل الاجزاء الباقية القائمة من هذا البناء الهائل الذي عدت عليه الايام وهو يتكون من واجهة ذات ثلاث قناطر ارتفاعها ١٢ متراً وتشرف على نهر دجلة ويقع خلفها ثلاث حجرات ذات سقوف نصف اسطوانية معقودة والحجرة الوسطى هي الايوان (أو اللوان) الكبير وعرضها ٨٦ متر وطولها ٥٠ ر ١٧ متر وارتفاعها ١٠ ر ١١ متر وهي مفتوحة بكامل عرضها ومطلّة على نهر دجلة يحف بها كتفان من البناء عرض كل منهما ٥٨ ر ١ متر يحملان قنطرة الواجهة ذات العقد المدب او هي شبيهة في بنائها بقناطر مسجد ابي دلف وباب بغداد من ابواب مدينة الرقة

خلف هذا الايوان الكبير باب سعته ٤ أمتار وارتفاعه ١٠ ر ٧ متر تعلوه قنطرة مديّة شبيهة بقنطرة الواجهة الكبرى تعلوها نافذة ذات قنطرة مديّة أيضاً

والايوانان الجانبيان طولهما ١١ ر ٤ متر . والجزء الواقع خلف قنطرة الواجهة مغطى بسقف على شكل نصف قبة مرتكزة على اربعة صفوف او محاريب وبين كل صفين شبك مستطيل . وهذان الايوانان الجانبيان هما في الحقيقة بمنزلة مدخلين عظيمين لحجرتين خلفيتين

سقفها معقودان نصف اسطوانيين وسعة كل منهما أربعة أمتار وبكل منها باب سعة ١٧٥ ر ١ متر وارتفاعه ٥٥ ر ٥ متر

ومع ان ارتفاع هذين الايوانين يقل بمقدار متر ونصف متر عن الايوان الاوسط الا ان الفرقين الخلفيتين تكادان تفضلان الى ارتفاع هذا الايوان (١٠ ر ٨٠ متر الى ١١ ر ١٠ متر) وهاتان الفرقتان لا متصلان بالايوان الكبير ولا بأي جزء آخر من أجزاء القصر مدخلهما من الواجهة فقط ولذلك يرى هرتسفلد انهما كانتا مخصصتين للحرس والاتباع أيام الحفلات والاستقبالات العامة والاجتماعات التي كانت تعقد في الايوان الكبير . وتبلغ ثخانة الجدران التي تحمل القبو الاوسط حوالي ١ ر ٧٥ متر . اما الجدران الخارجية للايوانين الجانبيين والجدار الخلفي فتحاتها ٣٠ ر ١ متر فقط . والى يسار الايوان الغربي حائط بها نافذتان احدهما طويلة ضيقة . وتعلوها أخرى أكثر منها عرضاً وكلاهما مستطيلة الشكل . وتدل ثقبوب الحائط من الخلف على انه كان هناك طابقان ببعضهما سقف من الخشب

وقد تهدمت الحافة الشرقية للواجهة ولم يبق منها الا جزء صغير يكسو بعضه الجص وهذا الجزء المكسور لا يصل الى الارض مما يدل على انه كانت هنا نافذة أخرى مستطيلة ولكنها أقل طولاً من النافذة الكائنة بالطرف الآخر المقابل

ولا بد انه كان هناك طابق آخر ويستدل على ذلك من وجود جزء من حائط ارتفاعه خمسة امتار يرتفع عمودياً على الجانب الشمالي من الايوان الشمالي

﴿ الزخارف ﴾ تقتصر زخارف الواجهة على صفتين غير عميقتين مدبتي العقد كانتا تحفان بالمدخل الرئيسي . أما في الداخل فكان محلى بزخارف جصية شاهد بعضها العالم فيوليه Viollet في موضعها . كما عثر هو وهرتسفلد Herzfeld فيما بعد على البعض الآخر في الردم

وكان بطن عقد الايوان الكبير بالواجهة محلى بزخارف جصية مقسمة الى ثلاثة أقسام . أحدها أكثر عرضاً في الوسط تحصره حافتان أقل منه عرضاً سعة كل منهما ٣٢ ر ٥ سم وبهما زخارف من أزواج من اغصان الكرم الصاعدة التي تكون صفاً مزدوجاً من الدوائر الصغيرة بكل منها ورقة من أوراق الكرم ، تفصل كل ثنية من ثنياتها ثقبوب تشبه العيون يحيط بها جزوز دائرية محفورة متحدة المركز يتميز بها الطراز المعروف بطراز سامرا الثالث . والجزء الاوسط سعة ٩٥ سم وكان محلى بزخارف مكونة من وردات ذات ثمانية جوانب بين كل منها والتي تليها عقدة وفي كل ثنية من ثنياتها ورقة كرم طويلة الساق . ولا يمكننا مع الاسف ان نعرف الآن كيف كانت مراكز هذه الوردات والسطوح التي تفصلها بعضها عن بعض محلاة لان الاجزاء التي عثر عليها ليست كافية لايضاح ذلك

أما داخل الايوان الكبير فنجد في قمة الحائط مما يلي عقد القبو مباشرة عصاة من الزخارف البارزة الجميلة مكونة من حليتين متعاقبتين احدها صغيرة والاخرى كبيرة تشبه احدها زهرة اللوتس ذات الثلاثة الاوراق . والورقتان الخارجيتان تكونان حلزونين . أما الورقة الوسطى فرفيعة وتصل حافتها العليا الى الطرف العلوي للعصاة وهي تشبه في مجموعها زهرة الزنبق . اما الثانية فتشبه الاولى ولكنها اقل منها حجماً وليس بها الزخارف الحلزونية التي بالاولى . ويرى هرتسفلد ان هذه العصاة تشبه تمام الشبه عصاة اخرى من الزخارف الجصية بكنيسة (بازيليك) القديس سرجيوس بالرصافة

ويقول هرتسفلد Herzfeld : والجزء الاوسط من الباب الكبير هو المدخل الرئيسي للقصر وتقع خلفه ست قاعات يرجح أنها كانت قاعات انتظار وكان كبار الضيوف والزوار ذوو المكانة يدخلون من الرواق الشمالي (أي الفتحة الشمالية) للباب الكبير ثم يمرون في ممشى طويل الى هذه القاعات أما الجزء الخاص بالحريم بالقصر فيدخل اليه من الفتحة الجنوبية للباب الكبير التي تصل به رواقان طويلان

وتكون هذه الماشي والقاعات والاروقة ما يسمى بالمدخل أو باب القصر يتلو ذلك رجة مربعة بها نافورة يحيط بها من كل جانب ثلاث حجرات يجلس فيها الزوار وفقاً لمقامهم ودرجاتهم والى الشمال نجد حجرات الخليفة وهي تقع حول ثلاث رحبات ويقع الحريم في الجنوب وقد اضيف اليه بناء آخر كثير الحجرات . ويطل الحمام الكبير على الرجة مباشرة واذا سار الانسان قدماً فانه يمر في قاعة امامية الى رجة مضلعة جدرانها الشمالية والجنوبية خالية من الزخرفة . اما في الشرق فترى واجهة قاعة العرش بأبوابها الثلاثة وتوصل الدهاليز والممرات السفلية — ويوجد منها كثير بالقصر — بين حجرات الخليفة وقسم الحريم

﴿ قاعة العرش ﴾ تتكون قاعة العرش من قاعة وسطى مربعة يحيط بها اربع قاعات على شكل حرف T وقد وجد بهذه القاعة طرازان من الزخارف الرخامية شبيهان بالطراز السابق الاشارة اليه ويرجح انها كانت مغطاة بقبة . وقد كانت امثال هذه القاعات على شكل حرف T من الخصائص المميزة لقاعات الاستقبال في جميع المنازل الخاصة . ولكنها تختلف عن جميع الامثلة المعروفة في ان الاجزاء التي تكون الصليب قد بنيت على مثال البازيليك ذات الثلاثة الاروقة ولكنها هنا مكررة اربع مرات في الحجرات الاربع المكونة لاضلاع الصليب . والسبب في ذلك هو الحاجة الى ضوء كاف لضاءة القاعات جميعها والقاعة الوسطى ايضاً

وقد وجد هرتسفلد قطعاً من الزخارف الجصية في هذه الحجرات وحاول ان يجمعها وان يكون منها اشكالاً او موضوعات زخرفية تامة باعادتها الى حالتها الاولى من التركيب والتكوين

وقد عثر بقاعة العرش هذه على عتب خشبي لآحد الابواب يشبه شهاً تاماً بعض الاعتاب الخشبية بأبواب مسجد ابن طولون بالقاهرة . وتوجد بين اذرع الصليب قاعات صفرى محلاة بوزرات من الواح ومربعات الرخام ، وكذلك مسجد صغير لصلاة الخليفة ذو محراب جميل ﴿ الحريم ﴾ اذا رسمنا محوراً من الشمال الى الجنوب ماراً بمركز القاعة الوسطى وقاطعاً القاعتين الشمالية والجنوبية اللتين على شكل حرف T فأنه يقسم هذه الكتلة من البناء الى قسمين متماثلين تقريباً . وقد كشف منه القسم الجنوبي فقط وهو يشمل الحريم

وتقع امام القاعة الجنوبية ذات الشكل حرف T قاعة كبيرة العرض تمتد على طول رحبة الحريم . وفي الجانبين الغربي والشرقي لرحبة الحريم تقع حجرات كثيرة أعيد بناؤها عدة مرات معدة للحياة المنزلية داخل القصر ومجهزة بالمياه الجارية التي تأتي اليها في مواسير كبيرة من الرصاص أو من الخزف المطلي بمادة زجاجية أو من الفخار العادي . كما ان بها حجرات للاستحمام والغسيل والمراحيض . وتقع في مواجهة قاعة العرش في الجانب الجنوبي للرحبة حجرة مربعة تمتد على طول الرحبة وهناك رواق مربع طول ضلعه ٢١ متر يطيف بحجرة مربعة ذات اربعة ابواب واسعة وبها حوض تحف به اعمدة الرخام في اركانه الاربعة

وقد كانت هذه الحجرة محلاة برسوم وصور آدمية واذا رسمنا محوراً يقطعها من الشرق الى الغرب فالتا نجد الى غربها قاعة على شكل البازيليكا ذات ثلاثة اروقة في كل رواق منها اربعة اعمدة من الرخام . وتقع امام القاعة الشرقية ، ذات الشكل حرف T من المجموعة المسماة بقاعة العرش قاعة كبيرة اخرى عرضها ٣٨ متراً وطولها ٤٠ ر ١٠ امتار بها خمسة ابواب تطل على رحبة كبيرة مكشوفة طولها ٣٥٠ متراً وعرضها ١٨٠ متراً تقسمها قناة الى قسمين احدهما الغربي وهو مرصوف ومحلى بنافورتين والشرقي وهو غير مرصوف وبه بعض قنوات ومجاري مياه صغيرة

﴿ السرداب الصغير ﴾ واذا سار الانسان من هذه الرحبة الكبيرة الى الشرق فانه يصل الى سرداب صغير يقع على المحور الرئيسي للقصر . ومدخله عبارة عن حجرة مربعة قد نقش على جدرانها طراز من الزخارف الجصية الملونة قوامها قافلة من الجمال ذات السنامين ويقع سلم مدخل السرداب في الجانب الغربي من البناء العلوي والسرداب نفسه عبارة عن فجوة منقورة في الصخر كل ضلع من اضلاعها ٢١ متراً وعمقها ٨ امتار وفي كل جدار من جدرانها ثلاث مغارات فصلها ببعض مماش أو اروقة وكانت في ارضيتها فسقية أو حوض للماء . وكان يحيط بالسرداب صفوف متوازية من الغرف يظن انها كانت اسطبلات

﴿ ملعب الصوالة ﴾ وفي وسط الرحبة الشرقية بناء يشرف على ملعب كبير بسور طوله ٥٣٠ متراً وعرضه ٦٥ متراً وهو لا يقع على استقامة محور القصر بل ينحرف عنه فيميل بانحناء

بسيط . ويرجح ان هذا كان ملعب الصوالة وكانت الاسطبلات معدة لخيول اللعب . وكان النظارة يشرفون على اللعب من هذا البناء . والى هنا نصل الى الطرف الشرقي للقصر ويتلوه سور حديقة الحيوان او الحير . وتقع في مواجهة البناء الذي يشرف منه النظارة على اللعب على امتداد المحور الرئيسي للقصر سقفة عظيمة مرتفعة تشرف على ملعب الصوالة وحلبة السباق في حديقة الحيوان او الحير التي تمتد الى اكثر من خمسة كيلو مترات

ويبلغ طول محور القصر الممتد من نهر دجلة مخترقاً السلم الكبير وباب العامة وقاعة العرش والرجة الكبرى والسرداب الصغير الى حديقة الحير وشقيقتها رجة السباق ١٤٠٠ متر

﴿ السرداب الكبير ﴾ ويقع في الركن الشمالي الشرقي للقصر بناء مربع طول ضلعه ١٨٠ متراً يرتكز جانبه الجنوبي على الجدار الشمالي للرجة الكبرى وبه كهف عميق مربع طول ضلعه ٨٠ متراً منقور في الصخر تمتد على محاوره أذرع على شكل صليب يبلغ طولها ١١٥ متراً وفي أرض هذا الكهف فجوة ثانية مستديرة قطرها ٧٠ متراً . ومن المرجح ان هذه الفجوة كانت فسقية او حوضاً . إذ أنها تتصل بقناة سفلية وفي الجزء العلوي توجد حجرات كثيرة صغيرة على غير نظام حول الجانب الداخلي للجدران وبعضها مسقف بأقنية متقاطعة وقد كشف بهذه الحجرات بعض المخازن وعثر بها على بعض قطع من الخزف الصيني وألواح ومربعات القيشاني المموهة بالبريق المعدني ذي اللون الذهبي . ونجد الى الشرق مجموعات متنوعة من المباني على امتداد الحائط الشمالي والوسطى منها أكثر ارتفاعاً من بقيتها

﴿ الزخارف ﴾ وقد كانت عظمة زخارف هذا القصر مما يلتئم ويتناسب مع أهميته وفخامته مما لم يعثر على مثيله للآن . فقد كانت وزرات الجدران محلاة بزخارف جصية بعضها من عصر المعتصم نفسه مؤسس سامرا وباني القصر . وبعضها جدد بعد التوكل مباشرةً وبعضها من الابلام الاخيرة لسامرا وقد أمكن ان نلم بكثير من المعلومات التي كانت تنقصنا في دراسة زخارف المنازل الخاصة التي كشفت في سامرا بالاستعانة بهذه الزخارف . حتى اصبح في استطاعتنا الآن ان نلاحظ بوضوح التقدم المطرد في تطور طراز سامرا مدى خمسين عاماً . وان نميز الفروق بين كل من الطرز الثلاثة التي تبين أنها تختلف بعضها عن بعض اختلافاً أساسياً مما لم يقطن اليه كثيراً عقب بعثة الكشف الاولى . ففي حجرات العرش استبدلت الوزرات الجصية بوزرات مشابهة من الرخام المنقوش وفي الحجرات الواقعة بين اذرع الصليب نجد الوزرات مغطاة بكسوة من الواح ومربعات الرخام كما ان الاجزاء العلوية من جدران قسم الحريم كانت محلاة بزخارف آدمية ملونة كشف الكثير من بقاياها كما كشف في بعض الحجرات عن زخارف من الزجاج واللؤلؤ لا نظير لها في أي مكان آخر . وجميع القطع الخشبية من ابواب وكنل وسقوف مصنوعة

من خشب الساج المنقوش الملون او المذهب وقد زادته مسامير البرز المذهبة رونقاً وبهاءً وقد عثر على قليل من القطع الأثرية في كتلة البناء المكونة للمدخل بقاعاته وممراته وكذلك بقاعة العرش . وذلك امر طبيعي وكان أكثر ما عثر عليه بقسم الحريم وحجرات الحياة المنزلية الداخلية والى جانب القطع الكثيرة المعمارية والفخارية والرخامية فقد عثر على الكثير من الاواني الفخارية المغلفة الطويلة الاسطوانية الشكل . وقد كسيت ببطقة من الجص ونقش على احد جانبيها صور لرجال او سيدات في ملابس مختلفة وكل صورة منها داخل إطار خاص ويرجح انها كانت صور لرجال ونساء حقيقيين لا خياليين اضيف الى ذلك رسوم وصور آدمية اوزخرفية على قطع من الفخار او القاشاني او الرخام ورؤس حيوانية من الرخام والواح من الزجاج الكثير الالوان . وقطع من الاثاث المنزلي وغير ذلك من القطع المطعمة بالابنوس والعاج الخ . كما عثر على بعض الكتابات النارية على كتل خشبية وعلى كثير من توقيعات الصناع من الروم والسريان والعرب بخطوطهم ولغاتهم المختلفة على الرخام والخشب والصور والفخار . وعلى قطعة من القماش بها طراز الخليفة المعتضد وأجزاء من خطابات مسطورة على ورق وبعض اوراق البردي الرسمية وغير ذلك

﴿ الخزانة او بيت المال ﴾ يقع الى شمال السرداب الكبير مساحة كبيرة مستطيلة يطف بها صفوف كثيرة من الجدران القوية التي جلبت مادة بنائها في عصور موغلة في القدم . ويستنتج من مجرى الحوادث التي حدثت بالقصر ان بيت المال كان موضعه في هذا المكان من القصر . والركن الشمالي الشرقي ليس واضح المعالم وقد كانت تمتد منه الى عدة كيلو مترات مجموعات من المنشآت المتعلقة بمحديقة الحيوان والحير والمتصلة بالقصر . ويمتد الجزء الجنوبي على غير نظام اذ تحترقه ثلاث اودية عميقة وهناك صنف طويل من الرحبات والحجر الصغيرة على الجانبين يظن انها كانت بمثابة مخازن ، ويستنتج من وصف الثورات التي حدثت بالقصر ان دار الصناعة كانت بهذا الجزء ايضاً وقد امكن معرفة مقر صاحب دار الصناعة . والى الشرق نجد رحبات مفردة وابنية لا يعلم الغرض منها وبينها بناء قائم على أعلى نقطة منها يرجح انه كان مسجداً

﴿ الثكنات ﴾ في الركن الشمالي الغربي من المساحة التي وصفناها تقع الثكنات ويرجح انها كانت ثكنات الخيالة . اما ثكنات المشاة فقفصلها عنها قطعة من الارض خالية من البناء وكان هذه الثكنات ٦٠٠ غرفة ينزل بها ٣٠٠٠ من الجنود . وكان بالرحبة الكبرى ثلاثة مساجد لم تكن محاريبها على سمت القبلة تماماً . وتشرف هذه الثكنات على الحديقة وشاطئ دجلة لبنائها على مرتفع من الارض كما انها تقع الى جانب الشارع الاعظم الذي كان يصلها بالقصر وقد كان الطريق الوحيد الذي كان يصل جنوب المدينة بشمالها

الاصول المعمارية

الواجهة ذات الثلاث القناطر

كانت القصور الشرقية القديمة كقصر خرسايد (القرن السابع قبل الميلاد) تحتوي على قاعات طويلة مسقوفة بعقود نصف اسطوانية وبها ابواب جانبية أما القصور التي بنيت في عهود تالية كقصور الساسانيين مثلاً (٢٢٨ - ٦٢٨ م) كقصر طيشفون وفيروز اباد وسروستان وقصر شيرين فكانت بعض قاعاتها تغطيها قباب ايضاً وقد كانت الواجهة النصف الاسطوانية كثيرة الشيوع اذ ان القبو الأوسط الكبير منها كان يمكن ان تركز عليه اقية أخرى اقل منه ارتفاعاً واتساعاً من الجانبين وهذه القية اما أن تكون متصلة به على زاوية قائمة او موازية له . وقصراً طيشفون وفيروز اباد من الطراز الأول والقاعات الجانبية ابوابها معقودة وفتحات ابوابها ليست بالواجهة بل في جوانب الايوان الكبير ويرى هرتسفلد ان الواجهة ذات الثلاث القناطر مستمدة على الأرجح من اقواس النصر الرومانية ومن البوابات ذات القناطر الثلاث للشوارع ذات الاعمدة التي كانت قد انتشرت في جميع الشرق الأدنى في ذلك الوقت . وكانت ملائمة غاية الملاءمة لتخطيط القصر الفارسي والعراقي لانها كانت منافذ عظيمة معقودة تصل الواجهة بالحجرتين الصغيرتين الجانبيتين وكان ذلك تجديداً في هندسة القصور المذكورة . ولذلك كان القبوان الجانبيان موازيين دائماً لقبو الايوان الأوسط . ويشاهد ذلك في قصر الحضر (القرن ١ - ٢ ق م) حيث تظهر هذه الظاهرة لأول مرة . ولكننا نجد ثانياً بعد ثلاثة قرون في قصر سروستان وفي النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي في قصر الاخضر . وهي الظاهرة السائدة في قصر الخليفة بسامرا ويقول العقوي :-

« وولى الخلافة هارون الواثق بن المعتصم فبنى الواثق القصر المعروف بالهاروني على دجلة وجعل فيه مجالس في دكة شرقية ودكة غربية وانتقل اليه وزادت الاقطاعات وقرَّب قوماً وباعد ديار قوم على الخط الا على الابعاد فأقطع وصيفاً دار افشين التي بالمطيرة وانتقل وصيف عن داره القديمة الى دار افشين ولم يزل يسكنها وكان أصحابه ورجاله حوله وزاد في الاسواق وعظمت الفرض التي تردها السفن من بغداد وواسط والبصرة والموصل ، وجدد الناس البناء وأحكموه وأتقنوه لما علموا أنها قد صارت مدينة عامرة وكانوا قبل ذلك يسمونها العسكر

ثم توفي الواثق في سنة اثنتين وثلاثين ومائتين (٢٣٢ هـ - ٨٤٧ م) وولى جعفر المتوكل بن المعتصم فزل الهاروني وآثره على جمع قصور المعتصم . وأزل ابنه محمداً المنتصر قصر المعتصم المعروف بالجوسق وأزل ابنه ابراهيم المؤيد بالمطيرة وأزل ابنه المعتز خلف المطيرة مشرقاً بموضع

يقال له بلكوار . (فامد) البناء من بلكوار الى آخر الموضع المعروف بالدور مقدار اربعة فراسخ وزاد في شوارع الحير الشارع الجديد وبنى المسجد الجامع في اول الحير في موضع واسع خارج المنازل لا يتصل به شيء من القطائع والاسواق . وأتقنه ووسعه وأحكم بناءه وجعل فيه فوارة ماء لا ينقطع مأوها وجعل الطرق اليه من ثلاثة صفوف واسعة عظيمة من الشارع الذي يأخذ من وادي ابراهيم بن رياح في كل صف حوانيت فيها اصناف التجارات والصناعات والبياعات عرض كل صف مائة ذراع بالذراع السوداء لثلاث يضيئ عليه الدخول الى المسجد اذا حضر المسجد في الجمع في حيوشه وجموعه وبخيه ورجله . ومن كل صقف الى الصف الذي يليه دروب . وسلك فيها قطائع جماعة من عامة الناس . فانسعت على الناس المنازل والدور واتسع اهل الاسواق والمهن والصناعات في تلك الحوانيت والاسواق في صفوف المسجد الجامع . وأقطع نجاح بن سامة الكاتب في آخر الصفوف مما يلي قبلة المسجد وأقطع أحمد بن اسرائيل الكاتب أيضاً بالقرب من ذاك واقطع محمد بن موسى المنجم واخوته وجماعة من الكتاب والقواد والهاشميين وغيرهم

وعزم المتوكل ان يبني مدينة ينتقل اليها وتنسب اليه ويكون له بها الذكر فأمر محمد بن موسى المنجم ومن يحضر بابه من المهندسين ان يختاروا موضعاً فوق اختيارهم على موضع يقال له الماحوزة وقيل له ان المعتصم قد كان على ان يبني ها هنا مدينة ويحفر نهراً قد كان في الدهر القديم . فاعزم على ذلك وأبدأ النظر فيه في سنة خمس واربعين ومائتين (٢٤٥ هـ) ووجه في حفر ذلك النهر ليكون وسط المدينة فقدر النفقة على النهر الف الف وخمسمائة الف دينار فطاب نفساً بذلك ورضي به وأبدأ الحفر وأتقت الاموال الجلية على ذلك النهر واختط موضع قصوره ومنازله وأقطع ولاية عهوده وسار اولاده وقواده وكتابه وجنده والناس كافة ومد الشارع الأعظم من دار اشناس التي بالكركخ وهي التي صارت للفتح بن خاقان مقدار ثلاثة فراسخ الى قصوره وجعل دون قصوره ثلاثة ابواب عظام جلية يدخل منها الفارس برحه وأقطع الناس يمنة الشارع الاعظم ويسرته وجعل عرض الشارع الاعظم مائتي ذراع وقدر أن يحفر في جنبي الشارع نهراً يجري فيهما الماء من النهر الكبير الذي يحفره وبنيت القصور وشيدت الدور وارتفع البناء وكان يدور بنفسه فمن رآه قد جدّ في البناء اجازته واعطاه فجد الناس وسمى المتوكل هذه المدينة الجعفرية واتصل البناء من الجعفرية الى الموضع المعروف بالدور ثم بالكركخ وسر من رأى ماداً الى الموضع الذي كان ينزله ابنه أبو عبد الله المعتز ليس بين شيء من ذلك فضاء ولا موضع لا عمارة فيه فكان مقدار ذلك سبعة فراسخ . وارتفع البنيان في مقدار سنة وجعلت الاسواق في موضع معتزل وجعل في كل مربعة وناحية سوقاً

وبني المسجد الجامع وانتقل المتوكل الى قصور هذه المدينة أول يوم من المحرم سنة سبع وأربعين ومائتين (٢٤٧هـ) فلما جلس أجاز الناس بالجواز السنية ووصلهم وأعطى جميع القواد والكتاب ومن تولى عملاً من الاعمال وتكامل له السرور وقال الآن علمت أنني ملك اذ بنيت لنفسي مدينة سكنتها . ونقلت الدواوين : ديوان الخراج ، وديوان الضياع ، وديوان الزمام ، وديوان الجند والشاكرية وديوان الموالي والغلمان وديوان البريد وجميع الدواوين الا أن النهر لم يتم أمره ولم يجز الماء فيه الا جري ضعيف لم يكن له اتصال ولا استقامة على انه قد اتفق عليه شيئاً بألف ألف دينار ولكن كان حفرة صعباً جداً انما كانوا يحفرون (حصاً) وانهاراً . لا تعمل فيها المعاول . وأقام المتوكل نازلاً في قصوره بالجعفرية تسعة اشهر وثلاثة أيام وقتل لثلاث خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين في قصره الجعفري أعظم القصور وولى محمد المنتصر ابن المتوكل فانتقل الى سر من رأى وأمر الناس جميعاً بالانتقال عن الماحوزة وان يهدموا المنازل ويحملوا النقض الى سر من رأى فانتقل الناس وحملوا نقض المنازل الى سر من رأى وخربت قصور الجعفري ومنازله ومساكنه وأسواقه في أسرع مدة وصار الموضع موحشاً لا انيس به ولا ساكن فيه والديار بلاقع كأنها لم تعمر ولم تسكن . ومات المنتصر بسر من رأى في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين ٢٤٨هـ . وولى المستعين احمد ابن محمد بن المعتصم فأقام بسر من رأى سنتين وثمانية اشهر حتى اضطربت اموره فأحضر الى بغداد في المحرم سنة احدى وخمسين ومائتين (٢٥١هـ) فأقام بها يحارب اصحاب المعتز سنة كاملة والمعتز بسر من رأى معه الاتراك وسائر الموالي ثم خلع المستعين وولى المعتز فأقام بها حتى قتل ثلاث سنين وسبعة اشهر بعد خلع المستعين وبويع محمد المهدي بن الواثق في رجب سنة خمس وخمسين ومائتين (٢٥٥هـ) فأقام حولاً كاملاً ينزل الجوسق حتى قتل رحمه الله وولى احمد المعتمد بن المتوكل فأقام بسر من رأى في الجوسق وقصور الخلافة ثم انتقل الى الجانب الشرقي بسر من رأى فبنى قصرأ موصوفاً بالحسن سماه المعشوق فنزله فأقام به حتى اضطربت الامور فانتقل الى بغداد ثم الى المدائن . و ... »

ويقول اليعقوبي ايضاً « ولسر من رأى منذ بنيت وسكنت الى الوقت الذي كتبنا فيه كتابنا هذا (كتاب البلدان) خمس وخمسون سنة ملك بها ثمانية خلفاء مات وقتل فيها خمسة . المعتصم ، والواثق ، والمنتصر ، والمعتز ، والمهدي ، وقتل في حربها وفيما هو متصل بها وقريب منها اثنان المتوكل ، والمستعين ، واسمها في الكتب المتقدمة زوراء بني العباس ويصدق ذلك ان قيل مساجدها كلها مروية فيها زوراء ليس فيها قبلة مستوية . الا أنها لم تخرب ولم يذهب اسمها وقد ذكرنا بغداد وسر من رأى وبدأنا بهما لانهما مدينتا الملك والخلافة » اهـ

طاقة من الشعر المعاصر

— ١ —

وهي الصحراء

خلال الجرنوسي

ويحي وويحُ أخي من الصحراء
 شفت اصائلها ورق نسيما
 وصحا فؤاد كنت أجسب انه
 طافت به أشباح حلم قد مضى
 كلُّ يذكركني بما أنسيته
 بملاعب البيض الحسان وهوها
 دنيا دخلناها غراماً حافلاً
 ذهبت بأسباب الجمال وأعقت
 ماكدت أذهب في جديودادها
 هيات أنساهم وتلك طيوفهم
 قد تذهب الأحياء إلا ذكرهم
 أنا لا أعيش لساعي لكنني
 كم ساعة في عمري الماضي دنت
 ولرب يوم بالمودعة سرني
 ياملعب الآرام أين منازل
 ياوي اليها اللاعبون يلقهم
 وأنا الذي خلدت فيك قصائدي
 ولرب أرض لا تضيق بشاعر
 باتت تجدد لي قديم الداء
 وتوات الأرواح في إغرائي
 سير أهل الكهف في الاغفاء
 فضت به في جنة خضراء
 بالغادة البيضاء ، بالصهباء
 بمطالع الأقار ، بالرقباء
 وتركها نضراء من حوائ
 شعراً ينوح منائح الورقاء
 حتى ذكرت مودة القدماء
 ملأت نواحي القلب بالاضواء
 فجدد الاصباح والامساء
 استلهم الساعات وحي بقائي
 تُروى غليل القلب بالأنداء
 ذكركه فسيت يوم شقاء
 لي فيك لم تظفر بها اعدائي
 ليل الهوى يستأثر الظالماء
 عار من الأحباب والخلصاء
 كانت أبر من الحبيب الثاني

لعبد السلام رستم

اطهر الماضى

لعيني من وحي الشعور مصورٌ يريها من الأشياء ما ليس تبصر !!
 يريها من الاشياء في لمحاتها تصاوير أحلام تجمي وتعب
 تشابه أفواف السحاب ، فنظر يلاحقه من جانب الفكر منظر
 ظلال يوشىها الخيال بوشيه فتبدو حياة في الحياة وتبه
 حيث بها في سالف العمر حقبة وعادت بمكنون السرائر تخبر !

سوائف أيام الشباب وصبوتي وما كان ، وردٌ للفؤاد ومصدر
 تولت بما فيها من الخير والجنى وظل لها في النفس رسمٌ مسطر
 فليس أُمامي غير دنيا ، نعيمها مضى في طوايا الأُمس والأُمس مدبر
 أقلب في أغوارها ونجاشها وأتقب في وديانها وأحفر
 فلا مطلعٌ إلا ولي فيه لفقة ولا موضعٌ إلا ولي فيه عنصر^(١)
 تين فيه ، رنقه المتكدر !! كريح الصدى ، أو روقه المتطهر !!
 فأخلص منه صفوه ، وأعيدة رقيق الحواشي كالشفافة يظهر^(٢)
 كأني به — والعمر يقطع خطوه — على الدهر لا يبلى ولا يتغير
 لياليه بالعيش الهيج ، وبدره كما كان الألق المحاسن يخطر
 وما زال في مغناه يشرق زائراً ويقبل وضاح الجين ينور
 وما زال في غدواتنا ورواحنا مكان الهوى والحب لا يتحدرا !!
 فإذا على السالي الذي قد عشقته فضاء ، يشيع الحسن فيه ويعطر ؟
 وماذا على السالي الذي كان حبه ربيعاً بأزهار الملاحاة يسفر ؟

(١) العنصر — الروح ومعروف عند علماء الطبيعة بأنه جزء من المادة (٢) الشفافة — بقية النهار



١٩٣

طاقة من الشعر المعاصر

يوليو ١٩٣٩

لو ارتدَّ بالماضي وضم شتاته فعشنا على تلك الذخائر نذكر !!
 فلو كان يدري كيف يرقى بذكره فؤاد يقيس العمر من حيث يشعر
 لجاء بشيراً باللقاء ، وصوته غريد له في القلب صنجٌ ومزهر
 فليست حياة المرء في طول عمره ولكنه بالقلب يحيا ويعمر !!

سوالف أياحي ، وما أنت في البلى فانك في عيني صحائف تنشر
 وأنتك أطلال الشباب وعهده وأحياؤه عندي - وان غبن - حضر
 بلى انت في الماضي ، وفي ضوء حاضري الى الموت ، نجواي التي ليس تقبر !

- ٣ -

لعبد الحميد الديب

موت الشيطان !!

كل شيء أشهد الله عليا فرّت الدنيا جميعاً من يديا
 لا تقل لي كيف تحيا سادراً أنا ميت بين قومي لست حيا
 سر هذا البؤس أني شاعر قد أفاد الدهر مني عبقريا
 عندما كنت بحالي قاصفاً كنت أصغي للمصلي يتها
 رنة التكبير في سمعي تحت رنة الكأس وأودت بالحميا
 والمصلون لدى تسبيحهم صيروا الندمان في عيني نسيا
 مظهر التسبيح والتقوى بهم قد سقاني الكأس إيماناً سرىا
 يا صبحي يا غبوقي ضلة لكما مني بكوراً او عشيا
 وهبطت الروض والليل سجي قد أجنّ الطير والورد النديا
 كل ما في الروض حتى تر به سبح الديان تسبيحاً خفيا
 وهنا أدركت أني لم أعش وأنا المسلم إلا جاهليا



قد اتخذت الشعر توحيدى ولم أظهر فبنى الشعر عليا
 بينما أسرف في وصف الطلى والهوى لم ادخر لله شيا
 أنا أو أبلّس للدنيا عى هو خاف وأنا أبدو جليا
 قلت ربى ! وأنا جاث له خباني لطفه قلبا رضا
 تبت من ذنبى ومن ترجع به نفسه لله يبعثه نقيا
 توبة من بعد أن فزت بها كل شيء صار في عيني هنيئا
 فتراني في السموات العلى أصحب الشمس وتغنو لي الثريا
 ولدى سدرتها في موكب ما حوى إلا ملاكاً أو نبياً
 وعلى الأرض شهاباً لامعاً من يياض القلب أو نور الحيا
 فتحت أبواب أرزاقى بها فسقاني خيرها شهداً وريباً
 ونأت عني همومي بعد ما اصبح القلب من الدنيا خليئاً
 وسل الليل فما أغفو به غير أرقاق وما تجدي عليا
 هذه آية عشقى كلما جن لي ظلت سهران مليا
 لا يواتيني الكرى حتى أرى طيف حى فأحيى واحيى
 فاذا حدثني ألفتني غائب المهجّة لله نحيّاً

أين شيطاني وأينت ربحه كان يهفوني الدجى روحاً عتيّاً
 أكله أو شربه من هجرتي في ظلام الشك أفاقاً شقياً
 ففضى يوم الهدى اذ لم يجد أي شرع ينتهى منه اليّا
 جنة المحراب تشوي جسمه وأنا لم أغش بيتاً او نديا
 مات شيطاني وهاكم خنده هينموا بالدمع اشباحاً بكيا

ملكا العقاقير

السلفانيلاميد والسلفاثيرين

وصف فعلهما العجيب

المكتشفات العظيمة في حلبة العلاج الكيميائي نادرة . فعلى الرغم مما بذل من جهد عظيم ومال طائل في سبيل الكشف عن مواد او عقاقير جديدة تؤثر تأثيراً شافياً حاسماً في بعض الامراض ، لايسع علماء الطب الا الاكتفاء بالاشارة الى بضعة عقاقير نوعية فقط من قبيل الكينا ولذلك يجب ان يعتبر التقدم الحديث في كشف مواد كيميائية تصلح للعلاج مستهلاً عصر جديد في طريقة العلاج الكيميائي . فقد أسفر البحث في خلال الاربع السنوات الاخيرة عن كشف عقارين جديدين يلوح ان قيمتهما في الطب عظيمة حقاً

أحد هذين العقارين هو المعروف بالسلفانيلاميد Sulphanilamide (راجع مقتطف مايو ١٩٣٩ صفحة ٥١٧) المستعمل الآن في علاج اصابات كثيرة يسببها نوع من البكتيريا يعرف باسم الستربتوكوك من صنف بيتا الفاتك بكريات الدم الحمر (hemolytic) . ومن الاصابات التي يسببها هذا النوع من البكتيريا ، الحمرة ، حمى النفاس ، تسمم الدم ، التهاب الحلق ، التهاب السحائي . ثم ان استعمال السلفانيلاميد قد قلب معالجة السيلان رأساً على عقب وهو يفيد في جميع أنواع النومونيا (التهاب الرئة) وان كان بعض الثقات يشك في فائدته في بعضها

وأما العقار الآخر فهو السلفاثيرين Sulphapyridine وهو مشتق من السلفانيلاميد وينافسه بل ويفوقه في تأثيره ويتميز عليه في انه ناجع في حالات الاصابة بالبكتيريا المعروفة باسم ستافيلوكوك . وهي البكتيريا التي تحدث الصديد الاصفر . ولا يعلم حتى الآن مكانة السلفاثيرين في علاج النومونيا على وجه من الدقة العلمية ، على الرغم مما تنشره الصحف . فالاطباء الانكليز اميل الى التفاؤل من غيرهم ، ولكن يجب ألا ننسى ان هذين العقارين حديثا العهد وأن التجارب بهما لم تستوف بعد ، ولا بدّ اذن من المضي في الاعتماد على طريق المصل عند معالجة النومونيا ، الى ان ينجلي كل غامض وينقطع كل شك

وسواء انجحت معالجة النومونيا بهما النجاح الباهر المتوقع ام لم تنجح ، فان السلفانيلاميد والسلفاثيرين عقاران نوعيان نادران . واكتشاف الثاني بسرعة بعد البدء في استعمال الاول

بدل على اتا امام جزيء كيميائي ، يتصف بخواص فسيولوجية عجيبية . واذا كان السلفايريدن — وهو مشتق من السلفانيلاميد — افعل من الاصل الذي اشتق منه ، فلا يبعد ان تكون هناك مشتقات اخرى لها فائدة كبيرة في العلاج ، ضد انواع اخرى من البكتيريا المرضية — اعدى عداة الانسان واخبثها — التي لم يوجد لها شاكم او رادع حتى الآن

الاسم الكيميائي للسلفانيلاميد هو (بارا — امينو — بنزين — سلفوناميد) فاختصر رأفة بالكتاب والصيدين وعامة الناس . كشف جزيئه اولاً سنة ١٩٠٨ على يد بعض كيميائي صناعة الاصباغ بالمانيا . وانقضت خمس سنوات اقترح في خلالها استعمال هذه المادة في العلاج الكيميائي . وفعلاً كشف ان طائفة من المواد المشابهة لها ، ذات فعل مقاوم للبكتيريا ولكنه فعل محدود التأثير . وفي سنة ١٩٣٥ تمكن علماء المان بارشاد الدكتور دوماك Domagk من ان يثبتوا ان البروتوزيل فعال في مقاومة الالتهاب الستربتوكوكي في الفئران . وفي خلال مدة وجيزة انتشر استعمال البروتوزيل في عيادات مختلف البلدان . ثم اظهر البحث ان الجزيء الفعّال في جزيء البروتوزيل هو (البارا — امينو — بنزين — سلفوناميد) اي السلفانيلاميد . ولكن يلوح ان البروتوزيل ومشتق جديد منه يدعى نيوبروتوزيل لها فوائد معينة لا يفي عنها استعمال السلفانيلاميد ولا السلفايريدن

البكتيريا ثلاثة اشكال بوجه عام . العصوية والحلزونية والكروية . وهي جميعاً مجهرية اي لا ترى الا بالمجهر . وتعرف الكروية بكاسع يضاف الى آخر الاسم « كوكس Coccus » ومن البكتيريا الكروية ما ينمو كتلاً متصلة بعضها ببعض فتتألف حبال حيوية منها . هذه البكتيريا تعرف باسم « ستربتوكوكس » ويجذف السين الاخيرة نقول ستربتوكوك ونسب اليه والبكتيريا الستربتوكوكية اعدى عداة الانسان ، فهي في كل مكان ، وشبح خطرها ابداً مائل امامنا . عنها تنشأ اصابات وامراض اكثر مما ينشأ عن اي نوع آخر من البكتيريا . واشد البكتيريا الستربتوكوكية خطراً هي التي تفتك بكريات الدم الحمر (hemolytic) . والبكتيريا الستربتوكوكية التي تفعل هذا الفعل ضروب شتى ، من اخبثها الضرب الموسوم بحرف « بيتا » اليوناني الذي يحدث تسمم الدم والتهاب اللوزتين الحاد والتهاب الحلق التسممي او الوبائي ، والحمرة ، والحمى القرمزية وغيرها . والبروتوزيل هو العقار الاول في التاريخ الذي كان فعّالاً في مكافحة هذه البكتيريا . واذا استئشنا الحمى القرمزية فالعلم الطبي لم يكشف قبله طريقة ما لعلاج هذه الحالات

ومن المبالغة في القول ان البروتوزيل او السلفانيلاميد يكفي لعلاج السيلان علاجاً ناجحاً في ثلاثة ايام . والسيلان حالة يسببها احد البكتيريا « الكوكية » التي تنمو ازواجاً ولذلك تعرف باسم « ديبلكوك » . والعقار الجديد فعّال في مكافحة هذا النوع من الجرائم ، وانما العلاج

يحتاج الى اسابيع ، وعدد غير يسير من المصابين لا يفيد من العلاج شيئاً . ولكن هذه العقاقير لا مثل لها في ما يعرف من العقاقير في فعلها الشديد ضد هذا النوع من البكتيريا

وكان من الطبيعي ان يكون اكتشاف البروتوزيل والسلفانيلايد وما لهما من فعل عجيب في مكافحة طائفة من انواع البكتيريا المرضية ، باعثاً على اكباب العلماء على البحث والاستقصاء وقد صنعت فعلاً مئات من مشتقات السلفانيلايد وامتختت في اصابات شتى في الحيوانات والانسان ، وفي السنة الماضية نشر الطبيب الباحث الانكليزي وتي Whitby رسالة وصف فيها تجاربه التي امتحن فيها جزيئات اربع وستين مادة مختلفة . فكانت مادة السلفايريدن Sulphapyridine اقربها الى النجاح بعد امتحانها بالفئران . وتأثيرها بوجه عام يشبه تأثير السلفانيلايد ويفوقه من ناحية التأثير في « الستربتوكوك » ويتميز السلفايريدن بتأثيره « بالسفيلوكوك » وهو نوع البكتيريا الذي يحدث الصديد في البثور والدمامل

وقد اتسعت الآن ابحاث وتي الاولى . واذا ثبت ان السلفايريدن له تأثير ضار يجب اجتنابه او الاحتياط له احتياطاً شديداً على الاقل ، فالراجح انه سيستعمل ضد السفيلوكوك وقد يحل محل السلفانيلايد في علاج السيلان . ولا يخفى ان السلفانيلايد والسلفايريدن والمركبات التي تمت اليها بصلة القرابة الكيميائية مواد سامة ، لان كل عقار فعال هو بطبيعته مادة يكمن فيها الفعل السام ، لشدة تأثيرها في الخلايا الحية تأثيراً قد يكون هو الفاصل بين موتها وحياتها . ولذلك حظرت الحكومة بيع العقاقير الجديدة الا بأمر طبيب . والسلفايريدن نفسه لم يوزع على الصيدليات بعد . فمن المتعذر الحصول عليه ولو وصفه الطبيب . واستعماله الآن قاصر على كبار الخبراء والمجربين فقط لانه عقار لم يتخط دور التجربة بعد . وقد أثبت الاختبار ان المصاب الذي يعالج نفسه بالسلفانيلايد بغير وصف الطبيب او اشرافه قد يقتل نفسه . فمن مظاهر تأثيره في الجسم ، الدوار (ولذلك يجب ان يبتعد عنه الى الامتناع عن سوق السيارة) وضعف اليقظة الذهنية وارهاف الاحساس بالضوء ، وفقر دم مفاجيء حاد وحموضة حادة في الدم acidosis وفقد كريات الدم البيض ، والصداع والغثيان ، والجنون المؤقت ولكن اذا كان استعمال السلفانيلايد وفقاً لارشاد طبيب خبير وبإشرافه ، فوفاة المصاب لا تحدث والشفاء التام مؤكد من الاعراض التي قد تظهر نتيجة لتناول العقار . والسلفانيلايد قد انقذ حتى الآن الوف الناس كل سنة منذ اكتشافه . وما يقال فيه يمكن ان يقال في السلفايريدن بوجه عام . وكلاهما يحضر الآن بلورات ومسحوقاً في اقراص وسائلاً للشرب . والأخذ بالفهم مفضل ولكن الحقن ضروري في بعض الحالات حيث تؤثر المادة في نظام هضم المصاب فتقلقه . ويؤخذ مع العقار عادة بيكربونات الصودا منعاً لخطر الحموضة الحادة . وعلى كل حال لا بد من اشراف الطبيب اشرافاً دقيقاً

وقد اذاع الدكتور لونغ احد اساتذة المدرسة الطبية بجامعة جونز هبكنز الاميركية ان في الوسع منع معظم وفيات النومونيا اذا عولجت الاصابات بالمعالج الصحيح في اليوم الاول . والغالب انه من المتعذر منع جميع الوفيات لان المصابين بالنومونيا قلما يذهبون الى الطبيب في اليوم الاول من اصابتهم بل قد لا يستدعونهُ الا اذا اشتد المرض عليهم

والعلاج الذي يقترحه الدكتور لونغ هو « السلفايريدين » . فباستعماله هبطت الوفيات بالنومونيا في مستشفيات جونز هبكنز اكثر من ستين في المائة . ولم يتوفَّ بها من اول يوليو ١٩٣٨ عندما بدأ استعمال هذا العقار الا ثمانية مصابين . ومن هؤلاء الثمانية اعطي اربعة المصل الخاص بالنومونيا وحده . ومصاب واحد اعطي المصل والسلفايريدين والثلاثة الباقون اعطوا السلفايريدين وحده . وكان عدد المصابين بالنومونيا الذين عولجوا في خلال هذه الفترة في المستشفى ١٠٧ مصابين ويرى الدكتور لونغ ان استعمال المصل ليس لازماً اذا امكن اعطاء المصاب السلفايريدين في اليوم الاول من اصابتِه . وفي هذا توفير كبير لان استعمال المصل الخاص يقتضي نفقة كبيرة . ثم ان المصل الخاص بضرب معين من النومونيا ليس في المتناول دائماً حالة ان السلفايريدين فعَّال في جميع انواعها على السواء . وزيد فعل السلفايريدين باضافة الصوديوم اليه . وغدا في الوسع حقن العقَّار في شريان المريض لأن بعض المصابين يعجزون عن ازدراده . ثم ان الحقن يجعل الفعل اسرع من الشرب فلا تمضي خمس دقائق على الحقن حتى يظهر أثره

ويلاحظ ان هذا العقار ينقذ المصابين بالنومونيا من طريق ابطائه لتكاثر جراثيمها وهذا يتيح للعصاب ان يستجمع قوى الدفاع عن الجسم لتقوم بمهمتها . وبعد ان يدخل العقار الجسم تهبط الحرارة ولكن المصاب يظل في حكم المصاب بالنومونيا حتى تتمكن قوى الدفاع عن الجسم من التغلب على الجراثيم وقد عني طبيبَان من اطباء معهد مايو الاميركي وهما الدكتور فلدمان والدكتور هنشو بيجت تأثير هذا العقَّار العجيب في السل . فأخذوا جماعة من الخنازير الهندية ، وهي شديدة التعرض للاصابة بالسل البشري وحصَّنوها ضد جراثيم السل بهذا العقار ، فحقنها بمجرات كبيرة منه بضعة ايام قبل حقنها بجراثيم سل فائقة ومضيا في حقنها بالعقَّار مرتين كلَّ يوم في خلال مدة التجربة كانت الحيوانات التي عولجت بالسلفايريدين اثني عشر خنزيراً هندية . وبعد انقضاء ثلاثة اسابيع على حقنها بجراثيم السل ثبت ان ستة منها لم تصب بأعراض السل لا في الكبد ولا في الطحال ولا في الرئتين . وظهرت اعراض سل لا ريب فيها في هذه الاعضاء في أحد الخنازير . اما البقية فقد ظهرت الاعراض فيها في الطحال فقط . وقد ظهرت أعراض السل في جميع هذه الاعضاء في اثني عشر خنزيراً آخر حققت بنفس حقنة الجماعة الاولى اي بجراثيم سل بشري فائقة ولكنها لم تحصن بالسلفايريدين . ولا يعني هذا البحث انها يقطعان بفائدة السلفايريدين في شفاء السل او منعه وانما يقولان ان بحثهما يعث على العناية بتناجيه واهما ماضيان على كل حال فيه

الانزيمات

النظريات الحديثة في طبيعة عمل الانزيم

لرؤسوانه محمد رؤسوانه

من المشاهدات المأموسة ، ان تفاعلات المركبات العضوية داخل الكائن الحي ، تسير بسرعة خيثة ، ونحن نعلم ان سرعة هذه التفاعلات داخل المعمل الكيميائي بطيئة جداً . فهذا الفارق الذي نراه بين سرعة التفاعلات العضوية في الاحوال الصناعية كالحرارة والضغط والعوامل المساعدة داخل المعمل ، وسرعتها داخل الكائن الحي ، ناشئ عن وجود عوامل مساعدة عضوية Organic Catalysts داخل البروتوبلازم الحي يطلق عليها اسم الانزيمات Enzymes فيمكننا القول اذاً ، ان الانزيمات هي عبارة عن المواد التي تكوّن الخلايا الحية ، وتكون لها القدرة على احدث تغييرات كيميائية بدون ان تصير هي نفسها جزءاً من المحصول النهائي ، اي أنها لا تتحد بالمواد التي يحدث فيها التفاعل الكيميائي ، وبعبارة أخرى هي العوامل المساعدة للمادة الحية وظاهرة العوامل المساعدة مشاهدة بكثرة في الكيمياء المعدنية والعضوية ، فمثلاً يستخدم ثاني اكسيد المنجنيز في تحضير الاكسجين من كلورات البوتاسيوم ، ويساعد البلاتين الاسفنجي على أكسدة ثاني اكسيد الكبريت الى ثالث اكسيد الكبريت في عملية تحضير الحامض الكبريتيك التجاري . ويكون التحليل المائي لسكر القصب الى سكر جلوكوز وفراكتوز بطيئاً جداً في حالة وجود الماء فقط ، فاذا ما أضفنا قليلاً من الحامض الكبريتيك أو الحامض الكلورودريك الى المحلول ، ازدادت سرعة التحليل ازدياداً عظيماً ، الى غير ذلك من الامثلة العديدة لهذه المركبات الكيميائية التي تقوم بمساعدة التفاعلات دون ان يكون لها أي نصيب فيها . ويمكننا حصر خواص العوامل المساعدة فيما يلي :-

١ - لا يظهر العامل المساعد كمادة أولية initial ولا كمحصول نهائي end product ، كما ان تركيبه لا يتغير اي تغيير بعد انتهاء التفاعل ٢ - تتغير سرعة التفاعل ، وغالباً ما تزداد ، وتناسب سرعة التفاعلات تناسباً طردياً مع المقدار الموجود من العامل المساعد ٣ - يلاحظ ان العوامل المساعدة لا تحدث تفاعلاً لا وجود له ، فكل عملها ينحصر في معادلة التفاعل الموجود ، فتزيد

من سرعته بعد ابطائه ، كما ان المقدار الصغير من العامل المساعد يساعد على انتاج مقادير كبيرة من المركبات المطلوبة . وان أغلب خواص الانزيمات تشابه جميع خواص العوامل المساعدة المذكورة وتختلف عنها في كونها تقتل بالحرارة ، ولكل انزيم تأثير خاص في المادة يخالف تأثير اي انزيم آخر في نفس المادة

إن أغلب التفاعلات التي تحدثها الانزيمات هي تفاعلات عكسية Reversible ، أي أن التغير الذي تحدثه في مركب ما ، يستمر حتى يصبح المركب الناتج في حالة توازن مع المركب الأول ، ومن هذا يتضح أن الانزيمات لا يقتصر عملها على التحليل المائي فحسب ، بل أنها تقوم أيضاً بأعمال بناءية ، أي أنها تبني المواد المعقدة التركيب من مواد أخرى أبسط منها ، فمثلاً انزيم Invertase يحلل سكر المولت مائياً الى دكستروز ، ثم اذا وضع في محلول مركز من الدكستروز ، فإنه يبني مقداراً صغيراً من المالتوز الى أن يحدث التوازن

الانزيمات وخواصها العامة

١ — تتميز الانزيمات بنشاطها الشديد عند توافر العوامل المناسبة ، فالمقدار القليل منها له القدرة على احداث تغيير في مقدار من المركب الكيميائي الذي تؤثر فيه ، يعادل وزنه مئات المرات ، وذلك بدون أن يتأثر الانزيم ، أي أنه يبقى على حالته قبل احداث التغير . فمثلاً انزيم الكاتالاز Catalase يحلل ٢٢٠ مقدار وزنه من فوق اكسيد الايدروجين الى ماء واكسجين .

في وسع انزيم الافرتاز أن يحلل ستة أمثاله في الوزن من سكر القصب الى سكر محول

٢ — معظم الانزيمات غروية التركيب ، أي أنها لا تنفذ خلال الأغشية ، وبعض هذه الانزيمات يوجد بداخل الخلايا التي كوّنها مؤدياً وظائفها الخاصة فلا يمكن استخراجها إلا بعد اتلاف جدران الخلايا والأنسجة الأخرى التي قد تحيط بها وتسمى Intra-cellular ، والبعض الآخر يوجد على صورة افرازات تفرزها غدد خاصة وتدفع بها الى أعضاء أخرى مثل المعدة والأمعاء في الحيوان ومثل البذور في النبات . وهذه الانزيمات يمكن استخراجها من الأنسجة بواسطة الماء وتسمى Extra-cellular

٣ — لكل انزيم تأثير خاص به Specific effect ، أي يكون له اتجاه خاص في التفاعل ، فيؤثر في مجموعة من المركبات لها تركيب جزيئي متشابه ، ولهذا نشاهد أن لكل مركب انزيمياً يختص بتحليله ، ولو أن هناك بعض الانزيمات القليلة مثل انزيم المالتوز Maltase يساعد في التأثير في مجموعات متعددة من مركبات متشابهة

٤ — لدرجة حرارة البيئة التي توجد بها الانزيمات المختلفة تأثيران مهمان : الأول ازدياد سرعة التفاعل بين الانزيم ومركبات البيئة ، مثله في ذلك مثل التفاعلات الكيميائية الأخرى . والثاني تأثير الانزيم نفسه بارتفاع درجة الحرارة ، فكلما ارتفعت الحرارة قل نشاطه وعمله الى أن يتلف تماماً بتأثير الحرارة العالية ، ومعظم الانزيمات يتلف عندما تبلغ درجة الحرارة أقل من درجة الغليان اذا ما كانت في محلول مائي ، ولكن اذا كانت في حالة جافة تكون اكثر مقاومة للحرارة ، فتتحمل ارتفاع درجة الحرارة الى درجة اكبر من الغليان . ومتى قتلت الانزيمات لا يمكن أن يعود اليها نشاطها ثانية ، وتقوم الانزيمات بعملها على الوجه الأكمل على درجات مئوية حرارة مخصوصة ، فالانزيمات التي في أجسام الحيوانات يوافقها درجة حرارة الدم أي ٣٧° ستجrad ، والانزيمات النباتية تلائمها ٢٥° مئوية

٥ — يزداد نشاط الانزيمات على درجات خاصة من الحموضة والقلوية ، فهي من هذه الناحية شديدة الاحساس جداً ، وهذه الدرجات تختلف كثيراً باختلاف الانزيمات ، وإن اختلافاً ولو كان بسيطاً في التأثير المطلوب Reaction للانزيم يقلل كثيراً من عمله ، وقد يوقف عمله بالكلية مثلاً إنزيم الپيسين (انزيم المعدة) لا يظهر نشاطه إلا في وجود وسط حامض بسيط ويحدد من نشاطه وجود أي أثر قلوي ، وهذا بعكس انزيم الأمعاء — التربسين — فإنه لا يظهر عمله إلا في وسط قلوي . وعلى العموم فإن جميع الانزيمات تتلف صفاتها في البيئات ذات القلوية الزائدة او الحموضة العالية

اسم الانزيم	قيمة رقم PH	اسم الانزيم	قيمة رقم PH
انزيم الپكتاز	٤.٣ — ٦	» اللاكتاز	٤.٤ — ٥.٩
» الانفرتاز	٤.٥ — ٧	» البروكسيداز	٥ — ٥.١
» المالتوز	٦.٢ — ٦.٦	» الكتالاز	٦.٣ — ٧
» الدياستاز	٦.٥ — ٧		

ويقلل من نشاط الانزيمات ، ولكن لا يقللها ، وجود أي حامض او قلوي يزيد قوته عن ١/١٠ (عشر أساسي) ولا يظهر تأثير كل منها إلا في وجود مقادير قليلة من املاح متعادلة خاصة ٦ — الانزيمات تذوب في الماء ، وترسب بالكحول والاسيتون ، واكبر ما يكون فعلها الكيميائي في الظلام ، اذ أن أشعة الشمس وكذا اشعة الراديو والاشعة السينية تعطل عملها ، وبعض الانزيمات تحتاج الى املاح مخصوصة لكي تشغط في عملها مثل انزيم Renuin يلزم له املاح الكالسيوم ٧ — لا تتأثر الانزيمات بالمطهرات ، بينما يتأثر البروتوبلازم به وبذا يضعف نمو الخلية . ومعظم

الانزيمات يتأثر بنتاج التفاعل. فمثلاً انزيم الزيماز يتلف بالكحول اذا ما بلغ تركيزه الى درجة معينة توجد الانزيمات في كل كائن حي ، حتى في الاحياء الدقيقة مثل البكتريا والفطر والخمائر ، فنحن نعلم ان هذه الكائنات تتغذى بالتشاكل الغشائي وان المواد التي تتغذى بها يجب ان تكون اولاً ذائبة في الماء خارج الخلية ، وذلك ان تلك الاحياء لا تستطيع ان تتغذى بالمواد الصلبة ، ولما كانت الميكروبات تستعمل كثيراً من المواد المعقدة مثل السليولوز والنشا والدهون وغيرها من المركبات التي لا تذوب في الماء ، وعلى ذلك كان لابد لتلك الميكروبات من ان تحدث في هذه المواد تغييرات كيميائية ، حتى تصبح ذائبة فتنتشر في الخلية ، وفعلاً وجد ان للميكروبات القدرة على احدث التغييرات المطلوبة ، ولذا اطلق عليها في بادئ الامر اسم خمائر Organised ferments ، تتميز أها من الخمائر غير الحية كالمصير المعدي والمعوي وغيرها ، ثم وجد بعد ذلك ان للميكروبات القدرة على احدث تغييرات كيميائية داخل خليةها بواسطة مواد تشابه تلك التي تفرزها خارج الخلية ، وعلى هذا اطلق على هذه المواد عموماً كلمة انزيم ، وقسمت الانزيمات الى قسمين رئيسيين: ١ — الانزيمات الخارجية : وهي التي تفرز خارج الخلايا ، وتؤثر في المركبات الغذائية

المعقدة التي لا تذوب في الماء ، فتحولها الى مواد بسيطة يسهل امتصاصها

٢ — الانزيمات الداخلية : وهي التي تبقى داخل الخلية ، وتحدث التفاعلات الكيميائية في البروتوبلازم لانتاج المجهود وكافة العمليات البنائية ، كما انه يمكنها بعد موت الخلية ان تسبب الاذابة الذاتية Autolysis

يكثر وجود الانزيمات في اعضاء الحيوانات وغدها التي تحدث بها العمليات الحيوية السريعة كما في القناة الهضمية والدم والمخ ، وكذا توجد في جميع الخلايا الحية النباتية فحين انبات البذور مثلاً تحول الانزيمات مواد الاندوسبرم المخزنة الى مواد ذائبة ، وبذا يمكن نقلها الى الانساج الباردة ولقد حاول العلماء بشق الوسائل ان يفسلوا الانزيمات بحالة نقية ، ولكن ذهبت كل تلك المحاولات عبثاً ولم تصادف اي نجاح ، ولذلك فاقنا لا نعرف على وجه التحقيق تركيبها الكيميائي ، ولما كانت الانزيمات هلامية التكوين ، فهي لذلك تندمج في البروتينات والكر بوايدرات وغيرها ، وبذلك تكتسب خواصها حتى ان كثيراً من الباحثين وصفوا بعض الانزيمات التي درسوها بأنها كرو بوايدرات ، والبعض الآخر بأنها بروتينات ، ولكن دلت الابحاث الاخيرة ، على انه لو عرضت تلك الانزيمات للمواد التي تحلل الكرو بوايدرات او البروتينات ، لفقدت كل خواص البروتين او السكر ، دون ان يتعرض نشاطها لتأثير ما . وهذا يفسر لنا ان صفات البروتين او الكرو بوايدرات التي في بعض الانزيمات ان هي الا صفات مكتسبة وليست هي صفات الانزيمات الاصلية ، ولقد كانت تسمية الانزيمات في بادئ الامر ترتكن على اعتبار أنها بروتينات ، فقد كانت

الأسماء المعطاة لها منتهية بالحرفين in على نمط بروتين Protein ، فلما ثبت عدم صحة هذه النظرية، اتجه الرأي أخيراً الى تسمية الانزيمات باسماء المركبات التي تؤثر فيها مضافاً اليها المقطع ase (آز)، فمثلاً يسمى الانزيم الذي يؤثر في السليولوز، سليولاز والذي يؤثر في الجلوكوز جلوكاز والذي يؤثر في الدهون ليباز وهكذا، ويطلق على المادة التي يؤثر فيها الانزيم فيحللها مائياً او يؤكسدها او يحدث بها اي تغيير كيميائي آخر اسم Substrate ومن الانزيمات ما يقوم بعملية التحليل المائي وتسمى هيدرولاز وأخرى تساعد على التأكسد ولسهولة دراسة الانزيمات تقسم الى ثلاثة اقسام رئيسية

تقسيم الانزيمات العلمي

أولاً — انزيمات هيدروليزية ، وهي الانزيمات التي يمكنها أن تحلل المواد المعقدة الى مواد أبسط منها باضافة الماء أي بالتحليل المائي
ثانياً — انزيمات مؤكسدة ومجزئة . فبعضها يؤكسد مركبات مخصوصة بواسطة أكسجين الهواء الجوي، أو الأوكسجين المأخوذ من مواد سهلة الاختزال، والبعض الآخر يحدث تغييراً في ترتيب الذرات في داخل الجزيء ، وبذا تنتج اكسدة داخلية وينقسم الجزيء الى جزئين أو أكثر
ثالثاً — انزيمات محتزلة ، وهي تساعد على الاختزال الذي يحدث دائماً عند ما تبنى المواد الغذائية من مواد بسيطة غير عضوية ، كتكوين السكر من ثاني اكسيد الكربون والماء . والآن سنتكلم عن كل قسم منها بالتفصيل : —

أولاً : (الانزيمات الهيدروليزية) وهي تقسم الى ثلاثة أقسام

ا — انزيمات تؤثر في المواد الكربوهيدراتية

ب — انزيمات تؤثر في المواد البروتينية

ج — انزيمات تؤثر في المواد الدهنية

ا — الانزيمات التي تؤثر في المواد الكربوهيدراتية : تساعد على انحلالها الى سكريات بسيطة بواسطة التحليل المائي وهي تشمل على انزيمات عديدة أهمها ما يلي : —

١ — انزيم البكتيناز : وهو الانزيم الذي يذيب المواد البكتينية التي توجد في معظم النباتات مكونة للطبقة الوسطى ، وهذا الانزيم هو العامل الاساسي في تطفل الفطريات ، فهو يؤثر في البكتين في الجدار المتوسط للنبات فيذيبه ، وتكون النتيجة انفصال الخلايا بعضها عن بعض ، وبذا يصبح الطريق ممهداً لدخول الفطر

٢ — انزيم الدياستاز والانيولاز : من اكثر الانزيمات انتشاراً في النباتات ، يوجدان في

الحبوب والجذور والدرنات والاوراق وكذا في بعض انواع البكتريا والفطر . ويحلل الدياستاز النشا تحليلاً مائياً الى دكسترين ثم الى مالتوز ، واما انزيم الانيولاز فهو يحلل الانيولين الى سكر الليفيولوز

٣ — انزيم الافرتاز : وهو يشتمل على ثلاثة انواع من الانزيمات المحللة ، وهي انزيم السكراز وهو الخاص بتحليل سكر القصب فيحواله الى دكستروز وليفيولوز ، ثم انزيم الاكتاز ويختص بسكر اللبن فيحواله الى دكستروز وجالكتوز ، وانزيم المالتاز يحلل سكر المالتوز الى سكر دكستروز . وتوجد هذه الانزيمات في أغلب الحماثر وكذا في الفطر والبكتريا وفي الاوراق والازهار والجذيرات لكل النباتات الراقية . ودرجة حرارتها الملائمة من ٥٠° الى ٥٤° سنتجراد ، وتقتل لو سخنت لدرجة ٧٠° سنتجراد في جو رطب ، ويزيد في حيوتها وجود مقادير قليلة من الاحماض ، ويقلل من نشاطها وجود القلويات

٤ — انزيم السيتاز : وله قدرة عظيمة على تحليل المواد السليولوزية التي تكون جزءاً كبيراً من جسم النبات ، ولولا وجود هذا الانزيم ، لتراكت هذه المواد في الارض في مقادير هائلة ، دون ان يستفيد منها النبات ، او الكائنات الارضية بشيء

ب — ﴿ الانزيمات التي تؤثر في المواد البروتينية ﴾ : وهي الانزيمات التي تحلل المواد البروتينية المعقدة التركيب الى مواد ابسط منها ، وهناك ثلاثة انزيمات مهمة تابعة لهذا القسم هي انزيم الپسين ويحلل البروتين الى مواد پپتونية وحياناً الى مواد پپتيدية وهو يحتاج الى بيئة حمضية ، وانزيم الترسين ويحول البروتين الى پيتون واحماض امينية وحياناً الى نواشدر وتلزمه بيئة قاعدية ، والانزيم الثالث هو انزيم الارپسين ويشبه في عمله الانزيم الثاني ولكنه يفرق عنه في كونه يحلل المواد الأقل تعقيداً من البروتين مثل المواد الببتونية . وهناك عدد كبير من الاحياء الدقيقة له القدرة على انتاج أنواع مختلفة من هذه الانزيمات ، ويمكن اختبار ذلك بتسمية الميكروب في بيئة بروتينية مثل الجيلاتين ، فتشاهد حينئذ ان الميكروب ينتج انزيماً يذيب الجيلاتين ، مثل هذه الميكروبات يكون لها القدرة في غالب الاحيان على تحليل كازين اللبن ومصل (سيرم) الدم . ويلاحظ ان فعل الانزيمات في البروتينات ، وتحولها الى مواد بسيطة ، يكون بطيئاً عن التحليل المائي للكربوايدرات او الدهون ، ويرجع سبب ذلك الى تعقيد الجزيئات البروتينية وصعوبة تفصيلها الى مركبات سهلة . ويمكن اظهار عمل انزيمات البروتينات في اغلب الخلايا وفي البذور ، بدراسة تأثير مستخرجات هذه الانسجة في البروتينات المذابة واحسن مثل ذلك هو انزيم پروتياز الحميرة

ج — ﴿ انزيمات تؤثر في المواد الدهنية ﴾ . يمكن لهذه الانزيمات ان تحلل الدهون



خليل مطران

شاعر العربية الأبدية

المجلد السابع

للدكتور اسماعيل احمد ادهم
عضو اكاديمية العلوم الروسية ووكيل المعهد
الروسي للدراسات الاسلامية



الطور الثاني من حياة مطران

﴿توطئة﴾ كانت مصر في عهد الخديوي عباس حلمي الثاني (١٨٩٢ — ١٩١٤) ملتقى آمال شباب العرب وملجأ أحرار العثمانيين . ذلك أن مصر كانت قد نالت في ظل الاحتلال الإنكليزي شيئاً من الحرية ظهرت آثاره فيما كان يتمتع به المصريون في ذلك العهد من الحرية الشخصية التي لم يكن يتمتع بها المواطنون العرب والترك خارج مصر في ظل الدولة العثمانية . وقد هاجر الى مصر من سوريا ولبنان جمهور كبير في تلك الفترة من الزمن تخلصاً من الجو الخانق الذي تعيش فيه شعوب الدولة العثمانية ، وهو الجو الذي كان يحيم في سمائه شبح الاستبداد الحميدي . ذلك لأن هؤلاء المهاجرين لم يكن في استطاعتهم العمل في محيط بلادهم بحرية وفق رغائبهم وأمانهم ، لأن التصديق كان ينال منهم من كل جهة . وقد أظهر هؤلاء الذين تزحوا الى مصر نشاطاً شمل مع الزمن جميع مناحي الحياة المصرية . غير أنه كان واضحاً في ساحات الحياة الأدبية والاجتماعية والتجارية المصرية . والواقع ان المصريين اليوم مدينون بجانب كبير من نهضتهم الحالية لنشاط هؤلاء النازحين الى مصر من سوريا ولبنان ، الذين اكتسبوا مع الزمن حقوق المواطن المصري ، وإن احتفظوا داخل المجتمع المصري بكيانهم

وكان يتجاذب هؤلاء اللاجئين الى مصر اتجاهان : الاتجاه الأول يتمثل في شعور الولاء نحو الخلافة والارتباط بفكرة الجامعة العثمانية ، مقترنين بالرغبة في الإصلاح . وكان هذا الشعور أكثر ما يظهر في جمهور المسلمين باعتبار مركز الخلافة في العثمانيين . ومن هنا كانوا مرتبطين

بفكرة الجامعة العثمانية^(١). أما الاتجاه الثاني فكان يتمثل في شعور الانعزال عن الجامعة العثمانية مقروناً بالنقمة على الادارة التركية وحسب التخلص منها والرغبة في إنشاء الوطن العربي وكان هذا الشعور يتركز في الغالب في جمهور المسيحيين من النازحين من سوريا ولبنان^(٢) وهكذا كانت مصر ملتقى الاتجاهين ومسرح العاملين في الحقلين: حقل الجامعة العثمانية وحقل الوحدة العربية. على أننا يمكننا أن نقول إن المجرى العثماني كان غالباً في مصر حتى إعلان الدستور في انحاء الدولة العثمانية عام ١٩٠٨. وذلك يظهر واضح السمات في الآثار الأدبية لذلك الجيل

كان خليل مطران من أولئك الذين اضطروا الى مغادرة بلادهم تحت تأثير تضيق السلطات الحكومية. عاش في فرنسا مدة من الزمن حيث اصطدم بوجوه من التضيق جديدة كان مبعثها سفير تركيا الذي هاله نشاط مطران في حقل الإصلاح للجامعة العثمانية^(٣). وهنا يقف مطران في باريس — عاصمة فرنسا — في المفرق بين الشرق والغرب: أذهب غرباً حتى شيلي أم يعود شرقاً وينزل مصر؟ وكان الفتى يعرف أن في ذهابه غرباً ابتعاداً عن الوطن ونأيّاً عن ميدان العمل في حقل الإصلاح الوطني. ولما كان هذا عزيزاً عليه، فقد وقف متردداً يتجاذبه دافعان قويان: أحدهما يدفعه الى ترجيح فكرة الهجرة الى «شيلي» حيث المغريات والتسهيلات التي كانت تلوح بها حكومة شيلي لشباب العالم القديم حتى تجذبهم إليها، أما الدافع الثاني فقد كان يدفعه الى ترجيح فكرة سفره الى «مصر» ويرده عن الهجرة إلى «شيلي». وقد انتهى هذا التردد بمطران الى فكرة ثابتة هي ان ينزح الى وادي النيل. ولم تكن مصر بالبلد الغريب عنه، فقد كان فيها من عشيرته وقومه جالية كبيرة يمكنه ان يأخذ مكاناً لنفسه بينها ويستعين بالظاهرين من أفرادها للوصول إلى الاغراض التي كانت تراود أحلامه كأمني حياته

— ١ —

تحت تأثير هذه الأفكار خرج خليل مطران من باريس ووجهته مصر، فوصل الاسكندرية صيف عام ١٨٩٢. وقد تصادف ان كان وصوله لمصر مقترناً بوصول نبأ وفاة سليم بك تقلا مؤسس جريدة «الاهرام» وهو يصطاف مستشفياً ببيت مري بلبنان. ولما علم بشارة تقلا باشا بوفاة أخيه التمس لنفسه مساعداً له في إصدار «الاهرام». فوجد في شخص مطران بغيته فاختذه نائباً عنه في القاهرة ومحوراً بدار «الاهرام»

(١) أنيس الخوري المقدسي في مبحث لعن النزعة العثمانية من دراسة «العوامل الفعالة في الادب العربي الحديث» المقتطف: ج ٩٢ ص ١٤٢-١٤٣ (٢) الباحث نفسه في المقتطف: ج ٩٢ ص ٢٩٣ (٣) المبحث السادس، من هذه السلسلة قرة ٣

يقول خليل مطران عن بدء اشتغاله بالصحافة في دار «الاهرام»

«كان سليم بك تقلاً من أساتذة المدرسة البطريركية التي تلقيت فيها دروسي ببيروت. وكان له علي أباد ومن. فهو الذي ساعدني حين مررت بالاسكندرية عام ١٨٩٠ في طريقي الى أوروبا وعرفني بسمو خديوي مصر وكنت أحفظ له الكثير من الود والاخلاص في نفسي وأعلق على معرفته الشيء الكثير من المال. لهذا كان خبر وفاة الرجل صدمة عنيفة لي. وبلغني ان النية متجهة لاقامة حفلة جناز على روح الفقيد بالاسكندرية. وقبل اقامة حفلة الجناز بيوم واحد شعرت بدواعي الشاعرية تتحرك في نفسي فمسكت القلم وكتبت في سرعة بضعة أبيات في رثاء الرجل. فلما كان الحفل—وكان يجمع أعيان مصر وكبار رجالاتها—تقدمت الى الحاضرين وألقيت كلمة تأبين للفقيد عدت فيها ما تراه وذكرت فيها ما أعرفه عنه، وتدرجت من ذلك الى القاء من ثاني ويظهر ان كلمتي كان لها وقع عظيم عند الحاضرين. كما أنها كانت سبباً لتعزفي ببشارة تقلاً باشا الذي أظهر زحياً كبيراً بي وسرعان ما شملني برأيته وأولاني عملاً في تحرير «الاهرام» قمت بأعماله على الوجه الاكمل. فكان منه ان قدر في نشاطي واخلاصي في العمل فندبني للقاهرة نائباً عنه فيها. ذلك لان «الاهرام» كانت تصدر في ذلك الحين بالاسكندرية» (١)

إلا أن مطران — فيما وصل اليه علمنا — لم يغادر الاسكندرية الى القاهرة الا عام ١٨٩٣، بعد أن رافق الخديوي عباس حامي الثاني في سفرته الأولى الى تركيا. وقد ساعدت مطران نزعته الاجتماعية على ان يتعرف بالناس فأصبح في قليل من الزمن صاحب مكانة اجتماعية في المحيط المصري (٢). وقد أهّلته هذه المكانة الاجتماعية للقيام بأعماله على احسن وجه في تحرير «الاهرام»

وربما كان الرجل قد لاقى في بدء اشتغاله بالصحافة بعض الصعوبات. لانه لم يكن يألف صناعة التحرير الصحافي. ولكن ليس هنالك من شك في أنه تغلب على هذه الصعوبات بماله من عزم ومقدرة على التطبع ومرونة على التكيف وبهذه المؤهلات — بجانب نزعته الاجتماعية — رز مطران محرراً ممتازاً في عالم الصحافة العربية

وقد اشتغل مطران نيفاً وسبع سنوات في دار «الاهرام» حتى انتقالها عام ١٨٩٩ الى القاهرة. وقد حدث ان رغب بشارة باشا تقلاً في أن يجعله رئيساً للتحرير، غير انه أبى ذلك حتى يحفظ لنفسه حريتها في التفكير والعمل

وكان مطران اثناء تحريره بالاهرام يكتب كل اسبوع مقالاً في السياسة او الاجتماع او الاقتصاد او الأدب. وكانت لمقالاته هذه صداها الكبير في المجتمع المصري، وذلك لانها كانت تكتب بطريقة جديدة فقد كان يغلب عليها التدقيق والتحقيق وتخللها نزعات تأملية واتجاهات علمية. وكتابات الرجل السياسية كانت تكشف عن اتجاهاته الانسانية ونزواته الاصلاحية (٣) ويظهر ان مطران تأثر بالنزعة الغالبة في مصر من التشيع لفكرة الجامعة العثمانية (٤)

(١) عن خليل مطران وأنظر من هذه الدراسة البحث الخامس: فقرة ٢ حديث الصحافي العجوز
(٢) مجلة سركيس: م ٢ ج ١١ ص ٣٢٢ (٣) صحيفة الاهرام عدد يوم ٢٨ يونيو ١٨٩٣ مقال لمطران عن «حلم سيامي» (٤) أنيس الخوري المقدسي، المقتطف: م ٩٢ ج ٢ ص ١٤٦
جزء ٢ (٢٧) مجلد ٩٥

وذلك واضح من المقالات التي كان يكتبها معلقاً بها على حوادث الدولة العثمانية وسير الشؤون والاحوال فيها . وتتجلى هذه النزعة العثمانية في كتابات مطران . وهي أكثر ما تتضح وتستبين في شعره ، واذن فلا غرابة في ان نسمعه يقول من قصيدته (فتاة الجبل الاسود) التي نظمها^(١) قبيل استقلال الجبل :

طغت امة الجبل الأسود على حكم فاتحها الأيّد
ومالترك الاّ فحول الحروب رضيعو لظاها من المولد ومنها :

وهذه الحماسة العثمانية تبدو قوية في كتابات مطران وشعره الى زمن متأخر ، تراها في القصائد التي يذكر فيها حرب طرابلس الغرب وبعثات الهلال الاحمر . غير ان الحرب العظمى والحوادث التي حملتها في طياتها من استبداد الاتحاديين بالعرب قضت على وشائج الصلة العالقة بين نفسه وبين العثمانيين

على ان مطران مجده بعد ذلك يقف — في كتاباته في الاهرام — من الحوادث الداخلية موقف الحيدة خشية ان يميل به الرأي الى وجهة تتفق ورأي إحدى الشيع فيهم بمناصرتها . لهذا كان التحوط أبرز سمات المقالات التي كان يكتبها مطران — في تلك الفترة — في الشؤون المصرية الداخلية . ويظهر أن هذه الحيلة كانت تقوم من نفسه — بجانب الأصل الطبيعي منه — بشعور الانزال كدخيل في المحيط المصري . الا أن مطران بعد تلك الفترة دخل السياسة المصرية ومال مع الحزب الوطني وناصر مصطفى كامل في جهاده القومي بقلعه

على أن حياة مطران التي ارتبطت بالصحافة طيلة هذه الفترة لم تقص على بقية مناحي نشاطه فقد أظهر في تلك الفترة نشاطاً ادبياً ثم على شاعرية عظيمة كامة في نفسه تفتحت براعمها في ذلك الحين . فقد نظم عدة قصائد نشر بعضها في مجلة « أنيس الجليل »^(٢) وهي صحيفة ادبية كانت تصدرها السيدة الكسندرا دي افرينوه ويزينوسكا بالاسكندرية . وانت مجد بعض هذه القصائد منشوراً في صدر « ديوان الخليل » . واولى القصائد التي نشرها مطران في مجلة « أنيس الجليل » ، القصة المنظومة « شهيد المروعة وشهيدة الغرام » (مجلة أنيس الجليل م ١ ج ٦ ص ١٨٤ — ١٨٩ . وقد نشرها مطران بعد سنوات في المجلة المصرية : م ١ ج ١٩ ص ٨٨٦ — ٨٩٠ بعد ان أجرى فيها شيئاً من التهذيب والتشذيب . وقد اثبت الخليل في الديوان ص ٦٤ — ٧٤ الصيغة المشدّبة من القصيدة ، تلك التي نشرت في المجلة المصرية)

(١) ديوان الخليل ص ١٥٤ — ١٥٨ والشعراء الثلاثة للسندوبي ص ٢٧٩ — ٢٩٣ (٢) مجلة مركيس ،

وتتال بعد ذلك على صفحات مجلة « أنيس الجليس » قصائد له تجدها في السنوات الثلاث الاولى من المجلة (١٨٩٨ — ١٩٠١) وهي :

[« قصة بين القلب والعين » (أنيس الجليس م ١ ج ٧ ص ٢١٥ و ٢١٦ والقسم الاخير منها — وهو النقص والابرار — نشر في عدد تال : ج ٨ ص ٢٣٩ — ٢٤٠ وقد أثبتتها الخليل في الديوان ص ٢٨ — ٣٠ بعد ان أجرى فيها قسطاً كبيراً من التعديل) و « النجمات » (أنيس الجليس : م ١ ج ٨ ص ٢٥٠ — ٢٥١ وتجدها في الديوان منقحة ص ٢٨ — ٣٠) و « الوردتان » (أنيس الجليس : م ١ ج ٨ ص ٢٥١ — ٢٥٣ وأنظرها في الديوان منقحة ص ٣٥ — ٣٧) وفاجعة في هزل (أنيس الجليس : م ١ ج ١٠ ص ٣٢٧ — ٣٢٨ والديوان ص ١٦ — ١٧ وهي في الديوان منقحة) و « الترجسة » (أنيس الجليس : م ٢ ج ٨ ص ٣٠١ — ٣٠٢ والديوان ص ٤٤ منقحة) و « العصفور » (أنيس الجليس م ٢ ج ١٠ ص ٣٨٧ — ٣٨٩ والمجلة المصرية م ٢ ج ٧ ص ٢٩٣ — ٢٩٥ وهي منقحة ومنها اثبت في الديوان ص ٧٩ — ٨٢) و « أشعة رنتجن » (أنيس الجليس م ٢ ج ١١ ص ٤١٢ — ٤١٣ والمجلة المصرية م ٢ ج ١٦ ص ٦٨٢ — ٦٨٣ والديوان ص ١٦٨ — ١٦٩ وهي منقحة في كلتا المصدريين الآخرين) و « يوسف افندي » (أنيس الجليس : م ٣ ج ٢ ص ٦٢ — ٦٤ والديوان ص ٣١ — ٣٣ منقحة) و « ان من البيان لسحرا » (أنيس الجليس : م ٣ ج ٥ ص ١٨٤ — ١٨٧ والمجلة المصرية م ٢ ج ٥ ص ١٨٥ — ١٨٨ والديوان ص ٣٧ — ٤١ منقحة) و « المرأة الناضرة » (أنيس الجليس : م ٣ ج ٧ ص ٢٤٦ — ٢٤٧ والديوان ص ١٣ — ١٤)]

ومن الخطأ في مراجعة هذه القصائد الرجوع الى صيغها النهائية التي أفرغت فيها في « ديوان الخليل »، اذ يجب مراجعتها في صيغها الاولى التي نشرت بمجلة « أنيس الجليس » وذلك لأن الصيغ النهائية قد اخذتها القصائد بعد تشذيب جرى في فترة من الزمن تلت فترة نظمها ونشرها اولاً . وأنت إذ تراجعها في صيغها الاولى تتبين ان شاعرية الخليل كانت في ذلك العهد في طور التفتح . ومما لاشك فيه ان الخليل وجد من طبيعته الشاعرية ومن العوامل التي اكتسفتها — وأهمها حبه — ما ازجى به الى عالم الشعر . ومما لاربية فيه ان حب الخليل جعل نفسيته تفتح وأوتار قلبه تهتز امام مشاهد الحياة ومجاليها . وهذا يظهر من مقارنة شعره الذي نظمته في الفترة التي جاءت قبل عام ١٨٩٧ والتي سبقت تاريخ حبه بالشعر الذي قاله ايام حبه (١٨٩٧ — ١٩٠٣) او في الفترة التي جاءت بعد ذلك . يبان هذا ان حب الرجل جعله متفتح النفس بحس بأدق النبرات ويشعر بأرق الخلجات ، مما جعل له — بحكم طبيعته المعاودة من نفسه — مقدرة على تصوير خلجات النفس ولوامعها وبدراتها، الشيء الذي لم يظهر الخليل من قبل حبه براعة فيه ويظهر من مراجعة شعر مطران في هذه الفترة انه كان متأثراً — الى حد كبير — بالمذهب الرومانسي . على ان تأثره بالرومانسية لم يمنع تأثره بالاخيلة الكلاسيكية والماذج التي تذهب تحاكي الاشياء محاكاة تامة والتصورات النموذجية التي ظهر بها البرناسيون في اواخر القرن التاسع عشر بأوروبا . ففي قصيدته « العصفور » و « أشعة رنتجن » تجد اخيلة رومانسية ، بينما نجد في قصيدته « المرأة الناضرة » اخيلة رنانسية اقرب ما تكون الى اخيلة الشاعر الفرنسي سولي برودوم . ومن ذلك يظهر أن ثقافة مطران الأدبية متعددة المناحي . ذلك لأن شاعريته

كانت تستعين بمحصوله الأدبي لتدور حول الأغراض الشعرية التي تفتتح أمامها نفسه ،
لتنسحب على الموضوعات التي تهز وشماع الصلة بالحياة في نفسه . وذلك ليستزل منها أخيلتها وتصوراتها
وقد عرف مطران في أواخر اشتغاله بالتحليل في « الأهرام » بواهبه الشعرية ، وسرعان
ما احتل مكاناً بجانب شوقي وحافظ في عالم الشعر الحديث

كانت حياة مطران تدور في هذه الفترة بين مهام التحليل في دار « الأهرام » التي كانت
تسترق كل وقته . وقد أدى ذلك الى أنه لم يكن يستطيع أن ينظم الشعر أو يعالج الأدب إلا
مسارقة من اوقات عمله . ويظهر أن مطران اختار هذا بحكم مشاغله الكثيرة فأصبح من مستلزما .
وقد كان ينظم الشعر عادة وهو جالس في زاوية منزلة من مشرب أو ناد — وأحياناً في
مكتبه — دون أن تشغله الجلبة عما هو فيه . وذلك لأنه أصبح في مكتبته بحكم العادة ان يحضر
ذهنه وان يسترسل في موضوع نثره او شعره وان يستغرق فيه طالما لا يتوجه اليه احد بحديث
او كلام يقطع عليه سلسلة افكاره . ولما كان مطران ينظم الشعر بعد ان يكون قد هيا في ذهنه
الغرض باعداد فكره مُقَدِّماً في موضوع القصيدة مجملأ ، وأحياناً في جزئياتها وتفصيلها فقد
كان من اليسير عليه — كما سنحت له فرصة يخلو فيها الى نفسه — أن يعاود عمله وأن يسلسل
نظمه حتى ينتظم معه القصيد . ولم يكن هذا التقطع ليشتت من وحدة موضوع قصيده لأن الموضوع
كان يدور في رأسه من قبل ، وكان ذهنه مهياً له (١)

على أن نظم الخليل لشعره في فترات متقطعة يسترقها من اوقات العمل أو من سهراته ، كان
يجعله في كثير من الاحيان لا ينتهي من قصائده التي يبدأها (٢) ومن هنا كانت جنابة أعمال الرجل
على شاعريته . لذلك لم يبرز مطران في هذه الفترة غير بضع قصائد تجدها في الربع الأول من
ديوانه . إلا أنه انطلق بعد تحرره من قيود العمل في دار « الأهرام » عام ١٨٩٩ في عالم
الشعر ، فنظم في فترة لا تريد عن الفترة الأولى ثلاثة أرباع ديوانه الذي صدر عام ١٩٠٨ . ولأن
كان لهذا دلالة فعلى أن العمل من جهة وشاعريته التي كانت في بدء تفتحها من جهة أخرى ،
كانا يقفان في سبيل الرجل فلم ينظم كثيراً

—٢—

إن الفترة التي تقع بين عام ١٨٩٧ وعام ١٩٠٣ من حياة مطران — والتي يدخل نصفها
الأول في الفترة الأولى من الطور الثاني من حياته — تلك التي عرضنا لها — بينما يدخل

(١) صحيفة الدستور ، عدد ٩ نوفمبر ١٩٣٨ حديث مع مطران

(٢) مجلة سركيس ، م ١ ج ٤ ص ٩٧-١٠٠ قصة تاريخ الجنين الشهيد

النصف الثاني منها في الفترة الثانية منه — تعتبر ردحاً من الزمن عظيم الأثر، فهي تسجل الناحية الشعورية من حياته، وهي تظهر واضحة السمات في « حكاية عاشقين » التي صب فيها مطران تاريخ حبه، والتي أفرد لها مكاناً خاصاً من ديوانه حتى يمكن تفهم حوادثها من الاشارات الشعرية وبسمل استقراء وقائعها غير مبعثرة بين منفردات كثيرة لاصلة لها بها (١)

وتجري هذه القصة (الديوان ص ١٥٩ — ١٩٥) بين مطران وعشيقته مجرى القصص الخيالي، وهي لا يتخللها شعور دان أو زعة دنية، فقد احتفظ مطران فيها بحبه طاعراً فأصبحت بذلك قصة حبه داخلة في نطاق قصص الحب الافلاطوني (٢)

كانت حبيبة مطران فتاة... ذات حسن وجمال (٣). ويظهر من مطالعة شعر الخليل فيها أنها كانت فتاة غنية الاحساس رثية الشعور تفيض بهما على صاحبها وتغمره فاذا بأوتار نفسه تهز واذا بصحنه وجدانه تتكشف لها وشائج الصلة بين حياة الحب التي يحياها وحياة الطبيعة التي تبدو له في مجالها ومشاهدها (٤)

تعرف اليها مطران ربيع عام ١٨٩٧ في احد متنزهاات القاهرة. يقول: « ان أول المعرفة كان اجتماعاً في حديقة فأتت لحظة لسعتهما في وجتها فتألمت واشتكت » (٥) فتقدم منها مطران يسري عنها. ويظهر ان حب مطران لها انبعث شرارته الاولى في نفسه منذ هذه المقابلة، فكانت هي لشاعريته منبع الوحي حينا والاصل الذي يفذي شعوره حينا آخر. فقد كانت حياة مطران من قبل فاحلة لا تدور حول ما يرد على نفسه حياتها مليئة بالشعور والاحساس. فلما رآها وجد فيها الفتاة التي كانت تراود أحلامه. وظل مطران مخلصاً لها وفيّاً لذكراها يقدها في خياله ويحمل صورتها بين جوانحه، يتذكرها فيتحرك في صدره الشوق القديم لها فيجري دمه. ويذكرها فيذكر معها ايام الشباب فتجري بذكرياتها حياته. ولا زال حبه القديم حتى اليوم ملاً عليه رحاب نفسه وقلبه (٦) عرفها مطران فأولاها كل شعوره وأحاطها بكل ضروب العناية ووضع قلبه وحياته بين يديها. غير ان قليلاً من احساسه الذي تقوم بالحيلة كان يحمله يكتم هواه بين الضلوع ولا يظهره حرصاً عليها وعلى سمعتها من الناس. وفي ذلك يقول مطران:

كتمتُ هواكِ دهرًا لا لحوف وما أنا من يروعه الحمام
ولكني حرصت عليكِ منهم ولو أودى بمهجتي الغرام

(١) الديوان ص ١٥٩ — تنبيه الناظم لحكاية عاشقين (٢) عن مطران — وانظر حكاية عاشقين (٣) عن مطران — وانظر قوله فيها من قصيدته « ليلة سعد » الديوان ص ١٦٤ — ١٦٥ (٤) الديوان ص ١٦٧ الشطر الثاني من قصيدته « اعتذار » ص ١٧٠ الايات من ٤ — ٧ (٥) الديوان ص ١٦٠ الشطر الاول من حكاية « عاشقين » (٦) الدستور عدد ٩ نوفمبر ١٩٣٦ حديث مع خليل مطران

هذه النفس الصافية التي غمرها الحبّ فرأت فيه معنى الحياة^(١) ما كان في استطاعتها أن تنسى في حبها ما يمكن أن يجرحه هذا الحب من آلام للحبيبة . لهذا كانت عناية مطران بحبيبتيه وبذله ما في طاقته حتى لا يسبب لها المأ ، فكانت مقابلاته لها مسابقة في جنح الظلام او في الضواحي . وفي غير أوقات اللقاء — التي لم تكن متوافرة للعاشقين — كانت في القلب جمرة يخفيها في الضلوع عن الناس ، ويجدان في هذا كل الشقاء ، ولكن لا يقويان على مغالبتة بالاكثر من اللقاء حتى لا يفتضح حبهما ، وفي هذا تجد الشاعر يقول :

ظلمت عليه أخفيه وأشتى الى أن بات وهو بنا سقام
غير أن حبهما لم يلبث كثيراً حتى عرف بعض اصدقائهما . فعمل بعضهم على الوقعة بين العاشقين ، فوشوا به عندها فوجدت على محبها^(٢) . وكان ان ألم بها داء فذهبت تستشفى في الشام ، وحدث ذلك دون أن يراها الحبيب ، فاذا به وليه يرسل من اعماق قلبه زفرة الية يودعها في قصيدته « تذكّار » . وتنتضي فترة من الزمن يحس فيها الشاعر بتدريج الهوى ، فيصب مشاعره في قصيدة « عتاب » التي كتبها في صيغة مناجاة شاعر لطائره . غير ان مطران وهو في غمرة آلامه يصل اليه نبأ اصابها بداء عضال فينتفض الشاعر فيه ويتألم لها ويرسل أحاسيسه في قصيدته « روعة نبأ » . على ان ما يظهر عليه من الحزن الشديد والالم يدفع بعض اصدقائه الى أن يشيعوا خبر شفائها مبشرين مطران بذلك حتى يتمكنوا من المية فيفرح الشاعر لا بلالها من الداء ويرسل فرحه في قصيدته « تكذيب النبأ » . على انه بعد مدة ينتهي اليه خبر وفاتها فيصدم ويكيها في قصائد متتاليات تستغرق الفصل الثاني من « حكاية عاشقين »

ومراجعة الشعر الذي نظمه الخليل في صاحبته وسجل فيه قصة حبه وعشقه من ناحية دلالة الوجدانية شيء ادخل في بحث تناول فيه شعره الوجداني بدرس . لهذا نتركه لموضعه من دراستنا هذه . على انه بعد ذلك تبقى قصة حب مطران كما صاغها في « حكاية عاشقين » غير مستكملة الخطوط من بحثنا اذا وقفنا عند هذا الحد ولم نزل بها من جهة الى مقوماتها من نفس الخليل مما يساعد على استقرار حياته ، واذا لم نصل بها الى الآثار التي تركها في نفسه من جهة أخرى . والواقع ان حب مطران كان عظيم الأثر في حياته . فهو يقول : « الحب ثلاثة ارباع ديوان شعري »^(٣) ومعنى ذلك ان الحب ثلاثة ارباع حياته . لان ديوانه لم يخرج عن كونه مظهر حياته الشعورية

وأول شيء نلاحظه هو ان شخصية الخليل تبدو من خلال قصة عشقه ، متحوطة الأسباب

(١) الديوان ص ١٦٦ — الايات الاخيرة من قصيدة « آدم وحواء » (٢) الديوان ص ١٧١-١٧٣ قصيدة « تذكّار »

(٣) جريدة الدستور عدد ٩ نوفمبر ١٩٣٨

لا تنساق مع فورة العواطف والمشاعر وإن أرسلتها في قوة . وذلك راجع الى طبيعة المعاودة من نفس الخليل ، التي تقسح لعقله مجالاً للتدخل في احساساته ومشاعره وتصفيتها وضبط النسب بينها وبين العقل . وهذا التحوط يبدو واضحاً في تسجيله قصة حبه في «حكاية عاشقين» في صورة كلها صدق وكلها حق . وقد وفق هو الى ذلك دون ان يهتك سرّاً او يرفع حجاباً . «تعددت في قصة حبه الاسماء التي تشير الى معشوقته وهي واحدة» (١)

على ان طبيعة المعاودة من نفس مطران ، من حيث تجعله يعيد الكرة بعد الكرة على الشيء الواحد فيتزعم منه مجموع اشكاله وينزل به الى مقوماته من الجزئيات والتفاصيل ، تبدو واضحة في شعره — الذي سجل فيه حبه — بما فيها من افراط من نقصٍ للمعاني وتبع للجزئيات ، وهذا يعتبر من جهة مظهر آمن مظاهر تداخل عقل الرجل مع شعوره ، ومن جهة اخرى سبباً من أسباب فتور شعر الوجدان عنده . على انه بعد ذلك يرسل مشاعره في مواقف قوية — كما تبضح في بعض مقاطع من قصائده — فيجني شعره قوياً متمكناً بالشعور الملتهب وبالا حساس الشديدي ، وذلك من حيث لم يتعارض عقله في شبكة انفعالاته . وهذا اوضح ما يكون في المراثاة التي نظمها حين نعت اليه محبوبته (٢) ولئن كان كل هذا يسوق الى نتيجة قالى ان حبّ الخليل عميق الأصل في الشعور رغم مظهره الفاتر

على ان مطران الذي حرّم الموت حبيبة قلبه وصدمه في حبه ، لم تتغير نظرته الى الحياة ، لان ما في الرجل من ضبط النفس والمرونة جعله يتقبل الصدمة في ألم شديد وحزن دفين الا ان الفكر صفّاه من حيث تداخل عقله في انفعالاته ففّعه عن الاسترسال مع آلامه واجزائه . وان كان هذا يدل على شيء فعلي صدق نظرته في طبيعة انفعاله . على ان صاحبته بما كانت قد تركته في نفسه من ذكريات كانت تحضر في ذهنه كل عام فيتحرك في صدره الشجن فينظم فيها مراثاة جديدة ، وهكذا ظل مطران يرثيها كل عام مدة عشرين سنة . وهذا جعله يقفن في الرثاء ويمكن منه حتى اصبح صاحب مقدرة على تصوير فضائل الفقيد وحكى خصائصه وتضمن شخصيته في مراثاته في صورة دقيقة لم يعرف تاريخ الادب العربي من قبل مثيلاً لها ، حتى اصبح عن حق كما اشتهر «شاعر المراثي» (٣)

على ان اثر حبه لم يقف عند هذا الحد ، فقد جعل في مكتبته تصوير ارق خلجات النفس وأدق نبرات وأشف لامعاتها وبدراتها . وذلك من حيث جعله حبه منفتح النفس دقيق الشعور يحس بأدق النبرات ويشعر بأرق الخلجات من حيث دارت حياته فترة حبه في عالم الشعور

(١) المرجع السابق ذكره انظر تنبيه الناظم لحكاية عاشقين — الديوان ص ١٥٩ (٢) الديوان — مثال في مرآة — ص ١٨٢ — ١٨٥ وخاصة النصف الثاني من المقطع الاول (٣) مجلة «عطارد باريس» Mercure de Paris

— ٣ —

في صيف عام ١٨٩٩ خرج مطران من مصر متوجهاً الى سوريا ليستشفى من جهة ويجدد اتصاله ببلدته ويحيي ذكرياته من جهة اخرى^(١) وعاد مطران الى مصر بعد ان مكث هناك نحو أربعة اشهر من الزمان . ويظهر أن مطران غادر مصر مصطافاً ومستشفياً الى سوريا بعد ان انطلق من العمل في تحرير « الاهرام »^(٢)

وقد كانت سفرته هذه حداً فاصلاً بين عهدين من الطور الثاني من حياته: عهد الاشتغال بالصحافة في دار « الاهرام » وعهد الاستقلال في العمل في الصحافة . ومن المهم ان نقول ان هذه السفارة التي قام بها الخليل سجلها في ثلاث قصائد : الاولى في « براح مصر » والثانية في « لقاء الشام » واما الثالثة فهي « قلعة بعلبك وتذكارات الصبي » . وأنت تجد هذه القصائد في الديوان : ص ٧٤ — ٧٩ وقد نشرت كلها في الاصل في السنة الاولى من (المجلة المصرية) . والقصيدة الثالثة منها من اروع شعر مطران ومن أبلغ الشعر العربي الحديث

على أن مطران لم يكد يعود من سفرته من ربوع الشام الى مصر حتى شرع في الاستعداد لاصدار مجلة ادبية نصف شهرية . وفي يونيو عام ١٩٠٠ صدر العدد الأول منها حاملة اسم « المجلة المصرية » . وظلت تصدر عامين من الزمن صدر فيهما نحو خمسين جزءاً . وكانت مجلة تعنى بالشعر والأدب وقنون التاريخ والزراعة . وكان يعاون الخليل في اصدارها أخوه جورج مطران . وكان مختصاً بتحرير المقالات التجارية وترجمة القصص لها . وقد نشط مطران ونشر فيها فصولاً في التاريخ من كتاب سفر « مرآة الأيام » الذي اصدره فيما بعد « عام ١٩٠٦ » كما نشر فيها بحوثاً أدبية وقصائد . وانت تجد في مجلداتها التي صدرت كل ما نشره الخليل الى ذلك الحين : معاداً نشره بعد ان أجرى فيه التهذيب والتشذيب . وفيها كذلك قصائد له لم يسبق نشرها نذكر منها :

[قصيدة « السور الكبير » (المجلة المصرية : م ١ ج ١ ص ١١ — ١٢ وتجدها في الديوان ص ٤١ — ٤٣) و « قلعة بعلبك : تذكارات صبي » (المجلة المصرية : م ١ ج ٢ ص ٤٥ — ٤٨ والديوان ص ٧٦ — ٧٩) و « الحمامتان » (المجلة المصرية : م ١ ج ٣ ص ٨٩ — ٩٠ والديوان ص ٥١ — ٥٣) و « ١٨٠٦ — ١٨٧٠ » (المجلة المصرية : م ١ ج ٤ ص ١٢٩ — ١٣٣ والديوان ص ٩ — ١١) و « بدري وبدري السماء » (المجلة المصرية : م ١ ج ٥ ص ١٦٧ — ١٦٨ والديوان ص ١٤ — ١٥) و « مقتل بزرجمهر » (المجلة المصرية : م ١ ج ٦ ص ٢٠٦ — ٢٠٨ والديوان ص ٩٩ — ١٠٢) و « وفاة » (المجلة المصرية : م ١ ج ١٢ ص ٤٩٩ — ٥٠٣ والديوان ص ٨٤ — ٨٨ منشورة فيها بعد تنقيح كبير) و « الوردة والزنبقة » (المجلة المصرية : م ١ ج ١٧ ص ٧٠٤ — ٧٠٧ والديوان ص ١١٣ — ١١٥) و « وداع وسلام — براح مصر ولقاء الشام »

(١) الديوان — ٧٤ — ٧٩ أنظر تواريخ القصائد وما تحملها من مدلولات هذه المقطوعات

(٢) المبحث الخامس من هذه السلسلة ٦ فقرة ٢ حديث الصحافي العجوز

(المجلة المصرية : م ١ ج ١٨ ص ٧٤٤-٧٤٥ والديوان ص ٧٤-٧٦) و « الاهرام » (المجلة المصرية : م ١ ج ٢١ ص ٨٦٠-٨٦١ والديوان ص ٨٣) و « دعمة » (المجلة المصرية : م ١ ج ٢٢ ص ٨٥٣-٨٥٤ والديوان ص ١٩٣-١٩٤) و « رثاء بشارة تقلا باشا » (المجلة المصرية : م ١ ج ٣ ص ١٠١-١٠٣ والديوان ص ١١٧-١١٩) والايات الاخيرة من المراثية لم تثبت في الديوان . هذا فضلا عن ان الخليل نظم ٦ آيات من الشعر تلاها في صلاة التاسع في الرضوانية على روح الفقيد وتجدها في المجلة المصرية في الجزء المذكور ص ٩٥ ولم يثبتها الشاعر في ديوانه) و « مشاكاة » (المجلة المصرية : م ٢ ج ٤ ص ١٥٩-١٦٠ والديوان ص ١٩-٢٠) و « يوميات أدبية » (المجلة المصرية : م ٢ ج ٤ ص ١٣٧-١٤٤ والديوان ص ٩٧-٩٨) و « حنا الصغير » (المجلة المصرية : م ٢ ج ١٢ ص ٥٢٣ والديوان ص ١٠٧-١٠٨) و « تهنية بزف » (المجلة المصرية : م ٢ ج ١٢ ص ٥١٠ والديوان ص ١٠٨-١٠٩) و « تبرئة » (المجلة المصرية : م ٢ ج ١٣ ص ٥٥٣-٥٥٤ والديوان ص ١٩٧-١٩٨) و « آدم وحواء » (المجلة المصرية : م ٢ ج ١٥ ص ٦٣٥-٦٣٦ والديوان ص ١٦٥-١٦٦) و « الزهرة » (المجلة المصرية : م ٢ ج ١٧ ص ٧٧١-٧٧٣ والديوان ص ١٠٢-١٠٤) و « فجان قهوة » (المجلة المصرية : م ٢ ج ٢٠ ص ٨٤١-٨٤٦ والديوان ص ١٢٣-١٢٨) و « جواب كتاب هزلي » (المجلة المصرية : م ٢ ج ٢١ ص ٨٨٠ والديوان ص ٦٠-٦١) و « الطفلة البورية » (المجلة المصرية : م ٢ ج ٢٢ ص ٩١٩-٩٢١ والديوان ص ١٣٧-١٣٩) و « تهنية زف » (المجلة المصرية : م ٢ ج ٢٣ ص ٩٥٣-٩٦٠ والديوان ص ١٤٣-١٤٤) و « تذكرا » (المجلة المصرية : م ٢ ج ٢٣ ص ٩٦٥-٩٦٧ والديوان ص ١٧١-١٧٣) و « العالم الصغير مرآة العالم الكبير » (المجلة المصرية : م ٢ ج ٢٤ ص ٩٩٨-٩٩٩ والديوان ص ١٢٩-١٣٠)

وهذه القصائد نظمت خلال فترة تمتد بين نظمها ونشرها وخمسة عشر عاماً . اما القصائد التي نشرها مطران في « المجلة المصرية » وسبق نشرها من قبل فقد سبقنا الاشارة اليها عندما تكلمنا عن القصائد التي نشرها مطران في مجلة « أنيس الجليس »

وقد نشر مطران ما نشره في « المجلة المصرية » مدفوعاً بداعي ان يكون له شيء من النظم بجانب ما كان ينشره لاسماعيل صبري واحمد شوقي وحافظ ابراهيم وسامي البارودي والبستاني من اعلام الشعر العربي الحديث . وكان ينشر من شعره مقطوعات صغيرة . وبدأ بما كان قد سبق له نشره من قبل بعد ان أجرى يد التنقيح فيه حتى يستوفي كماله لفظاً ومعنى . ومن هنا كان من الصعوبة في مكان معرفة الصيغ الأولى لنظومات الخليل ، لأن يد التنقيح كانت تتناول شعره القديم قبل نشره . على أننا في أثناء تقيميننا في بطون متون مجلات ذلك العهد انتهينا الى أشياء ذات قيمة من حيث وقفنا على بعض قصائد مطران منشورة في حين نظمها وذلك قبل أن يتعهدا بالتنقيح ويصبها في قالب الذي افرغت فيه عند نشرها في المجلة المصرية . وسيجيء بيان ذلك مفصلاً في موضعه من دراستنا ويستوقف النظر من كتابات مطران لذلك العهد في « المجلة المصرية » مسرحيته الهزلية « العلاج بالشنق » وهي مسرحية في فصل واحد (المجلة المصرية م ١ ج ٢٢ ص ٨٣٥-٨٥٠) وبضع مقالات أدبية تمتاز بمطالعاتها التقريرية . نذكر منها كلمته عن مارتيني الشاعر الإيطالي مع ترجمة نظرية لقصيدته في المساء والمدينة (المجلة المصرية : م ٢ ج ٦ ص ٢٥٠-٢٥٢) وبحثه عن فيكتور

هوغو (المجلة المصرية : م ٢ ج ١٧) ودراسته لأدوار الشعر الصيني (المجلة المصرية : م ٢ ج ٢٤) ولكنه عن الموسيقى العربية (المجلة المصرية : م ١ ج ٤) . وفي هذه الكلمة يأخذ مطران على الموسيقى العربية تشابهها . كما أنك تجد له في نفس هذه المجلة بحثاً في مفهوم الأخلاق ومعنى السعادة (المجلة المصرية : م ١ ج ٢١ ص ٨٥٥ — ٨٥٨) وكلمة عن المرأة الجديدة (المجلة المصرية : م ١ ج ١٨) وذلك بعيد صدور كتاب قاسم بك أمين . وخير كتابات مطران الأدبية بحثه في « الكتاب امس والكتاب اليوم » ودراسته عن « الشعر العربي » (المجلة المصرية : م ١ ج ٢) وهو في بحثه الأخير ولاسيما في ص ٤٢ — ٤٤ منه قد نظر الى مطالعات المستشرق الألماني (تيودور نولدكه) عن طبيعة الشعر العربي القديم ، التي كان قد ضمها بحثاً له عن العلاقات نشره في « دائرة المعارف البريطانية »

وكتابات مطران في تلك الفترة تدل على أنه صاحب محصول أدبي كبير وثقافة أدبية شاملة . فقد كان الرجل يستفيد من كل صفحة يطالعها وسطر يقرؤه

على أن « المجلة المصرية » لم تقو على الصدور فاحتجت وأصدر مطران بدلاً عنها صحيفة « الجوائب المصرية » اليومية وذلك عام ١٩٠٢ . وحياة هذه الصحيفة تنقسم الى دورين . الأول حين كان يصدرها مطران ويديرها بنفسه . والثاني حين عهد بها الى عطا بك حسني فالتزم إصدارها . على أنه في الدور الأول ساعد خليل مطران في إصدار الجوائب شقيقه جورج مطران ، وكان يحرر معه فيها الشيخ يوسف الحازن والشيخ علي الغاياني . غير أن طبيعة مطران التي لم تعتد التصرف مقيدة بنظام ، جعلت شؤون الصحيفة تختل في يده فلم يقو على إصدارها بنفسه وإدارتها ، فعهد بإدارتها الى نفر من اصدقائه وتنقلت ادارة الصحيفة بين أيديهم حتى انتهت الى يد عطا بك حسني الذي أخذ على نفسه مسألة إصدارها وإدارتها ^(١) وما وجد مطران في شخص صديقه عطا بك حسني الرجل الذي يمكن أن يدير صحيفته حتى انطلق حراً من قيود العمل في الصحافة واشتغل بأعمال البورصة وشؤون التجارة والاقتصاد . على أن اشتغاله بالشؤون التجارية لم يمنعه من أن يساهم بين الحين والحين في امداد الصحف العربية بمصر بكتابات ، وكان في طبيعة هذه الصحف — ما عدا الجوائب — صحيفتنا « الوطن » و « اللواء » ^(٢)

من الاهمية بمكان ان ننظر في حياة مطران الاجتماعية وصلاته بالناس لأن ناحية كبيرة

(١) فيلبي طرازي : تاريخ الصحافة العربية ج ٤ ، مادة ٢٠٠ من قوائم الصحافة المصرية — الهامش وكذا لنا المبحث الخامس فقرة ٢
(٢) الصحافي المعجوز في المبحث الخامس لنا فقرة ٢ . وعبد الرحمن الرامي في مصطلح كامل ص ٤٤

من حياة مطران دارت متلونة بصلاته الاجتماعية بالناس في المحيط الذي كان يكتشفه. فقد كان الرجل « صاحب شعور اجتماعي يتلون بصلاته بالناس »^(١) وكان يسترسل مع هذا الشعور فيتنظم في اغراض اجتماعية الكثير من الشعر. وهذا ما يظهر من مطالعة ديوانه الذي يتألف جانب كبير منه من قصائد دارت حول اغراض اجتماعية واضحة تلونت بها مشاعره واحساساته فشارك الجماعة شعورها واندمج في جوها وحمل نظيمه آلامها أو افراحها. ومن هنا جاء جانب كبير من شعر مطران من الأدب الاجتماعي وهذا جعله موضع اهتمام عند البعض في أن أدبه: أدب الحفلات والحياة الاجتماعية ومناسباتها^(٢) على أننا لا نرى في ذلك ما يدعو الى اتهام الرجل في شاعريته أو في ذوقه الشعري فالرجل — كما قلنا — لا يقول الشعر الا عن وجدان صادق، ومرائيه ومدائح لا تعتمد على جودة الصياغة وقوة الصناعة التي يرتفع بهما البعض الى محاكاة العاطفة، وإنما تقوم عنده على فيض الشعور، وشعور الرجل — كما قلنا — يتلون بصلاته الاجتماعية بالناس. ومن يطالع ديوان الخليل يرى مصداق كلامنا في الشواهد الكثيرة التي يحملها ديوانه. فقد خلق الرجل وفيه اللطف سجيّة والميل لمعاشرة الناس. وإذا بهذا اللطف يتداخل مع ميّله للمؤانسة وجهه للمعاشرة فيكون محوراً تدور حوله بعض اغراض شاعريته. وليس من شأنا هنا ونحن نطوي جانباً من سيرة الرجل في فترة من الزمن ان نتوسع وندل على الشواهد التي اتخذناها واقعات انتهينا منها الى هذا النظر. فان لهذا البحث الاستقرار في مكانه من بحثنا حين نعرض لدراسة شخصية الخليل في البحث التاسع من دراستنا

على ان حياة مطران التي ذهبت تدور حول صلاته الاجتماعية مع الناس، تأثرت بما يحمله المجتمع المصري في ذلك الحين من فكرة التشيع للجامعة العثمانية. ولكن هذا التشيع — الذي اشرنا اليه من قبل — كان مقروناً عند مطران بالرغبة في صلاح الدولة واصلاح امور رعاياها ورجوع الطائفة الى قلوب الناس. ولا شك ان رغبة مطران الاصلاحية تولدت في نفسه من اصطدامه بالمفاسد التي كانت تنخر في جسم الدولة العلية. ولا شك ان مطران الذي كان هدف تضيق قلم المراقبة التركية في بيروت عقب نخرجه من الكلية البطريركية — مما ألجأه بداعة ذي بدء الى مغادرة بلاده الى الخارج الى حيث لا يصل اليه تضيق السلطات التركية — لمس جانباً من جوانب حرق الحريات في نطاق الدولة العثمانية. ولا شك ان ما لاقاه في باريس من دسائس وصلت وراءه من تركيا فجعلته ينزح الى مصر، وضعه في مركز يحس فيه بمقدار تسرب الفساد

(١) الرسالة — السنة السابعة. عدد ٣١٠ ص ١١٧٦ — ١١٧٧ وعدد ٣١١ ص ١٢٢٤ — ١٢٢٦

(٢) الرسالة، م ٧ ج ٣٠٢ ص ٧٩٣ وروكس زايد العززي في المجلة الجديدة م ٦ ج ٥ ص ٣٥ — ٥٣

الى جسم الدولة، ذلك الفساد الذي جعلها تهتز فرقاً من اي فكرة اصلاحية . وقد ثار مطران على هذه الحالة ، غير ان شيئاً من الحيلة في نفسه جعله لا يسترسل ومشاعره فيرسلها بقوة وعنف واضحة في ثورتها على فساد الدولة . وانما كان يداور ويروح بمكنونات صدره وخليجات نفسه من خلف حجاب من الرمز والايماء . فانت تلمس في قصيدته « شبح اثينا » (الديوان ص ٢٦٤ — ٢٦٦) كيف يحنج مطران الى التاريخ ويتخذ من بعض وقائع مادة يحتجب وراءها ويرسل مكنونات نفسه . وانت تلمس في كل بيت من ابيات هذه القصيدة روح مطران المثالة لذل قومه الثائرة على جمودهم الساخطة على استكانتهم . فيقول :

يا عبرة الدهر جاوزت المدى فينا حتى ليأتف أن تنعاه ماضينا

وتراه يندفع بعد ذلك مع شعوره حتى يرسل في نفسك شعوره فيعديك وينقل اليك ثورة نفسه . وتراه يطلب المزيد من الكوارث وأحداث الزمان لعلها تكون منبهة لشعبه الخامل :

فزد مصائبنا حتى تنبها تكن حياة لنا من حيث تردنا

ويمكنك ان تلمس في هذا التضمن لمشاعره أغراضه الاصلاحية وثوراته النفسية . وذلك من وراء الحجب التي أرسل مشاعره واحساساته من خلفها فلقها في مشاهد من التاريخ . تجدها في قصيدته عن مقتل « بزرجمهر » (الديوان ٩٩ — ١٠٢) وهو فيها يحمل حملات عنيفة على عبد الحميد طاغية تركيا . وهكذا يمكن الانتهاء الى دراسة مشاعر الرجل الوطنية في هذا الطور دراسة منتظمة دقيقة (١)

على أننا يجب ألا ننسى مشاعر مطران ازاء القضية الوطنية المصرية التي تجدها مضمّنة في قصيدة له عن « ذكرى حافظ ابراهيم » (القاها عام ١٩٣٣ بمناسبة مرور عام على وفاة حافظ ابراهيم) حين عرض لوصف النهضة القومية المصرية التي كونت حافظاً وجعلته الشاعر المطبوع المترجم عن روح مصر . ومطران يرى ان النهضة الحديثة من غرس مصطفى كامل وأنه تعهدا بجهاذه الى ان مات وانها ابتعت في بستان جهاده (٢) . وهذا ما يبدو لك من مراثيه لمصطفى كامل . على انه يمكن ان يقال بعد ذلك ان شعور مطران ساير الشعور المصري ، من حيث اندمج في المحيط المصري مع الزمن وحمل الكثير من خصائصه وبدرت روحه . وهذا هو تفسير شعوره الوطني . ويمكن أن يزداد على ذلك فيقال ان اشتراك مصر وسوريا في ملابسات وأوضاع سياسية واجتماعية واحدة وجهاد كل منهما في سبيل الحرية ، كانا يجعلان مطران حين يتوجه لمصر ، يتوجه بمشاعره في الواقع الى مسقط رأسه ، ومن هنا كان يلبس مشاعره نحو مصر صدق البوس

(١) روكس زايد العزبي في المجلة الجديدة : ج ٦ ص ٥ ص ٣٨ — ٤٠ في «مطران والوطنية»

(٢) عبد الرحمن الرافعي في مصطفى كامل ص ٣٩٠ — ٣٩٣

مقدمة

في عام ١٨٩٨ شرع مطران — اعتماداً على قصة رويت له وقائعها — ينظم قصيدة في الاغراض القصصية لم ينته منها الا بعد سنوات . هذه القصيدة هي قصة « الجنين الشهيد » التي نشرت عام ١٩٠٥ في (مجلة الهلال)^(١) ، وهي التي خلقت لمطران شهرته الأدبية بين شعراء عصره . يقول سليم سركيس في تاريخ نظمها استناداً الى حديث له مع مطران :

« نظمها مطران وهو يتمشى في الجزيرة ومنها الى الهرم وفي يده ورقة يدون فيها خواطره حتى اذا جاء الهرم كان قد كتبها شعراً على ما ظهرت فيه من الوزن والقافية ولكن بلا تشطير وفيها محلات ناقصة ومحلات للتنقيح فاستراح قليلاً في ميناهاوس . وهنا خطر له ان القافية لا تسع المعاني ولا تؤدي الفكرة التي يريدونها واستصعب ان ينظمها من جديد فعاد من الهرم وهو بخمسها توسيعاً لجلال الفكر فامت ليلة حتى فرغ منها . ولكن كانت رمية اولى وأراد الاسراع في انجازها في الاسابيع والأيام وأوقات فراغه كثيرة فانتهى منها مستكملة في أسبوع وأرسلها الى صديقه الشيخ نجيب الحداد وسأله مراجعتها وتنقيح الضعيف فيها . واذا رأى نشرها في مجلة « أنيس الجليس » فلما قرأوها في الاسكندرية هالهم أمرها واستعظموا التصريح في حقائنها وتراءت لهم فيها كلمات حسبوها غير مناسبة لمجلة نسائية فجاءه كتاب من نجيب الحداد يقول له فيه :

[مع أني رافقتك في تحرير الاهرام زمناً طويلاً دهشت لما قرأت قصيدتك . أولاً لانني اكتشفت أنك شاعر . وثانياً لان هذا المذهب في اعتقادي هو مذهب الشاعر في المستقبل . وقد استصوبت المدبرة يعني صاحبة مجلة أنيس الجليس — ان لا تنشرها لان في بعض ألفاظها ما يظن فيه تجاوز الاصطلاحات المعروفة فأرجو ان تنشرها في مجلة او جريدة أخرى منتصرة جداً لتطلع فجراً جديداً على الشعر العربي] واجتمع مطران في مشرب بجماعة من الاصدقاء فقرأها عليهم فألح قوم بنشرها فقال : ما هذا أوأناها . واستأذنه آخر ان يقرأها على حدة واذ ذاك نسخها وبعد ايام تناقلت الالسن بعض أبياتها . وألح عليه الادباء ان يذيعها فلما رأى منهم هذه العناية قصد ان يحياها كاملة فطواها على ان يزيدا تحسيناً ، ولكن عرضت له شواغل منعه عن الشعر طويلاً . ولبت مطوية نحو سنتين من زمان حتى أنشأ — المجلة المصرية — وأراد نشر شيء من طريقته في النظم بجانب ما نشره اصدقاؤه فيها . فأخذ ينشر مقطوعات صغيرة ، وبدأ بتنقيح قصيدته حتى استوفى كلها معنى ولفظاً . وجاء صيف عام ١٩٠٢ فسافر الى الاسكندرية وأقعدده المرض فلما انتقل من بيته فقد القصيدة مع قصيدة أخرى اكبر منها اسمها « تركي مهيد » وهي قصيدة رجل بدوي لولا انه من رجالات العرب لجاز ان يكون نابليون او تيمورلنك . كتب منها سبعمائة بيت وكانت همزية مسبعة فراجع ذاكرته استبقاء للقصيدتين فلم يزل من الثانية الا بيتين . وأما الجنين الشهيد فحضره منها أبيات كثيرة . وحدث أن تعطلت المجلة وشغلته الجوائب اليومية وقل نظمها حتى ندر وبينها هو يفتش في أوراقه عند نقل الجوائب عثر على نسخة من القصيدة غير منقحة من الاصل فلما أراد اصدقاؤه ان ينشرها قدمها على علائها كما يرى من كتابة أبياتها . « (٢) »

(١) الهلال . السنة ١٣ ج ٨ (مايو ١٩٠٥) ص ٤٦٨ — ٤٨١

(٢) مجلة سركيس : م ١ ج ٤ ص ٩٧ — ١٠٠

وما انتشرت القصيدة حتى ثارت من حولها الاقلام وكتب عنها صاحب مجلة سرركيس :
 (انما الياذة الشعر الحاضر ومعلقة النهضة الشعرية المصرية) (١) . وارتأى اعلام الأدب في
 عصره « انما فتح جديد في عالم الشعر العربي » . وكانت هذه القصيدة سبباً في اشتها راسم الخليل . في ذلك
 الوقت كان الخليل في غمرة من مشاغله لا يجد من وقته فسحة للنظم ، فندر شعره ، وما كان
 ينظمه من الشعر ، كان يكتبه مسارقة من اوقات عمله يخلو الى نفسه قليلاً ويقيد بعض الايات
 مسارقة من العمل ثم يعود الى اشغاله وهكذا حتى ينظم القصيدة في أيام . ولم يكن مطران يني
 بنشر شيء من شعره في المجالات لذلك العهد . فاجتمع عنده من هذا القليل الذي نظمته طائفة
 عمدت مجلة « سرركيس » الى نشرها عند بدء صدورها . وأنت تجد في مجلداتها الشيء الكثير
 من شعر مطران نذكر منها

[« فالزوج البرتقال » (مجلة سرركيس : م ١ ج ٢ ص ٣٧ والديوان ٢٣١) و « شقف وظماً »
 (مجلة سرركيس : م ١ ج ٢ ص ٣٧ والديوان ١٦٣) و « جمال النفس » (مجلة سرركيس : م ١ ج ١
 ص ٢٠٢ والديوان ص ٣٧) و « نفحة الزهر » (مجلة سرركيس : م ١ ج ٥ ص ٢٥١ - ٢٥٤ والديوان
 ١٤٥ - ١٤٨ و « نصيحة » (مجلة سرركيس : م ١ ج ١٥ ص ٤٨٠ والديوان ص ٣٦) والعقاب (مجلة
 سرركيس : م ١ ج ١٦ ص ٤٨٩ - ٤٩٣ والديوان ٩٢ - ٩٧) و « الزنبقة » (مجلة سرركيس : م ١
 ج ٥١٧ ص ٥١٨ والديوان ١٣ - ٣١) و « رسالة مفاكهة » (مجلة سرركيس : م ١ ج ٢ ص ٦٣٦ -
 ٦٣٨ والديوان ١٤٤ - ١٤٦) و « عرس قانا » (مجلة سرركيس : م ٢ ج ١٢ ص ٣٦٩ - ٣٧١
 والديوان ٢٦٩ - ٢٧٠) و « عتاب » (مجلة سرركيس : م ٢ ج ٢٢ ص ٧٠٠ - ٧٠٣ والديوان ١٧٥ -
 ١٧٩) وهذه القصيدة القيت في دار التمثيل العربي مساء ١٨ مارس ١٩٠٦]

وقد نشرت جميع هذه القصائد في الديوان . على اننا نجد مطران بعد ذلك يضرب عن نشر
 شيء من شعره مدة من الزمن ويستجمع نشاطه ويخرج للناس سفر (مرآة الايام) عام ١٩٠٦
 في مجلدين كبيرين عن التاريخ العام . وقد كان مطران قد نشر بعض فصوله مبعة من قبل في
 « المجلة المصرية » ايام كانت تصدر

وفي عام ١٩٠٨ جمع مطران كل ما نظمته من الشعر الى ذلك الحين وقدمه للناس في مجموعة
 تحمل اسم « ديوان الخليل » . ويستوقف النظر من الديوان ترتيب قصائده الزمني ، غير ان
 التواريخ التي حملها الخليل أواخر قصائده على انها تفيد زمن النظم ليست دقيقة في عمومها ،
 فينما تجد انه نشر قصيدته القصصية « شهيد المروءة وشهيدة الغرام » في مجلة « انيس الجليس »
 عام ١٨٩٨ (م ١ ج ٦ - ٣٠ يونيو) تجده يعطي القصيدة تاريخاً متأخراً يجعلها من آثار شهر
 يوليو سنة ١٨٩٩ (الديوان ص ٧٤) . وهذه مثال واحد من أمثلة كثيرة يمكن ان نسوقها

للدلالة على أن الترتيب الزمني لشعر الخليل في الديوان تقريبي . لهذا يستحسن أن يرجع في ترتيب شعره الى جانب النقد الخارجي الذي يتناول سند القصيدة الزمني — أي تاريخها الخاص — الى النقد الداخلي الذي يتناول القصيدة من جهة المادة والأسلوب والذي يضعها في مكانها بين آثار الخليل

على أنه يمكن ان يقال بصدد صدور ديوان الخليل في ذلك الحين أنه أحدث أثراً لم يحدثه صدور ديوان من قبل . وما كان مذهب الخليل ليزيع فيتأثره أدباء الشباب لو لم يجمع الخليل شعره في مجموعة ، لأنها وهي في ديوان أدل على اغراضه ومناحي مذهبه منها وهي متفرقة في بطون المجلات والصحف . وقد لاقى الديوان حظاً من الذبوع . وقد كتب في حينه انطون الجميل فصلاً طويلاً عنه في الهلال (م ١٦ ج ٩ ص ٥٣١ — ٥٣٩) كما نشر احمد زكي ابوشادي فصلاً آخر تجده منشوراً في كتابه (اصداء الحياة ص ٦ — ٢٥)

وقد عمد مطران الى الهدوء بعد نشر ديوانه ، فلم ينظم الا قليلاً . على ان شعره الذي نظمه بعد ان اصدر ديوانه تجد نماذج منه في « مجلة الزهور » التي اصدرها انطون بك الجميل عام ١٩١١ . واعم النماذج التي نشرها فيها قصيدتان : الاولى « الزهرات الثلاث » (الزهور م ١ ج ٢ ص ٥٦ — ٥٨) والشعراء الثلاثة للسندوبي (ص ٣٤٧ — ٣٤٨) والثانية « اقرار وعتاب » (الزهور م ٢ ج ٨ ص ٤٣٥ — ٤٣٩) وهذه القصيدة قلها في تكريم قريبته نجلا صباغ . كما تجد له قصيدة في « وداع محمد عبد الهادي بك الجندي » (الشعراء الثلاثة ص ٢٨٤ — ٢٨٦) القاها في حفل وداع له في المحلة الكبرى عام ١٩٠٩ . وله قصيدة رثاء في الشيخ علي يوسف (الشعراء الثلاثة ص ٢٧٤ — ٢٧٧) القاها في حفل الاربعين ٥ ديسمبر ١٩١٣ . كما له قصائد متفرقات تجدها في كتاب الشعراء الثلاثة اهمها مراثيه لجورجي زيدان (الشعراء الثلاثة ص ٣٠٢ — ٣٠٣) وفي « سبيل الهلال الاحمر » (الشعراء الثلاثة ص ٣٠٨ — ٣١١) « وداع ابعثات الهلال الاحمر » (الشعراء الثلاثة ص ٣١٤) وهاتان القصيدتان نظمهما في ابان الحرب الطرابلسية بين تركيا وايطاليا . كما أنك تجد له قصيدة رقيقة عنوانها « الأسد الباكي » (الشعراء الثلاثة ص ٣١٥ — ٣١٦) وقد نظمها وهو في مصر الجديدة (محمد تيمور في حياتنا التمثيلية ص ١٠٦) وباشتغال مطران بالشعر هذا العهد الطويل سلك فيه مسلكاً جديداً وسلوكاً لم يستمرئ أولاً ذوق الشعراء فقد اعترف به مع الزمن كما يقول محمد تيمور — فأصبح من فحول شعراء المعاني الذين يرتفعون بوحيمهم الى سماء الخيال ^(١) . وقد عرف ذلك الزمن هذه الحقيقة فظهر في كتابات أدبائه وأعلامه تقدير الرجل ومزاياه .

(١) محمد تيمور — حياتنا التمثيلية : فصل في حياة خليل مطران ص ١٠٥

مصيد الاسماك

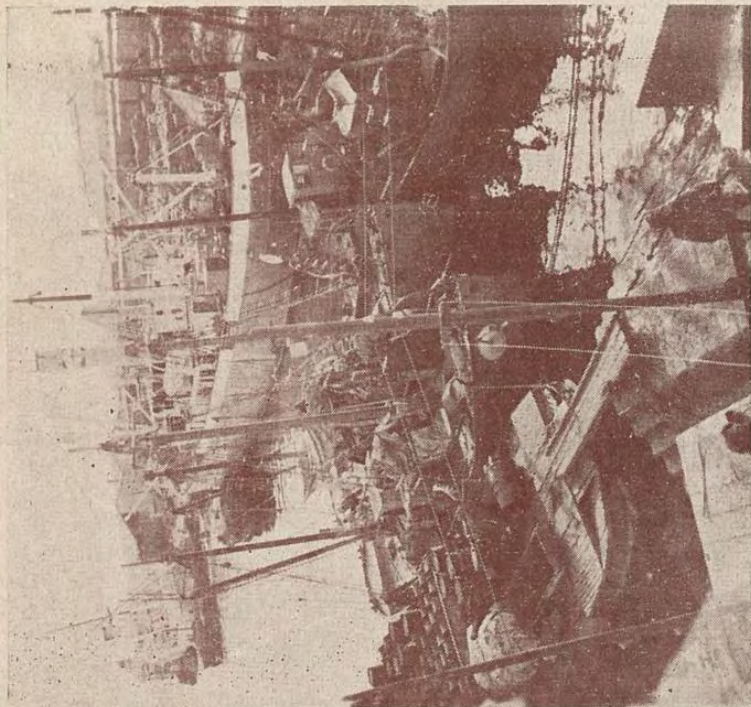
تمت ايام مع رجال شركة مصر

كيف يصيد السمك

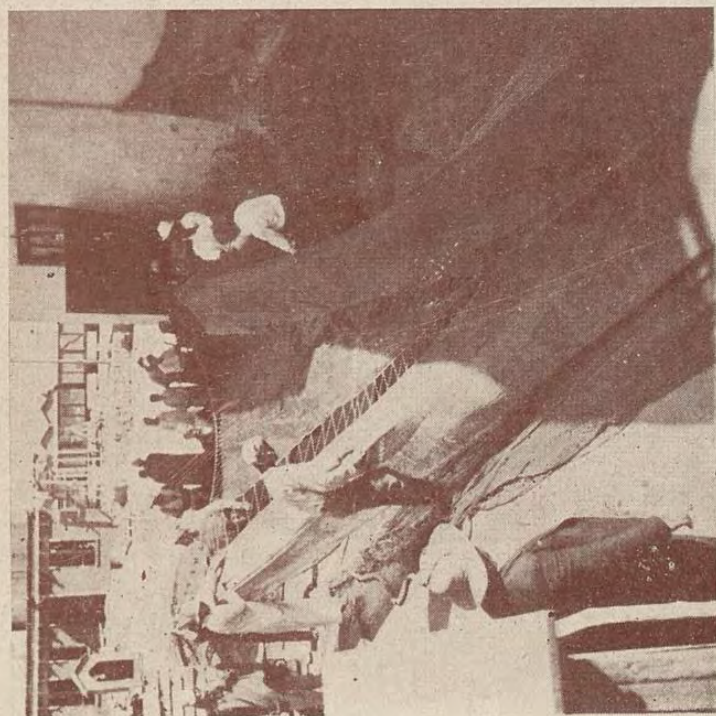
على بعد اثنتي عشرة ساعة من ميناء السويس، وفي وسط امواج البحر الاحمر الصاخبة وقف القارب (التمساح) وهو احد قوارب شركة مصر لمصايد الاسماك ، يعد شباكه ليلقيها في الماء ليقدّم لسكان القطر المصري أكلة من السمك . وكان رجال القارب العشرة منهمكين في ترتيب الشباك (الغزل) على نظام خاص يضمن عدم ارتباكها اذا اصطدمت بالامواج و (الغزل) في لغة صيادي السمك كيس طوله ثلاثون متراً مفتوح من الجانبين . وضيق الفتحة من جهة فلا يزيد قطرها على متر واحد بينما الفتحة الاخرى واسعة فيصل قطرها الى ثلاثة امتار . والفتحة الاخيرة تشد الى القارب بجبلين طول الواحد منها ٥٥٠ متراً منها ٢٥٠ متراً من الالياف النباتية و ٣٠٠ متر من حبال حديدية . فاذا اراد الصيادون ان يلقوا شباكهم سدوا الطرف الضيق بربطه بالحبال حتى لا ينفذ منه السمك الى البحر بعد دخوله الكيس والفتحة الواسعة يحيط بها الحبال القوية التي تتحمل مقاومة الاجسام الصلبة مما قد يصادفها في البحر كقطع الحديد (الهلب) التي تلحقها السفن الماخزة . وبين حبال النسيج النباتي وحبال النسيج المعدني توضع لوحة من الخشب طولها متر وعرضها متران وأحد طرفيها محدب ومكسو بالحديد حتى تحتفظ اللوحة بوضعها الطولي في الماء . فان الحديد اكدف من الخشب ولذلك يرسو الجزء الثقيل في القاع بينما يرتفع الجزء الآخر والغرض من جعلها محدبة ان لا تفرز في القاع وتعطل سير « الغزل » والقارب . ويوضع في كل عملية صيد لوحتان متماثلتان من الخشب الغرض منهما فتح الغزل والهبوط به بعامل الثقل الى قاع البحر لان عملية الصيد التي تتبعها شركة مصايد الاسماك هي « كنس » قاع البحر . ويشد الغزل الى القارب بجبلين يتصل كل منهما باحد جانبي القارب حيث ثبتت روافع عملها جذب « الغزل » بما يضمه من صيد

تسع اميال لكل مرفق

تبدأ عملية الصيد من وقت لقاء الشباك في الماء وتركيزها في قاع البحر وتستمر مدة ساعتين أو



أسطول الصيد التابع لشركة مصر لمصايد الاسماك
يستعد لرحلته الجديدة



الصيدون يعدون شبائهم على رصيف الشركة
مهيّأ لرحلة طويلة



احد مراكب الصيد تنزل من على « القزاقة » بعد أن تم
اصلاحها والكشف على جسمها

ثلاث ساعات يسير القارب في اثناؤها وهو «يكنس» البحر من كل ما يصادفه في طريقه. فاذا دخلت الاسماك في الفتحة الواسعة عجزت عن الخروج لأن سرعة سير «الغزل» اكثرت من سرعتها وهي بذلك كلما طال عليها الوقت كلما توغلت داخل الكيس الى ان تستقر في طرفه الاخير مربوط فلا تقذف منه ويقطع «الغزل» في الجرفه الواحدة تسعة اميال ثم يجذب بعدها الى القارب بواسطة الروافع التي تعلقه على صارم مرتفع فيسهل على الصيادين في هذه الحالة ان يحصلوا على صيدهم اذ يفكون الفتحة الضيقة فيفرغ «الغزل» محتوياته على سطح القارب وعندئذ يشرع الصيادون في فرز انواع السمك بعضها من بعض ثم يوضع في صناديق خشبية ويغطى بالثلج الى ان يعود القارب الى مقره فيسلم صيده الى مكتب الشركة وهو يتولى تصديره الى اسواقه في القاهرة وغيرها من المدن

وتستمر رحلة الصيد ثلاثة ايام يلقي فيها الصيادون تسع «جرفات» بمعدل ثلاث كل يوم هذا اذا لم تعترض سبيلهم احدى العقبات فكثيراً ما تتعلق الشباك باحدى المراسي (هلب) التي خلفتها السفن من قبل وبعض هذه المراسي قديم العهد يرجع الى مائة سنة ولذلك فانها تصبح محكة الالتصاق بالارض اذ تتجمع عليه القواقع والبقايا الحيوانية والنباتية فيحتاج انزعائها من مكانها الى مشقة ووقت اذ لا سبيل الى تخليص الشباك منها الا بنزعها من مكانها

وقد شاهدت على احد القوارب عدداً كبيراً منها ويقول احد البحارة انهم اخرجوا من البحر اكثر من مائتي مرساة وكان اول عهدهم بها في سنة ١٩١٩ عند ما كانت سفن صيدهم شرعية وجذب الحبال بالايدي لا بالروافع فاستغرق اقتلاعها نصف يوم واقتضى عمل ٢٥ رجلاً

طرق الصيد

وصيد السمك كما يقول علي افندي وكيل شركة مصر لمصايد الاسماك ثلاثة انواع تبعاً لنوع السمك وطبيعة البحر. فهناك اسماك تعيش طافية على سطح الماء وهذه يحتاج الى ما يعرف بالصيد «بغزل البوص» وفيه يكون الغزل دائماً قرب سطح الماء فيجمع الاسماك. وهناك الاسماك الكبيرة وتعيش في الجهات الصخرية ويصيدونها بواسطة حبال طويلة تعلق بها الصنابير. وهناك اسماك تعيش في الجهات الرملية او الطينية وهذه يمكن الحصول عليها بالطريقة التي تتبعها شركة مصر لمصايد الاسماك ويختلف مقدار الصيد باختلاف المواسم وتبعاً لعدد مراكب الصيد والفترة التي يستمر فيها البحر «ليستريح» كما يقول الصيادون او لينكأثر سمكه ويتوالد بلغة العلم. ولكنه يقل بوجه عام في الصيف عنه في الشتاء وتختلف مقادير الصيد بين طنين وخمسة اطنان في الرحلة الواحدة واكثر محصول البحر الاحمر من سمك الحارث المعروف عند العامة «بالفاتورة» وهو اكثر ربحاً من الناحية التجارية لاسيما عند بائعي السمك «المقلي» لأن بقاياها قليلة فلا ينحسر التاجر كثيراً في توزيعه

الثروة القومية يجب ان نصلها

في خليج السويس ٣٠ مركباً تقريباً منها ثمانية مراكب تملكها شركة مصر وأكثر المراكب الباقية يملكها ايطاليون درسوا طبيعة البحر وعرفوا جميع خباياه . ويقول بعض الصيادين ان الخليج لا يتحمل أكثر من ١٢ مركباً . ولهذا أصبح الصيد فيه عديم الربح في المدة الأخيرة فنفقة الرحلة الواحدة تبلغ خمسة جنيهات ونصف ثمن زيوت لتسيير الآلات علاوة على أجور العمال الذين هبط مستوى معيشتهم في المدة الأخيرة هبوطاً كبيراً لأن حكومتنا لتحديد عدد رخص الصيد فلا تتاح الفرصة لشكائر السمك ولا لربح الصياد

أضف الى ذلك تسرب الثروة القومية الى البلاد الاجنبية التي لا تسمح لصيادينا بالذهاب الى مناطق صيدهم . ولهذا السبب ستقل شركة مصر أعمالها هذا الصيف الى منطقة بور سعيد حتى يتيسر لها وجود الاسماك بكثرة في الشتاء القادم في خليج السويس . ويجدر بالحكومة ان تضع لهذه الصناعة سياسة ثابتة تسمح لها بالنمو والانتعاش لا سيما أنها تتقاضى رسوماً كبيرة عن قوارب الصيد تبلغ ٧٥ جنيهاً في العام الواحد . ويتفاوت ربح البحار في اليوم الواحد بين ١٠ قروش وعشرين قرشاً تبعاً لمقدار السمك الذي يصيده فان الشركة تسير على سياسة دفع أجور العمال وفقاً للمقادير التي يصيدونها . وتحتم عليهم ان يؤمنوا على أنفسهم ضد الاصابات او فقد الحياة . وتدفع الشركة هذه الاموال ثم تخصمها من أرباحهم كل شهر وبذلك توفر لهم الأمن على عائلاتهم وتقيمهم شر الحاجة في أثناء المرض

مصانع فرعية

ولما كان الثلج من العوامل المهمة في صناعة صيد السمك سواء عند صيده او عند تصديره الى مختلف جهات القطر فقد انشأت الشركة مصنعاً لصنعه ينتج ثمانية اطنان في اليوم يستهلك معظمه في حفظ السمك ويبيع بعضه لاصحاب المراكب التي تتعامل مع الشركة . ولشركة عدة « ورش » فرعية تتولى صنع الآلات التي تستهلك في قواربها سواء كانت من المعادن او الاخشاب كما أنها خصصت بقعة لتنظيف القوارب يسميها البحارة « الفزاقة » وفيها تسحب القوارب التي ثقلها ٧٠ طنّاً الى الشاطئ حيث تعمل فيها الترميمات اللازمة سنوياً « والفزاقة » عبارة عن بناء من الخشب طرفه منحدر في الماء والطرف الآخر مرتفع فوق سطح الارض وله قطع كبيرة من الخشب المكسوب بالحديد توضع في الماء الى ان يعلوها القارب فتسحب الى البناء الخشبي وهناك تبدو جميع اجزاء القارب للعين فيشاهد ما فيها من عيوب . ويفحص كل قارب مرة في السنة وترسل الاسماك من مقر الشركة في بور توفيق الى عملائها في القاهرة على سيارات خاصة تصل مصر في ساعتين وبذلك يصل السمك الى أيدي المستهلكين وهو طازج

سِيرُ الزَّمَانِ

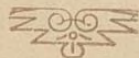
المثلث التونسي

بين فرنسا وإيطاليا والعالم الإسلامي

النازيون في إسكندرية

الأمم المتحدة تهتم :

السلم والتقدم والحرية والديمقراطية



المثلث التونسي

بين فرنسا وإيطاليا والعالم الإسلامي

تونس ما فتئت مطمح انظار الفاتحين

ليست الضجة القائمة حول تونس بالامر الجديد ، وليس الخلاف بين ايطاليا وفرنسا حول هذا المركز «الاستراتيجي» في افريقيا ، بالاول من نوعه. ولم تكن الضجة التي احدثتها زيارة الميودلاديه رئيس الوزارة الفرنسية لتونس غير صدى لذلك العراك الذي يعود تاريخه الى ازمان بعيدة . ولقد كانت تونس وما تزال ، مطمح انظار المستعمرين ، لما تتمتع به من مزايا طبيعية وسترراتيجية ، فهي بلاد غنية ذات جمال طبيعي جذاب ، وتتحكم في كثير من طرق المواصلات البرية والبحرية. ويدرك التونسيون ما لبلادهم من مكانة كما يدركون نتيجة التناحur عليها . ألا تقع على مقربة من عاصمة بلادهم (تونس) اطلال المدينة الاثرية (قرطجنة) التي كان يطلق عليها في قديم الازمان لقب (ملكة البحار) والتي تركتها الحروب قاعاً صفصفاً ؟ وما كانت ذكريات الحروب الغارة لتؤثر كثيراً في نفسية التونسيين ، فهم كغيرهم من سكان المدن الواقعة على شواطئ البحر المتوسط يتحدثون دائماً عن الحروب المقبلة . وانك لتسمع الاحاديث المختلفة في السياسة ، في منندياتهم ومجالسهم الخاصة ومقاهيهم ، وهي تسليتهم التي لا يجدون عنها حيصاً

(تونس لنا) هذه هي الصرخة التي صدرت من اعماق ايطاليا ، فأجاب عليها الفرنسيون فوراً بقولهم (تونس كانت وستظل فرنسية)

اما سكان البلاد ، فيقولون ان تونس غير فرنسية وغير ايطالية ، وانما هي قطر البرابرة (١) هكذا كانت قبل ان يدخل اليها الفينيقيون ويسكنوا شواطئها ، وقبل ان يؤسسوا على شواطئها عدداً من المستعمرات والمدن السامية امثال قرطجنة ، واوتيكا ، ولبدة الصغرى ، وهكذا كانت اثناء نشوب الخلافات والحروب حول امتلاكها بين الرومانيين ، والفاندان ، والعرب ، والاسبانيين والازراك ، والايطاليين ، والفرنسيين . ومع ذلك فان هناك اختلافاً بين سجن السكان الذين يقطنون القرى التونسية . فبينما يقع نظرك على اشخاص قصار القامة سود العيون ، اذا بنظرك يقع في مكان آخر على اشخاص شقر شعر الرأس واللحية ، طوال القامة . فالتونسيون والحالة

(١) البرابرة Berbers اسم يطلق على سكان شمال افريقية الاصليين وكان الرومان يطلقونه على من لا يتكلم لغتهم

هذه ، قد اختلطوا بالشعوب الفاتحة وتزاوجوا فيما بينهم

ونصف سكان تونس من البدو الرحل الذين قبلوا الاستعمار الاجنبى على مضض . وهم يتربصون ساعة الفرج لتحقيق احلامهم وهي الاندماج في مملكة الاسلام الكبرى التى تضم افريقيا الى الشرق . ويقوم بث هذه الفكرة في النفوس زعماءهم الذين يؤمنون بفكرة الجامعة الاسلامية ايماناً راسخاً . ويعتقد الايطاليون ان تونس في حاجة ماسة اليهم . فمن سواحل صقلية المناوحة لتونس يشاهد الايطاليون السواحل التونسية التى تسيطر على الطرق التجارية . اما الفرنسيون فيرون ان حمايتهم على تونس قد مضى عليها زمن طويل ، وان تونس فرنسية اكثر من الجزائر ومراكش اللتين يعتبرهما الفرنسيون قطعتين من فرنسا . فتونس هي مفتاح الصحراء وبدونها تفقد كل قيمة للممتلكات الافرنسية في افريقيا . ووجهة النظر الايطالية في استعمار تونس انها تقطع المواصلات بين فرنسا وبريطانيا وبين الشرق لانها تكمل مع باتيلاريا وصقلية وحذاء ايطاليا حاجزاً يقطع البحر المتوسط في وسطه

وتونس ليست بعيدة المسافة عن فرنسا . وهذه المسافة يمكن قطعها في ثلاثين ساعة براً وبحراً من باريس وعشر ساعات بالطيارة عن طريق مرسيليا . وخط السفريسير يومياً بانتظام بين باريس وتونس . اما المسافة بين روما وتونس فلا تزيد عن اربع ساعات بالطائرة وهناك خدمة جوية كل يوم من روما وبارمو ، عدا البواخر التى تبخر من نابولي وتجتاز المسافة الى تونس في ليلة واحدة فقط

والمسافر الى تونس بحراً على متن سفينة صغيرة من تراباني بصقلية ، او على باخرة من مرسيليا او الجزائر او الاسكندرية ، او عن طريق الجو ، تمر من امامه مناظر تؤثر في نفسيته ساعة يبدأ يقترب من الشواطىء التونسية . وقبل ان يصل اليها يمر من امام سواحل الجزائر الجرداء حتى اذا ما اقترب منها وقع ناظره على شاطئ اخضر ووراءه اودية وجبال مكسوة بالخضرة وعلى حراج من اشجار البلوط والصنوبر ، فكأن تونس قطعة من اوربا في مناظرها ومواقفها الطبيعية . وفي الاودية تنساب الانهار ، حيث تحول الصحاري الجرداء الى اراض خصبة رعى فيها المواشي والحياد

هذه الجبال الشاخطة الممتدة وراء السهول ، غنية بما في بطونها من معادن كالحديد ، والرصاص والزنك ، والنحاس . وتستخرج من الجبال في مقادير وفيرة . اما السهول فترتفع في كثير من المواقع بمقدار النى قدم عن سطح البحر ، وفي السهول الواقعة في الجهة الشرقية تزرع الحبوب وفي كثير من هذه السهول ولاسيما على حدود الجزائر مقادير كبيرة من الفوسفات . وتمتد السهول حتى تلتقي بحيال الاطلس القاحلة التى تكون من الجهة الجنوبية الحد الطبيعي بين تونس والجزائر

ويمتدع شمالي تونس بمناخ معتدل، ولا تتجاوز الحرارة فيها درجة ٩٠ ، بالرغم من ان تونس « العاصمة » وما يجاورها من الشاطئ تعرض للعواصف التي تهب في كثير من الاحيان من الصحراء ، حاملة معها الحر اللاهب والغبار الخانق والسحب القاتمة وتميل الشواطىء في تونس نحو الانبساط . وفي الجهة الجنوبية تمتد سلسلة متصلة من التلال مكسوة بكرمات العنب واشجار البرتقال . وبعدها توجد تلال تبلغ مساحتها الوف الفدادين مكسوة باشجار الزيتون . ويقوم على الشاطئ التونسي عدد من المدن — كسوسة ، وصفاقس ، وقابس . وفي داخل تونس فيما يلي : سوسة تقوم مدينة القيروان العظيمة . وفي صحراء تونس توجد واحات تختلف في مساحتها وجمالها ، مغمورة بالخضرة الفاتنة ، والازهار النضيرة وتفيض بالمياه النيرة ، ومن هذه الواحات تصدر مقادير من البلح الذي تمتاز به . وقابس مثال من الواحات التونسية الواقعة على الشاطئ

وغربي خليج قابس تمتد مساحات من الاراضي في غاية الغرابة . وهي عبارة عن منخفضات من الاراضي تستحيل الى برك في فصلي الخريف والشتاء ، يتعذر على الانسان ان يجازها . ثم تستحيل هذه البرك الى مستنقعات ، ما تلبث اشعة الشمس ان تجففها واذا بالانسان يرى نفسه امام منبسطات شاسعة من الارض ، تسير عليها الدواب والعربات بسهولة . وفي وسط هذه المساحات عيون ماء معدنية يقصد اليها المرضى الذين يبتغون الشفاء من الامراض الجلدية المختلفة التي يصابون بها . وقديماً جذبت هذه العيون المعدنية اليها الملايين من الرومانين للاستشفاء ب مياهها . وفي شمال الالة التونسية تقع مدينة بيزرته التي تعد من احصن القواعد الساحلية على البحر المتوسط . فهي حصن طبيعي ذو مكانة استراتيجية عظيمة ، وقد اعدتها فرنسا لتكون قاعدة بحرية من الطراز الاول ، وهي الآن تأتي في الدرجة الثانية بعد مينائي برست وطولون وخط الشاطئ تحرسه كتيبان من الرمال ، وقد شقت في وسطها قناة تصل البحر ببحيرة بيزرته المالحة . وهذه البحيرة قد اعدتها الطبيعة لتكون حصناً حصيناً وقاعدة بحرية ، يبلغ عمقها في بعض الجهات نحو خمسين قدماً . وفي الداخل على مستوى الشاطئ ، سلسلة من الجبال المنيعه يبلغ ارتفاع بعضها ثلاثة آلاف قدم ، وتؤلف حصناً طبيعياً يقي البلاد كل غارة ، وقد زادت فرنسا في تحصينها ، ولا تنفك الاعمال العسكرية قائمة فيها بقصد تعزيزها

وتقيم البحرية الفرنسية هذه القاعدة شأناً عظيماً . وتستفيد منها كثيراً وذلك انها اقامت فيها عدداً من مصانعها الرئيسية للقوات البحرية ، في مكان يدعى سيدي عبد الله ويبعد عن البحر عشرة اميال . ويزرته حوض ممتاز للملاحة ولكن استعماله محظور للملاحة التجارية وفيه الآن مرساة للسفن ، واحواض جافة ، وقاعدة للغواصات ، وقاعدة ثانية للطائرات . وهذه المحطة

البحرية أصبحت منذ اتفاق نيون ، ذات شأن خاص لحماية خطوط الملاحة الانكليزية والفرنسية من غرب البحر المتوسط الى شرقه . وتونس العاصمة تشبه كثيراً من المدن الواقعة على ضفاف البحر المتوسط ، بما تحتوي عليه من احياء وطنية ذات شوارع ضيقة ومبان ذات طراز عربي . وهذه الاحياء منفصلة عن الاحياء الاوربية التي تشبه طولوز او مدن الوسط في فرنسا . والهندسة التونسية ذات طابع خاص وتفتقر عن الهندسة البنائية في الدار البيضاء او الجزائر . واذا ما جاس السائح خلال الشوارع في تونس فان عينه تقعان على خليط من الناس ، فكأنه في الجزائر ، أو بيروت ، أو الاسكندرية ، أو طنجة . على أن السائح اذا طال مقامه بتونس فإنه يلاحظ كثرة من الايطاليين الذين منهم تتألف اكثرية العمال والموظفين وذوي الاعمال الحرة من الاوربيين . ولهم مزارع واسعة تفوق في مساحتها المزارع التي يملكها الفرنسيون ، واكثرها مزروع غنباً

والباقي هو حاكم تونس الاسمي . وقد وسعت فرنسا في المدة الاخيرة الاختصاصات التي اعطتها للمجالس المحلية . ولكن المقيم الفرنسي هو في الحقيقة الكل في الكل . ومعنى هذا ان فرنسا تحكم تونس كما تحكم اي مستعمرة اخرى من مستعمراتها مع قليل من الفارق وهناك قوات عسكرية فرنسية في تونس وبيزرتة وعدد من المراكز العسكرية الاخرى ، ومع هذا توجد حاميات كثيرة فيها جنود وطنيون فقط . وقد رأت فرنسا مؤخراً ، رغبة منها في تعزيز الدفاع العسكري وتقوية خطوط الدفاع ، ان تجعل مركز القوات العسكرية في مراكز تحت قيادة الجزال نوحيس ، على انه في مستطاع هذه القوات ان تتحرك الى اي جهة في تونس او مراكز الجزائر . وعلى اثر الحركات العسكرية الاخيرة في ليبيا الايطالية اضطرت فرنسا الى تعزيز الحاميات التونسية ، لتكون على استعداد لصد اي هجوم ايطالي يقع عليها . وهناك خط دفاع على الحدود التونسية الطرابلسية يشبه كثيراً خط ماجينو القائم بين فرنسا وألمانيا وجرى احصاء عام لسكان ايلة تونس عام ١٩٣٦ فبلغ عددهم مليون ونصف مليون ، مقسمين كما يلي : ٦٢٢٠٣٣٥ مسلمون و ١٠٨٠٠٦٨ فرنسيون و ٢٨٢٠٩٤٠ ايطاليون و ٧٨٤٨٥٠ يهود . وباقي السكان خليط من اليونان والمالطيين والنزوح ، وغيرهم ، وهم من ذوي التأثير والنفوذ . وثلثا المسلمين في تونس من البربر والثلث الباقي من العرب والبدو الذين يسكنون الصحراء . ومن بينهم عدد تجنسوا بالجنسية الفرنسية ، كما ان اكثر من عشرين ألفاً تجنسوا بالجنسية الايطالية . وهناك كثيرون من سكان تونس من آباء فرنسيين وامهات وطنيات . وكثيرون من الايطاليين الآن يطلبون التجنس بالجنسية التونسية . وقد بلغ معدل الايطاليين الذين يتقدمون لطلب الجنسية التونسية منذ شهر سبتمبر الماضي نحو الالف في كل شهر

وللمهاجرين الايطاليين في تونس حقوق وامتيازات، ضمنتها لهم اتفاقات معقودة مع فرنسا . ولهم صحفهم ومدارسهم ومستشفياتهم ، واكثرهم يأتون من صقلية ، ويمارسون الزراعة والتجارة كما ان بعضهم هاجروا من ييمونت ولومبارديا وهؤلاء يمارسون الهندسة والبناء . وثمانون في المائة من ايطاليي تونس يعتقدون المبادئ الفاشستية . وزعيمهم هو السنيور سانتا ماريا محرر جريدة «الانيوني» اليومية التي تصدر باللغة الايطالية في تونس . وقد اعد لفاشست تونس برنامجاً يشبه برنامج السوديت ، وهم يحرصون اشد الحرص على تطبيق نظمه والسير عليها

والزراع بين فرنسا وايطاليا بشأن تونس ليس حديث العهد كما قلنا ، وقد بدأ قبل احتلال فرنسا لتونس . ففي عام ١٨٦٩ حينما اخذ ظل (بايات) تونس يتقاص ونفوذهم يضمحل ، وحينما رزحت تونس تحت اعباء مالية ثقيلة ، رأت دول اوربا ذات المصالح ان تعهد الى مجلس مؤلف من فرنسيين وايطاليين وانكليز للاشراف على شؤون تونس المالية . ومنذ ذلك الحين وايطاليا تربص الفرص لتستقل بفرض حمايتها على تونس . ولكن حدث في عام ١٨٨١ ان وقعت حوادث على الحدود بين الجزائر وتونس ، ورأت فرنسا الفرصة سانحة لدخول جيشها الى تونس ، لاسيما بعد ان شعرت بان بريطانيا لا تمنع في هذا الاحتلال وبسمرق يشجعه . واحتجت ايطاليا على التصرف الفرنسي ولم تعترف ايطاليا بهذا الاحتلال الا في عام ١٨٩٦ ، اي بعد مضي خمسة عشر عاماً على الحادث

منذ ذلك الحين والزراع قائم على قدم وساق ، ولاسيما ان الايطاليين يزداد عددهم في تونس سنة بعد اخرى . وقد سوي الخلاف عام ١٩٣٥ حينما زار المسيو لافال روما ، فقد عقد اتفاق بين السنيور موسولينى والمسيو لافال سويت بمقتضاه المشكلة الايطالية في تونس ، ومن نصوحيه ان يظل الايطاليون يتمتعون بامتيازاتهم الحالية حتى عام ١٩٦٥ ، تلك الامتيازات التي تحوهم حق الاشراف على مدارسهم وادخال ما يريدون من تعاليم فاشستية فيها ، والقيام بالدعاية ، الخ ولكن ايطاليا الغت هذا الاتفاق في ديسمبر الماضي بحجة انه لم يبرم أما المشكلة السياسية في تونس فذات ثلاث شعب

فهناك فرنسا التي فرضت حمايتها عليها والتي تديرها الآن تحت ستار الحكم الوطني وهناك ايطاليا التي تتطلع الى افريقيا والى غيرها من البلدان ، للهجرة اليها . ولاستغلال مواردها الصناعية . وهي تخص تونس بمطامعها باعتبار انها مرتبطة بها ارتباطاً تاريخياً منذ قديم الزمان ، وباعتبار ان تونس مطلب لازم لها لحماية مركزها الاستراتيجي في البحر المتوسط واخيراً ، هناك الوطنيون التونسيون الذين يقاتلون اي نوع من انواع الاستعمار ، والذين يحلم شبابهم بالجامعة الاسلامية المتحدة ، وباحياء تراث الاسلام واجماده المندثرة ، ويرون ألا حياة لهم الا بالتخلص من الطاغوت الاوربي وضمان الاستقلال [عن مجلة نيويورك تيمس]

النازيون في اسكنديناوة

الامم الاسكنديناوية تفرسى :

السلم والتقدم والحرية والديمقراطية

إن حجر الزاوية في العقيدة النازية انما هو الاعتقاد النامض في سيادة الجنس النوردي
أجل ، يرى النازيون أن كل ما في هذا الجنس جميل .. وقوي .. ونبيل .. وقي ..
ويتصورون الآري على الصورة التالية :—

رجل جميل التكوين حسن الشكل ، ذوائف مستقيمة ، وذقن مربعة وعينين زرقاوين
تدلان على صلابة وعنف كما تدلان على أن صاحبهما كثير الاحلام ، وشعر اشقر وقبضة يد
مصفحة تقوم مقام الدرع ! ..

ويعتقدون ايضاً أن كل نوردي « سيد كريم » و « بطل عظيم » في آن
ولست في حاجة الى ان اعرض لهذا الموضوع الذي تضاربت فيه الآراء وتباينت
تبايناً تاماً .. لست في حاجة الى أن أقول أن هذا الجسم الجميل تجده بين شعوب كثيرة وان
الوفاء عديدة تتمتع بهذه الاجسام المتناسبة الأجزاء الحسنة التقاطيع ..

ولكن يكفي ان نذكر ان المتصليين من النازيين كثيراً ما اشاروا في مواقف مختلفة الى
ان اسكنديناوة انما هي الوطن الحقيقي للجنس النوردي الممتاز المجيد
وقد وصف البروفسور كارل هادشوفر السويد بأنها وطن أجداد الالمان
والتي البروفسور النازي جوستاف نيكل محاضرة في برلين جاء فيها : —

« ينبغي ان لا تبدو اسكنديناوة — في نظرنا نحن الالمان — بلاداً غريبة عنا كما تبدو
الممالك اللاتينية والسلافية المجاورة لنا فالالمان في اسكنديناوة لا يضطر لأن يشعر بأنه في بلاد
خارجة عن حدود وطنه بل انه على النقيض يشعر انه لا يزال في المانيا ذاتها »

وقد صرح الدكتور الفريد روزنبرج والدكتور جوبلز وغيرها من زعماء الحركة الفكرية
في الرايخ في مواقف عدة وعلى الاخص في رسائلهم بأراء مشابهة لهذا الرأي
ولهذا فانه من المناسب ان نتساءل ما هو اثر كل هذا في نفوس الاسكنديناويين وكيف
يقابلون هذه العقيدة التي ترفعهم الى هذه المكانة السامية بين الاجناس البشرية

ليس من شك في ان أول اثر لها انما هو الشعور بالسرور والارتياح
والشعوب كالأفراد على السواء تريد من يتملقها وتحب من يداهاها ويعدها مثلاً للكمال
بين الامم المعاصرة . فالاسكنديناويون كغيرهم من هذه الناحية ولا يمكن ان نستنتجهم

ولكن هذه العقيدة ترك في نفوس الاسكنديناويين تأثيراً آخر لا يستسيغه العقل الالماني فهم عند ما يرون النازيين ، يصرفون كل جهودهم لتأييد الجنس النوردي قائمهم قد يقولون منهكين : « كيف يمكن ان يطفو التفاح ؟ » ذلك لانه اذا كان الدعاة في الريخ مصممين على اعتبار الدنمارك والسويد والترويج ، ضمن الجزء المفضل من الانسانية — والمفروض طبعاً ان تكون المانيا هي ممثلة هذا الجنس احسن تمثيل وزعيمته — فان الاسكنديناويين مصممون هم ايضاً على ابعاد النازيين عن عالمهم النوردي فهم في نظرهم من اهل « الجنوب » وان الحدود الثقافية الفاصلة بين الجنوب والشمال — اي اسكنديناوة — تمر في شلزويج حيث تتصل الدنمارك بالمانيا وفي الواقع انه من بواغث الاستغراب ان يتصور المرء ان حلم النازيين العالمي يمكن ان يتفق مع تصور النورديين الاصليين وفهمهم الحياة . فالاسكنديناويون « فرديون » قلباً وقالباً منذ الف عام وهم ديمقراطيون بفطرتهم

ويكفي ان نذكر لاقامة اليئنة على ذلك ان أحد المؤرخين الفرنسيين ذكر عام ١٠٠٠ ان جماعة من القرصان الاسكنديناويين رست على شواطئ فرنسا فجاء شريف تلك المقاطعة يسأل هؤلاء « من هو ملككم ؟ »

فاجابوا : « ليس لنا ملك فجميعنا متساوون وليس فينا احد افضل من الآخر ! » اتت لا تنكر ان سلالة هؤلاء القرصان المتكبرين قد رضخوا للحكم الملكي منذ قرون عديدة بل انهم من اكثر الشعوب تمسكاً بالملكية الا ان الروح القديمة لا تزال حية فالاسكنديناويون لا يزالون يعتقدون انهم متساوون وانهم اذا كانوا يحكمون اليوم من قبل ملوك فما ذلك الا لانهم قد تعلموا قبل فوات الوقت ان لا يكونوا مستبدين

ومن هنا نجد الاختلافات الجوهرية بين النازيين والامم النوردية الاصلية التي تؤمن بأوسع حدود الفردية وتعنى الديمقراطية في أوضح اشكالها وأتم معانيها . فأن ذلك من الحكم النازي الديكتاتوري ! ان هذه الحقيقة وحدها كافية لأن تدل على ان الاسكنديناوي يعتبر المانيا محكومة اليوم وخاضعة لمبادئ الاستبداد الموروثة عن الامبراطوريات الشرقية القديمة وليس للمبادئ النوردية

وفضلاً عن هذا فالشعوب الاسكنديناوية كما يعرف كل انسان مسالمة ، تكره الحرب ، بل ليس هناك شيء يكرهونه من اعماق قلوبهم كالروح العسكرية او النزعة الحربية ولكن الاسكنديناويين يعشقون الحرية ويقدمون استقلالهم وهم على أتم ما يكون من الاستعداد لرد من يعتدي على استقلالهم مستميتين وعلى الاخص سكان السويد والترويج فالسلم ، والحرية ، والتقدم ، والديمقراطية ، هذه الكلمات الاربعة التي أصبحت مهمة

في الريخ ولا قيمة لها هي كل شيء وأهم وأبرز مظاهر الحياة الاسكنديناوية
والتي عميد جامعة كوبنهاجن خطاباً جاء فيه :

«أريد ان اعلن بصورة قاطعة انه لا يوجد في النظام النازي ما يتفق مطلقاً مع العقيدة النوردية»
وقابل الالف والاربعة طالب الذين استمعوا هذه العبارة بالتصفيق الحاد
ثم قال وسط الحماسة الفياضة : « من الحقائق الثابتة التي قد يستخف بها اهل الجنوب
ويسخرون ان الاسكنديناويين الاصليين لم يشعروا في اي وقت من الاوقات بانهم مستبدون
أو دون سواهم ارادة وعزيمة بل على النقيض كانوا يعدون انفسهم على الدوام رجالاً أحراراً
« هذه هي الروح النوردية الصحيحة وان روسيا والمانيا لتقاومان الآن المثل العليا النوردية
مقاومة مطلقة ذلك لان كلاهما قد خفضت من قيمة الانسان وجعلته لايزيد عن ترس واحد من
اتراس دولاب في آلة الحكومة بعد ان قضوا على كل نوع من انواع الحرية الشخصية »

وهذا ما يردده بين حين وآخر زعماء الحركتين الفكرية والسياسية في اسكنديناوة ويوافقون
عليه موافقة اجماعية فهم لا يقبلون نظاماً « نوردياً » تكون فيه المانيا صاحبة الامر والهي
ولكن النازي لم يثن ولا يزال يمد يده ليخطب ود الاسكنديناوي بجرأته وشجاعته ويقول :
« من الاسرار المفضوحة اتنا نحن الالمان نغمر الشمال بعاطفة قوية لم يحس بها بعد ولم تقابل
بعاطفة الحب المتبادل، انهم لا يزالون ينفرون منا ولكننا امة قوية تستطيع ان تنتظر الى ان
تلي هذه الامم الشمالية وتبادلنا الحب بالحب وسيأتي هذا اليوم لا محالة . اتنا مقتنعون بذلك
الاقتناع كله ! »

بمعنى آخر ان النازيين يعرفون الآن حق المعرفة ان النورديين يحجمون احكاماً شديداً
عن قبول زعامتهم ومع هذا فالنازيون لاسباب سياسية واقتصادية أكثر منها عاطفية رومانتيكية
يبدلون قصارى جهدهم لكي يحملوا الأمم الشمالية على الاذعان لمشيئتهم والانقياد لهم وقبول
هذه الزعامة والسيادة وهم يتوسلون الى ذلك بعدة وسائل منها الاغراء والاستئالة ومنها المدحجة
والمراودة ومنها التخويف والارهاب ووسائل الشدة والعنف في النهاية

إن النازي يلجأ الى الشدة بعد ان يخفق في خطب ود الاسكنديناوي كما يلجأ اليها عندما
يخفق في خطب ود ابناء الشعوب الأخرى التي يريد استئثارها والتزعم عليها
ويعتمد النازيون على الجنود الوطنيين . . . على الاحزاب الاسكنديناوية النازية الكبيرة
وفي الواقع ان الاسكنديناويين قد تأثروا في كل وقت بالحركات السياسية والاجتماعية
والدينية الكبرى التي نشأت في المانيا

ولكن تأثر الاسكنديناويين بهذه الحركة الهنارية لم يكن عظيماً كتأثرهم بالحركات الأخرى ذلك

لان البذور الهتلرية قد نبتت في أرض قاحلة فلم تثمر في اسكنديناوة
وفي الواقع ان العوامل التي ساعدت على نجاح النازية في المانيا لا وجود لها في اسكنديناوة
فما الذي ينعش اذن الهتلرية في اسكنديناوة ويغذيها ؟
أجل ، لا يشعر الاسكنديناويون بأنهم قد خسروا في الحرب او ظلموا ولا يشعرون ان
السواد الاكبر منهم في حالة مالية سيئة

ولا توجد في اسكنديناوة طبقة متوسطة متضجرة متبرمة
وعنصر اليهود الذي ار في الحياة الالمانية وكان له شأن خاص في تغذية الهتلرية
في المانيا يسير في بلدان الشمال. وفوق هذا فان اسكنديناوة ليست مهددة كالمانيا بانتشار البلشفية فيها
احل ، ان الحالة الاقتصادية والمالية في الممالك النوردية سليمة حسنة فان الازمة لم تصبها
الا فترة قصيرة وبرفق اذا قيس بالبلدان الاخرى وهي بعد ان استفاقت من هذه الازمة
القصيرة بدأت تعيش في عصر جديد كله رخاء ويسر

وعلى هذا فالاحزاب النازية التي تأسست في اسكنديناوة كانت احزاباً عارضة وتعتمد اعتماداً
يكاد يكون تاماً على المساعدات المالية التي تأتيها من المانيا
كما انه لا توجد مشكلة يهود في اسكنديناوة وغيرها من الممالك النوردية اذ ان نسبة
اليهود بها لا تزيد عن واحد في الالف

نعم ، قد اخفقت الاحزاب النازية الثلاثة التي تأسست في السويد كما اخفقت الاحزاب النازية
الاربعة التي تألفت في النرويج. اما الدانمارك التي رحبت في بادىء الامر بالحركة الهتلرية قد
عادت فنفضت يدها منها بعد ان وجدت ان النازيين يريدون اقتطاع بعض اجزاء من الدنمارك
واعتبارها من « الاملاك » الالمانية

وفي الواقع ان الاحزاب النازية التي تألفت في الممالك الاسكنديناوية قد اثبتت عجزها
وعدم مقدرتها على اجتذاب الالهلين اليها فظلت ضعيفة

وكان كل هم النازيين في هذه الممالك القيام باعمال ارهابية فظيعة منها الاساءة الى الافراد اليهود
مق انقردوا بهم وخطف الشيوعيين وتعذيبهم وتشويه التماثيل التي في الميادين العامة بتصوير
الرموز النازية عليها ومقاومة المظاهرات التي تقام ضد النازية ومقاومة المحاضرين الذين يخطبون
او يحاضرون ضد الهتلرية

ولكن هذه الاحزاب بالرغم من كل تهديداتها قد خابت في كل حركة استخائية كما انه لم
ينجح اي ممثل لها في اي برلمان اسكنديناوي « نشرت المقالة التي تنقل عنها في مجلة الشؤون
الخارجية في عدد يوليو ١٩٣٧ »

ولكن الهيئات النازية اهم بكثير من الاحزاب في اسكنديناوة واطهر شأنًا

في كوبنهاجن حوالي ٤٠٠٠ الماني وفي استوكهولم حوالي ٢٥٠٠

وتوجد جمعية نازية محلية في كل مركز مهم في اسكنديناوة

لكن الالمان النازيين في الدنمارك هم الذين سببوا الاتعاب للحكومة الدنماركية اكثر من

سواهم من ذلك ان رئيس الجمعية النازية في كوبنهاجن قام بتحريرات وابحاث غريبة فوزع خطاباً

دورياً على اعضاء جمعيته استفهم فيه عن عدد السيارات التي يملكونها والموتوسيكلات والوريات

وما الى ذلك من وسائل النقل والسفر

ومن بين الاسئلة الأخرى — « وعددها ٢٧ سؤالاً » — هل تملك آلة كتابة ؟ هل

تعرف الاختزال

قد تكون هذه الاسئلة في مظهرها الخارجي بريئة ولكن « التيب ريتير » اي المكناب قد

يكون في لغة النازيين « بنديقية » وقد يكون الاختزال « ضرب النار » واستعمال المسدسات والبنادق

كما انه سألمهم هل يعرفون شيئاً عن المنارات الدنماركية وعن مواقعها واقرب الطرق للوصول اليها

هذا وقد وصل عدد كبير من « مراسلي » الصحف الالمانية الى الدنمارك بعد انتشار

الحركة الهتلرية في المانيا واكثر هؤلاء لم يكتبوا قبل ذهابهم للدنمارك سطوراً واحداً لأية جريدة

ومع هذا فقد وقع الاختيار عليهم لنزعهم النازية فينبأ نجد في كوبنهاجن مراسلين او ثلاثة

مراسلين فرنسيين او انجليز نجد عشرات الالمان مع ان الصحف النازية الالمانية لا تحتاج الى جزء

من هذا العدد الكبير من الصحفيين في بلد صغير كالدنمارك وهذا هو السر الذي لم تفهمه بعد

الحكومة الدنماركية. ولكن يلوح ان مساعي الدعاة النازيين في البلدان الشمالية لم تتم فأنخفضت

نسبة المصادرات الالمانية من الافلام السينمائية الى النرويج الى النصف ونقص بيع الكتب الالمانية في

الدنمارك والسويد بنسبة ٢٠ في المائة كما انه قلّ الاقبال على تعلم اللغة الالمانية وحلت الانكليزية

مكانها في المدارس والاذاعة وعلى الأخص في النرويج ولهذا الحقيقة خطورتها العظمى وفي الواقع

ان الممالك الاسكنديناوية تقاوم الدعاية النازية مقاومة كبيرة عن طريق تشجيع كل مظهر من

مظاهر الديمقراطية والحرية الشخصية

وقد اصبح للعمال أعظم الشأن في حكم هذه الممالك الاسكنديناوية وهذا يعتبر ردة على المانيا النازية

ولكن هذا لا يعني ان اوربا الشمالية قد اصبحت معرضة لانتشار البلشفية ذلك لأن السواد

الاكبر من الاسكنديناويين لم يصوتوا في أي وقت من الاوقات لأحد من البلاشفة

ومع هذا فانهم لا يفترون في تأييدهم لمثلهم العليا ويتمسكون بعقائدهم القائمة على الصروح

القوية الاربعة التالية : — السلم ... — التقدم ... — الحرية ... — الديمقراطية ...

حَدِيقَةُ الْمُقْطَفِ

الحركة اللائحة

في سورهات القرآن

فما الموسيقى والتصور

لإبراهيم أبو شبكة

الحركة الفنية

في سوريا ولبنان

تقوم بجانب الحركة الأدبية في هذه البلاد حركة فنية مباركة قوامها الموسيقى والتصوير . وسأعرض في هذا الفصل للجانب المختص بالأدب من الموسيقى الحديثة وقديماً رافقت الموسيقى الأدب وأخته : وستبقى ترافقه وتواخيه ما بقيت من عناصره

لا تزال النهضة الموسيقية في لبنان على الخصوص في مستهلها ، وكل بداية تبحث عن متكا لها وكثيراً ما يضطرها الانكفاء الى التقليد ، والتقليد لا يشتد خطره إلا اذا ماشى المقلد وامتزج فيه واستعبد له . واذا قلت التقليد لا أقول الاقتباس ، فصر اقتبست عن الترك في الماضي ولم تقلدهم ، بل عرفت أن تطبع الاالحان المقتبسة بالطابع الشرقي المصري ، ولم تكن الموسيقى التركية والموسيقى المصرية متباينتين متافرتين كالشرقية والغربية مثلاً

على أن لبنان يستهل عهده بالتقليد الخطر لا بالاقتباس . ولو انه يقتبس عن الموسيقى الغربية ما يوائم المزاج الشرقي هان الأمر ، ولكنه يقتلد الغربيين تقليداً خاصاً ويحاول احلال الموسيقى الغربية الصرفة محل الموسيقى الشرقية . فقد لحن الموسيقار اللبناني الشهير الاستاذ وديع صبرا مسرحية « الملكين » للاب الفاضل الحوري مارون غصن تلحيناً فرنحياً وعرضت هذه المغناة في بيروت على أنها أول مغناة « اوپرا » شرقية في الشرق الأدنى

وهذا القول ترافقه غلطان : الاولى أن مغناة « الملكين » ليست شرقية بل غربية فرنجية متسلقة على الكلام العربي ، والانكى أنك تسليخ ساعتين ونصف ساعة على سماعها من غير أن تفرع أذنيك قفلة شرقية . والثانية أن هذه المغناة ليست فاتحة عهد في الموسيقى الشرقية بالشرق الأدنى . فقد نظم الحوري مارون غصن

هذه المسرحية في العام ١٩٢٧ ولحنها الأستاذ صبرا في العام ١٩٢٨ . ولم تعرض رسمياً في بيروت إلا في أواخر مايو الفائت . في حين أن المسرحيات الغنائية يرجع عهدها في الشرق الى ستين سنة ، فأول من لحن مسرحية شرقية هو الموسيقار الأرمني التركي جوخه جيان الذي وضع مغناة « بلبي جي حورحور أغا » الهزلية وأول من لحن مسرحية في مصر هو الموسيقار كامل الخلعي . فقد لحن هذا الموسيقار عدة مسرحيات لجمعية « المعارف » التي كان يديرها نسيم المندراوي ، من كبار اساتذة التمثيل في مصر . ولم يكن في مصر ، في ذلك الحين (١٩٠٣) إلا فرقة واحدة لامعة هي فرقة اسكندر فرح ، متعهد فقيد الطرب الاشهر الشيخ سلامة حجازي ، وفي جملة المسرحيات التي لحنها كامل الخلعي رواية « الملك اخناتون » وعدد من المسرحيات الفرعونية المصرية لأن جمعية « المعارف » كانت تعمل على نشر الثقافة المصرية القديمة ، وثاني من لحن المسرحيات في مصر هو بطرس الشلفون ، رئيس جمعية « الآداب » المصرية . فقد لحن مسرحية « اسما » و « هرون الرشيد » و « النبي ايوب » و « الملك متريدات » و « ابو حسن المغفل » وثالث من لحن المسرحيات هو اسكندر الشلفون ، الموسيقار النابغة الذي قتل في حادث انهيار مقهى « كوكب الشرق » في بيروت . فقد لحن لجمعية الاتحاد المصرية عدة غنائيات « أوبرا » منها « النعيس » و « حرب العرب مع شارل مارتيل » و « الهوى العذري » و « الدوق دأنجو » و « السبايا » . وغيرها وللشيخ سيد درويش عدة غنائيات يراوح عددها بين خمس عشرة وعشرين

ويقول الأستاذ صبرا ان مغناة « الملكين » هي أول « اوبرا » عربية ملحنة بحسب اصول فن الموسيقى الراقي ومع احترامي وتقديري العظيم لعبقريه الاستاذ وديع صبرا في الفن الموسيقي الذي لا يجاريه فيه كثيرون حتى في اوربا نفسها لا اجد بدءاً من القول بأن مغناته « العربية » لم تصادف اي استحسان لأنها ليست « عربية » . وقد تكون اول مغناة وضعت ولحنت في لبنان ولكنها ليست لبنانية ولا شأن بها البتة للموسيقى التي زيدها على اساس الاوضاع الشرقية

فن التصوير في لبنان

الشعر والتصوير والموسيقى ، ثلاثة فنون من مكملات الحياة كل منها ثالوث يجمع — مع استقلاله — بين الاقاليم الثلاثة ، ففي الشعر تصوير وموسيقى ، وفي الموسيقى شعر وتصوير ، وفي التصوير موسيقى وشعر . على ان التصوير اقل حظاً في المجموع من الفنون الآخرين وإن يكن الشعر أوفر حظاً من التصوير فهو أقل حظاً من الموسيقى ، وهذا المجموع لا يُقبل من الموسيقى إلا على اقنوم واحد من أقانيمها الثلاثة : النغم

ويرجع ذلك الى مدى الثقافة في الناس ، فالموسيقى تقع في كل نفس على مادة حساسة تلائمها ، وفي النفوس البشرية — على اختلاف طبيعتها — أوتار تتأثر بمقدار ما يتبها لها من الحس فهي لا تحتاج الى تربية او ثقافة ، الى معرفة أو علم . أما اذا تمقتت هذه النفوس فيتوزع طربها وشجوها على مختلف حواس الانسان ويقويان بقوة الثقافة ، فالموسيقي أو العارف بالموسيقى أشد تأثراً بالنغم من الدهماء فهؤلاء الاخرون يحسون بهذا النغم ، أما العارفون بالموسيقى فيحسون ويرون ويدركون . ففي كل انسان عناصر حساسة تركب منذ نشأتها ولا تستيقظ إلا على حك المعرفة والذكاء — بينما التصوير يختلف عن ذلك كل الاختلاف ، فهناك ألحان ملونة تحرك في النفس ما تحركه فيها الألحان الموسيقية ، على أن هذه الألحان الملونة تحتاج الى تثقيف العين والشعور لتدرك وتُحس ، وهذه الثقافة في العين والشعور نادرة في الناس لأنها نبت الاجتهاد والذكاء والصبر الطويل

كما أن الطبيعة تلون الزهرة بشعورها وذكائها ، هكذا المصور فهو يلونها بشعوره وذكائه فبعد ان يدرس تماوج الالوان في هذه الزهرة تبرز هذه الالوان بحواسه المدركة المستيقظة وتنسل من أصابعه الى الريشة الفنانة ، واذا النور يغمر كل شيء وينفذ من كل مكان وتدب الحياة في الزهرة . فصورة الفنانة «هدى» مثلاً لا تريك «هدى» كما تريك إياها صورتها الشمسية ، فقد وضع الاستاذ قيصر الجميل على قماشته أحسن ما في نفسه ، فهذه الكأبة الطافية على سماء الفنانة تبخر من عينيها وفها وانحاء عنقها أحسها المصور في نفسه قبل ان سالت من

أصابعه على الريشة فعلى القماشه ، فكأنني به تناول هذه الكآبة من نموذجيه ، تناولها بعينه وشعوره وذكاؤه ، فنقعها في حواسه ثم عجنها في لوحة أصابعه ، فلم يعطك الخيال بل أعطاك الروح والحياة ، أعطاك الجوهر . والمصور الصادق كالشاعر الصادق يسمع عظمة الطبيعة في قرارة نفسه ويدرك سحر النور والالوان وصورة الشاعر « شارل القرم » لا تترك إياه كما تراه في صورته الشمسية فشارل القرم على قماشه قيصر الجليل هو الشاعر الحي كما عرفته عينك وأحبتة نفسك . ففي عينيه العاكفتين على كتابه ، وعلى وجهه المغمور بابتسامة خفيفة يتقاسمها الذكاء والسذاجة كأن نفسه مرتاحة الى ما يقرأ ، كأنه اهتدى الى ما يبحث عنه في مطاوي الكتب او في مغالقي الآثار ، في هاتين العينين وعلى هذا الوجه سلامة القلب التي لا تحزر الشر حتى في شذقي الذئب ولا الحُبث حتى في عيني الثعلب ، والاستسلام البريء ، هذا الاستسلام المألوف في الشعراء

ولا أعتقد ان بين قماشات قيصر الجليل ما يبرز لك فكرة نبيلة سامية عن الرجل المفكر الحازم كصورة هذا « الكاهن اللبناني » الصامد بكل ما في النفس البشرية من الشعور بالكرامة . ولا أعتقد ان الفردية اللبنانية أثبتت نفسها بمظهر نفور كما أثبتت نفسها في هذا الوجه المتسلط ، في هذا الوجه الحامل كل معاني الحرم الشخصي والجراة الصلبة في كثير من التساهل الانساني ، في هذا الوجه الهادئ الصارم ، هذا الوجه الكاشف عن « فورة الحياة الداخلية المقموعة المشرف على أسرار الضمائر كأن هذه الاسرار تخضع لحدة النظر وتصلب الفم

ومن مشهوري المصورين في لبنان الاساتذة الموراني والأنسي وفروخ . وهذا الاخير هو في الحقيقة مؤرخ الحياة الريفية ومصور للاجواء الروحية ، فقد أعرب عن قدسية الطبيعة في لوحات رائعة تتناقض عليها الاضواء الحارة والأخيلة الكثيفة فالقرى اللبنانية وأديارها وبيوتها وجنائنها وخرائبها ماثلة حية في أصابعه الرومانطيقية الراحشة

وخلاصة القول ان فن التصوير في لبنان وصل الى مستوى جليل — وليس هذا الفن بمستحدث عندنا فقد نبغنا فيه منذ قرون ، وفي كناستنا واديارنا آثار جلييلة منه

الياس ابو شبكة

بَابُ الْمُرَاسَلَةِ وَالْمُنَاطَاةِ

مفردات النبات

ملاحظات علمية ولغوية للامير مصطفى الشهابي

حضرة رئيس تحرير المقتطف

لم التقي في رحلاني الى مصر بالسيد محمود مصطفى الديماطي الذي ينشر منذ سنة ١٩٣٥ مقالات في المقتطف عنوانها « مفردات النبات بين اللغة والاستعمال ». وقد اتضح لي من تصفح هذه المقالات ومن انعام النظر في بعضها ان السيد المومنا اليه استاذ محقق يراجع الأمهات ويصيب كثيراً ويخطئ قليلاً . وهاكم بعض ملاحظات يفيد الاستاذ الأخذ بها ولا سيما اذا كان يود طبع هذه المفردات النباتية في معجم :

١ — قال في جزء اكتوبر ١٩٣٦ : « يقال للكزبرة التقدة بالكسر والفتح مع كسر القاف والجلجلان ». قلت قاف التقدة ساكنة . اما الجلجلان فهو ثمر الكزبرة

٢ — قال في جزء يونيو ١٩٣٦ : « الأرز واحدة أرزة شجر معروف من الصنوبر يقال له (الشرين) ايضاً ». قلت لا لزوم لفتح راء الأرز . والأرز من الفصيلة الصنوبرية وليس من الصنوبر . وهو غير الشرين . ويخلط بعض اصحاب المعجمات القديمة بين الأرز والصنوبر أو يعرفون هذا بذلك فيجب على علماء اليوم ان يتعدوا عن مثل ذلك . وأهم أشجار الفصيلة الصنوبرية مما تُنبَت في جبال الشام هي :

السرو Cupressus وهو انواع

sempervirens	الشرين
Juniperus drupacea	الدفران
oxycedrus	العَرَعَر
excelsa	الليزاب
Cedrus libani	أرز لبنان . ابنهل . أرز الرب
Abies cilicica	الشُوح . ثُوب قيليقيّة
Pinus pinea	الصنوبر المثمر
halepensis	الحلي

٣ — جاء في جزء اكتوبر ١٩٣٥ الحُروب بضم الحاء والصحيح بخاء مفتوحة

٤ — لم يذكر في جزء يوليو ١٩٣٥ ان الكباد (ككتان وهي لفظة وردت في التاج)

تطلق في الشام على شجرة الأترج . والشاميون لا يستعملون إلا لفظة الكباد . وهذه الشجرة مبذولة في الساحل وفي حدائق البيوت بدمشق

٥ — أورد في جزء يوليو ١٩٣٥ تسعة أنواع من الكم دون ان يسميها بأسماء عربية فقال مثلاً : « تور البوم » و « تور إيستيوم » و « تور ميلا نوسبوروم » الخ . وكان من المفيد ان يضع لها أسماء عربية على الطريقة التي كنت حاضرت فيها في مصر والشام ولخصتها في جزء فبراير ١٩٣٤ من المقتطف فليراجع . ولما كانت معظم الالفاظ العلمية الدالة على أنواع النباتات لها معان قابلة للترجمة فلا لزوم لتعريب تلك الالفاظ بل هي تترجم بمدلولاتها فيقال فيها نحن بصدد الكمأة البيضاء والكمأة الصفية والكمأة السوداء الغيرات وهكذا

٦ — اتبع الاستاذ القاعدة المارة الذكر في بحثه عن شجر القيقب (الاسفندان) في جزء يونيو ١٩٣٧ فقال الاسفندان الايض والاسفندان الجيلي والاسفندان الجميزي والاسفندان العادي لكن هذه الالفاظ هي ترجمة ما يقابلها بالفرنسية او بالانكليزية لا ترجمة أسمائها العلمية . ومن الاصلح كما هو معروف ترجمة الحروف العلمية الدالة على الانواع النباتية لأنها مشتركة بين الأمم ، وعدم استعمال غيرها الا في حالات استثنائية . وعلى هذا تصبح اسماء هذه الاشجار هكذا : القيقب القطني الثمر والقيقب الدلي والقيقب الدلي الكاذب والقيقب الحقل او السهلي . (انظر أسماءها العلمية) . وفي آخر بحث القيقب عرف أحد الانواع بجملة طويلة وهي « الاسفندان الشبيه بالدردار في الاوراق » ولو قال القيقب الدرداري الورق لاختصر كثيراً

٧ — جعل لفظة المنجوعامة (جزء ابريل ١٩٣٦) اسماً أصلياً لشجرة الأنبيج . ومن المعروف ان النبات اما يسمى باللفظ العربي او المعرب قديماً ثم تذكر اللفظة العامية ويشار الى كونها عامية ٨ — رأيت الاستاذ يستعمل أحياناً في تحلية اجزاء النبات (كالورق والزهر والثمر) غير الالفاظ التي أقرها العلامة الدكتور أمين باشا المعلوف في المجلدين السابع والثامن من مجلة الجمع العلمي العربي بدمشق على حين ان هذه المصطلحات هي أصلح ما وضع في هذا الباب فليراجعها كل مؤلف في النبات

٩ — أطلق لفظة البلسان على البلم المكي (جزء مارس ١٩٣٦) . ومن المفيد معرفة ان الشاميين يطلقون لفظة البلسان على الشجرة المسماة Sambucus وبالفرنسية Sureau . وهي تكثر في بعض الحدائق وتبتهها الطبيعة في لبنان

١٠ — جاء في الجزء السابق « الفتنة » بضم الفاء وهي نوع من السنط معروف . والأصلح ان تلفظ بفاء مكسورة

١١ — قدم لفظة القرنييط على لفظة القنييط (جزء يناير ١٩٣٧) والثانية أفصح

١٢ — ذكر في جزء أبريل ١٩٣٩ البيقة (او البيقة) ووضع بجانبها بين هلالين الكرسة الزروعة . قلت البيقة نبات والكرسة نبات آخر والجلبان نبات ثالث . وكلها تزرع في الشام فلترجع في الصفحات ٣٥٢ — ٣٥٦ من كتابي الزراعة العملية الحديثة (طبعة ثانية) .
وهاكم مقابلها : —

بيقة *Vicia sativa* كرسة *Vicia ervilia* جلبان *Lathyrus sativus*

مباحث عربية

كلمة للاب انستاس ماري الكرمل

الى حضرة رئيس تحرير المقتطف الغراء
الكتاب ثلاث طبقات : طبقة تدع في التفكير ، وتحسن في التعبير ، وطبقة تحيد التفكير ،
وتسيء في التعبير

وطبقة تحكم التعبير ، وليس هناك تفكير
فابناء الطبقة الاولى يعدون على الأصابع ، حتى في ديار النيل على كثرة أدبائها . والمتسبون
الى الطبقة الثانية كثيرو العديد ، وتراهم في كل منزل
وأما أرباب الطبقة الثالثة ، فانهم لا يحصون لكثرتهم
والآن ، اذا أردت ان تعرف من هم الذين في رعيال الطبقة الاولى ، فخذ بيدك (مباحث
عربية) لتفهم كلامي ومدى مرماه ، فانك تصيب فيه من الآراء المستحدثة ما لا تجد مثيلاً له
في مئات من التأليف التي تطبع في هذه الآونة ، وكلها تصانيف قد طويت على غرار واحد ،
حتى انك لتبرم من مطالعة اي كتاب ، من أي ضرب كان
ثم أعد النظر ، مصوباً آياه او مصعده ، وأنعمه في تلك المفردات ، تُلّفها كلها دُرراً
مودعة في اصداف مختلفة الاشكال والاقدار ، ولا جرم انك تقول بعد أن تقف عليها : « هكذا
يجب ان تكون الكتابة ، لا جمع كلم الى كلم ، ولا صف أفكار بجانب أفكار ، وليس هناك رابط ،
ولا ثم صلة ، يربط بعضها الى بعض »

على اننا وجدناه استعمل (المنضدة) ص ٢٧ وقد شاعت على يراع كتبة هذا العهد ،
ناقلًا آياها عن (اقرب الموارد) للشرتوني ، أو عن كاتب عثر عليها في المعجم المذكور ، فهي لفظة
لم ترد في كلام فصيح ، ولا ترد على أسلة مؤلف بليغ ثقة يعتمد عليه . وصوابها (النَّضْد) ،
كما ذكرها ارباب الدواوين اللغوية ، وهي من باب تسمية الشيء باسم المصدر . وما هذه
الأشامة في جبين الحسنة !
الاب انستاس ماري الكرمل

بَابُ الْإِخْبَارِ الْعَلِيَّةِ

الطريق الصمراوي العظيم

بين بغداد وساحل البحر المتوسط

لجعل الطريق ميسوراً في كل حالة من احوال
الجو المتقلبة
ومن هذا الطريق جزء يمتد ستة وخمسين
ميلاً في ارض شرق الاردن

والمشروع الآن يقتضي عمل ١٥٠٠ رجل
وشغل آلات خاصة بتمهيد الطرق ورصفها ولو
اريد تنفيذ المشروع قبل الحرب وقبل ان
تستببط هذه الآلات لاستغرق العمل نشاط
الوف من الرجال

وقد كان الميجر برجز مديراً للعمل منذ
شرع فيه في يونيو ١٩٣٨ ولكن خلفه أخيراً
الميجر همند احد الضباط المهندسين الملكيين

وتقدر نفقات هذا الطريق بستائة الف
جنيه توفى به من الحكومة البريطانية
وهذا الطريق يصل بغداد بحيفا ومنه
تمتد فروع تصله بالقاهرة والقدس ودمشق
الشام وعمان وليس ثمرة يرب في ان الطريق الاصلي
وفروعه ستكون شبكة من اهم شبك المواصلات
في العالم تسير عليها مركبات البضائع من بلدان
الشرق الادنى الى البحر المتوسط

نشرت مجلة « بريطانيا العظمى والشرق
الادنى » مقالة تحتوي على حقائق طريفة عن
الطريق العظيم الذي يمد من بغداد الى
ساحل البحر المتوسط

في هذه المقالة — وهي لمكاتب خاص —
ان الحكومة البريطانية مشغولة الآن بمد اعظم
طريق وضع المهندسون البريطانيون تصميمه
وقاموا بانشائه في بلاد صحراوية ومتى تم
كان مرحلة حاسمة في تاريخ النقل الميكانيكي
ونصراً جديداً للنقل بالسيارة على سكة الحديد
لأن مشروع هذا الطريق كان قد أقر قبل
الفراغ من درس مشروع سكة الحديد

هذا المشروع تقوم بتنفيذه وزارة الحربية
البريطانية نائبة عن وزارة المستعمرات
البريطانية وتعاونها في ذلك حكومات فلسطين
وشرق الأردن والعراق

وينتظر ان يكون طول الطريق ٦٠٠
ميل وسيدهن سطحه كله بالاسفلت فيغدو
بذلك أطول مضمار سباق في العالم
وقد بنيت جسور (كباري) فوق مجاري
الماء في الصحراء والمهندسون يعملون كل مايجب

شبكة الطرق في الشرق الأدنى

عود الى سياسة الامبراطورية الرومانية

القواعد الاساسية فيها ان يُعنى بمد الطرق العسكرية العظيمة من روما الى اقصى الحدود في الشرق والغرب وتستعمل هذه الطرق في أيام السلام في النقل والانتقال ولا يزال جانب من هذه الطرق الرومانية قائماً في البلدان الشرقية ورومانيا وسواها وفيها دلالة على عظم الاتقان الذي كان يلزم صنع هذه الطرق ومدها والاهتمام بصونها

وفوائد هذه الطرق في عهد السلام أعظم منها في الحرب لانها تقرب ما بين الاقطار وتهون على الشعوب مهمة الاتصال . وهذا في مقدمة ما يحتاج الشرق اليه علاوة على ما يستطيع من تسهيل التبادل وقد اخذت العيون تفتح لرؤية مزايا هذا التبادل في عصر اشتد فيه التنافس التجاري واقامت فيه الحواجز الجمركية في معظم البلدان

ومتى استقر السلام الأوروبي ولم يبق في حدود مصر الغربية ما يخشى منه على سلامة البلاد لا يبعد ان يمد طريق صحراوي متقن آخر من مرسى مطروح الى الحدود الغربية يتصل بالطريق الايطالي العظيم وهو متصل بالطرق البديعة التي أنشئت في تونس والجزائر والمغرب الاقصى والتي شهد لها جميع الذين سافروا بها

روى مكاتب المقطم من بيروت ان النية متجهة في المنطقة السورية المشمولة بالانتداب الفرنسي الى مد طرق كبيرة تصل بالبلدان المجاورة لكي تسهل هذه الطرق الاعمال العسكرية وتساعد على استيفاء وسائل الدفاع اذا نشبت حرب

ومن الغريب ان يكون الخوف من الحرب وسيلة من وسائل الاصلاح وهذا عين ما حدث في مصر فان هذا القطر من افقر الاقطار الى الطرق الحديثة حتى انه لا يضارع الاقطار الشرقية المجاورة له من الشمال والغرب فلما سرى الخوف من وقوع حرب وقضت الحكمة بالاستعداد لها عمدت مصر الى مد طرق عسكرية واخذت تصلح الطرق العامة ولم تكف بالطرق الداخلية بل عمدت الى اصلاح الطريق الصحراوي الذي يصلها بفلسطين

ومتى فرغوا من هذا الاصلاح صار في طاقة المرء ان يسافر من الاسكندرية او سواها من مدن القطر الى اقصى بلدان أوروبا بالسيارة بالطريق الممتد من السويس او الاسماعيلية الى حدود فلسطين مخترقاً فلسطين الى لبنان فسورية والاناضول ومنه الى بلدان البلقان في الطرف الجنوبي الشرقي من قارة اوروبا

فالشعوب تعود الآن الى مثل سياسة الامبراطورية الرومانية وقد كان في مقدمة

تكتيكات الغواصات

ان تقلهم بسهولة ولكن كثرتهم هذه افضت الى استهلاك الهواء الذي في الغواصة

وقد جرى الانكليز على عاداتهم من التوسل بهذه الحوادث المحزنة الى كشف النقاب عن عللها لاجتنابها وهي مهمة شاقة لأن معظم الذين كان في استطاعتهم وصف الحادث واسبابه دفنوا في ضريحهم المائي في قعر البحر وانما قيل ان العلة الكبرى في غرق الغواصة ان ماء البحر تطرق الى نصفها الأمامي بفتح باب من أبواب أنابيب الطريد ولكن الذي يتعين تحقيقه هو هل كان فتح الباب لخلل في صنع الغواصة او لخطأ بشري. وفي الحالتين كيف يمكن اتقاء تكرار هذا الخطأ

غير ان جزع الأمة وأخطار « المهنة » لن تحول دون المضي في صنع الغواصات وسواها من معدات الهلاك والدمار ولكن الذي يستغربه الباحث مع هذا كله ان تجزع أمة برمتها لحادث من حوادث القضاء والقدر ثم تعتمد هذه الأمة ومثيلاتها الى اعداد معدات حرب قد يكون طعامها ملايين من الرجال والنساء والاطفال علاوة على الاموال وثمار قرأح العالم في جميع هذه القرون الماضية

غرقت الغواصة سكوالوس الاميركية وغرقت بعدها الغواصة ثيتس الانكليزية وثم وردت الانباء بغرق غواصة فرنسية في الشرق الأقصى وقيل ان عدد الذين غرقوا بها ٧٧ وقيل انه لا يرجى نجاة احد منهم لان الغواصة غرقت في ماء عميق

وعرت بريطانيا العظمى هزة من الحزن لغرق الغواصة ثيتس لم يسبق ان عراها مثلها قبلاً الا عند احتراق البلون الكبير ١٠١ في فرنسا

ومما زاد حزن الانكليز عجزهم عن انقاذ الغواصة او من كان فيها في حين ان الاميركيين استطاعوا بمحض ذلك وعلل هذا الفرق بالفروق التي في الحالتين فقد غرقت الغواصة ثيتس في خليج لفرپول وهو مشهور بشدة تياراته وعواصفه وارتفاع المد فيه فحالت هذه الامور دون النجاح في اعمال الانقاذ غير ان الناقدين قالوا اذا كان الأمر كذلك فلماذا وقع الاختيار على موضع كهذا لامتحان الغواصة ولم يختار للامتحان مكان ليس فيه مثل هذه الصعوبات ومما زاد في نكبة الغواصة الانكليزية ان عدد الذين كانوا فيها بلغ نحو ضعف العدد المقرر لها من الضباط والجنود وكان في طاقة الغواصة

صناديق من الرصاص لحفظ السرايوم

قنبلة ونثره استهدفت للخطر ألوف من الخلائق وهذه المستشفيات هي سنت برثوليو ومونت فرنون ومدلسكس ورويال كنسر

يحفرون في لندن أربع آبار في اربعة من أكبر مستشفياتها ويطنونها بالصلب ليخزنوا فيها الراديوم الذي في المستشفيات لانه اذا اصابته

معمل الطبيعة في معهد الراديوم في ليفربول
لمندوب احدى الصحف ان في معده ١٦٦
غرام قيمتها ١٢ الف جنيه فاذا اصابها قنبلة
ونثرتها فقد يقتل هذا الراديوم ١٦٠ الف نسمة
فان جزءاً من مائة من المليمغرام قد يقتل الذي يتنفسه
ويحفظ الراديوم الآن في صناديق لها
جدران من الرصاص سمكها ٦ بوصات وهذه
الصناديق موضوعة في غرفة جدرانها من
الرصاص كذلك

وسيحفرون مثل هذه الآبار في مستشفيات
بريطانيا الاخرى وطلبت لجنة الراديوم الوطنية
الى الاطباء ورجال الشركات التجارية الذين
عندهم راديوم ان يمسحوا سجلات بما عندهم
حتى اذا شمرت الحرب ارسلوا ما عندهم من
الراديوم الى اقرب بئر ليحفظ فيها فلا يبقى
عندهم منه الا ما يحتاجون اليه للعلاج
وفي بريطانيا كلها نحو ١٢٠ غراماً من
الراديوم قيمتها ٨٤٠ الف جنيه . وقد قال مدير

توضيح المصطلحات الطبية في العربية

في لجنة دائمة تجتمع بالقاهرة شهراً في كل
سنة على نفقة تلك الحكومات لبحث المصطلحات
العربية المقترحة بواسطة اللجان المشار اليها
او الواردة في المعاجم الطبية العربية والبحوث
اللغوية الطبية في مختلف البلاد واختيار أصلها
للاستعمال

ثالثاً — ان تكون قرارات اللجنة
الدائمة المشار اليها معترفاً بها للاتباع في جميع
المعاهد التعليمية والطبية في الدول المشتركة
بحيث تتوحد المصطلحات الطبية العربية في
جميع معاهدها وبالتالي في جميع مؤلفاتها
ومجلاتها وعلى ألسن أطبائها

رابعاً — ان يكون انعقاد اللجنة الدائمة
في كلية الطب او مجمع فؤاد الاول اللغوي
بالقاهرة وتتولى الجمعية الطبية المصرية الاشراف
على سكرتيرية اللجنة وتتحمل وزارة المعارف
المصرية النفقات الخاصة بالسكرتيرية والمراسلات
والمطبوعات التي تصدرها اللجنة

وافق مجلس الوزراء على مذكرة لوزارة
الخارجية قالت فيها ان الجمعية الطبية المصرية
طرحت موضوع (توحيد المصطلحات الطبية
في اللغة العربية) على مؤتمرها الاخير الذي
عقدته في اوائل سنة ١٩٣٨ في بغداد فأصدر
قراراً اقترح فيه مقترحاً فصلت الجمعية الطبية
قواعده بما يلي :

ان تصل الحكومة المصرية بحكومات
الاقطار العربية في الشرق الادنى للاتفاق
على ما يأتي بصفة رسمية

اولاً — ان تؤلف كل منها في بلادها
لجنة من الاطباء واللغويين للنظر في موضوع
توحيد المصطلحات العربية للعلوم الطبية اي
اختيار افضل تلك المصطلحات للاستعمال
وبراعى في اختيار هذه اللجان ان تمثل فيها
الجمعيات الطبية المختلفة

ثانياً — ان تنتدب كل من تلك الحكومات
من اعضاء اللجان المشار اليها عضوين للاشتراك

النور الكهربائي البارد

في معرض نيويورك الدولي

لمعرض جندي

المؤرخ يونيو سنة ١٩٣٦ إنه اخترعت مصابيح كهربائية للزينة سميت بالمصابيح المتألقة . وهي ذات قوة ضوئية تفوق قوة المشاكي^(١) الكهربائية الملونة بالالوان المختلفة من خمسين مرة الى مائتي مرة . وقوام نورها ، الاشعة التي فوق البنفسجية والمعروف أن تلك الاشعة ، تضع عادة بلا جدوى لأنها خفية . ولكنها تستحيل ضوءاً جلياً ملوناً بالوان مختلفة ، وذلك بمسحوق كيميائي يُغشى به باطن الانبوب الزجاجي لمصباح بخار الزئبق

وقالت مجلة خلاصة العلوم الانكليزية المؤرخة في يولييه ١٩٣٨ بعنوان (مصابيح تولد نوراً كنور الشمس) ما يأتي : — اعلنت حديثاً شركتان أميركيتان وهما وستنجهوس الكهربائية الصناعية ، والكهربائية العامة ، في وقت واحد انهما قد اخترعتا نوعاً جديداً من المصابيح الكهربائية يستعمل فيه الضوء الذي فوق البنفسجي ، مشفوعاً بمواد كيميائية متألقة تُغشى بها بواطن زجاجات المصابيح المشار اليها وذلك لتولد ضياءً دريئاً او ملوناً ذا قوة تعادلها في المصابيح الكهربائية الحالية ذات الفتائل ٢٠٠ مرة

وتختلف هذه المصابيح اختلافاً كلياً في

(١) المشكاة — كل ما يوضع فيه او عليه المصباح والجمع مشاك . وعندي ان هذا اللفظ خير ما تترجم به كلمة bulb الانكليزية .

جاء في مقالنا على النور البارد الذي نشرناه في مقطف اكتوبر سنة ١٩٣٦ ما يأتي (نقلاً عن السفر العلمي النفيس الذي أصدره الاستاذ فرانس الاميريكي)

« ومن البديهي أننا اذا أزمعنا تحسين قوة نورنا الكهربائي تحسيناً يئناً ، وجب علينا التذرع بذريعة عدا تبيض النور بالحرارة لأن اديسون حينما صنع مصباحه الكهربائي الأول في سنة ١٨٧٩ ، أحدث اختراعه هذا ، انقلاباً كبيراً فجائياً . ولكن ذلك ليس سبباً لنعتقد بأنه لا يوجد خير من مصباح اديسون الناجح . واذا نحن اقتدينا بالحشرات أو بسمك أعماق البحار ، كان لا بد لنا من استعمال طريقة الضوء المصحوب ببعض التفاعلات الكيميائية Chemiluminescence ولما كانت اليراعة ، زعيمة ذلك الضوء ، فهي الأمانة على سرّه ، ولا تقبل البوح به ، وإن كان بعضه قد ذاع . ومتى حُلّت معضلة الضياء المصحوب بالتفاعل الكيميائي فانها لا تصبح مصدرراً صالحاً للنارة لأجل البيوت إلا اذا وجد امرؤ ذو عبقرية قليلة يمكنه تحسين ذلك المشروع »

ويبدولنا الآن أن المهندسين الكهربائيين ، والكيميائيين الاميركيين الحذاق ، قد وفقوا لحل هذه المعضلة على الاسلوب الآتي : —

قالت مجلة العلم العام الاميركية في جزئها

استعملت الاشعة التي فوق البنفسجية ، لكشف اسرار الجرائم ، وذلك بالتألق الذي تحدثه في المواد التي تسلط عليها (راجع مقالنا في هذا الموضوع في مقتطف يناير سنة ١٩٣٢) ثم قرأنا في مجلة العلم العام الاميركية في جزئها المؤرخ ابريل سنة ١٩٣٩ النبأ الآتي : —

انتجت المعامل الكيميائية الاميركية ، انايب سحرية للاضاءة الكهربائية بالنور البارد ، تسامي قوس قزح في الوانهِ وتنافس اليراعة في قوتها المضيئة . وذلك لتزيين المشاهد الليلية ، زينة رائعة جديدة تأخذ بمجامع القلوب

قضى مهندسو المباحث في الشركة الكهربائية الاميركية العامة ، سنين يخترعون ويحربون التجارب المختلفة ، حتى تيسر لهم ابراز ذلك الضرب من المصابيح وتقديمه للاستعمال ، مطلقين عليه اسم المصابيح المتلألئة . وهي تمثل قصارى القواعد الجديدة للاضاءة الكهربائية . فأتيج لهم بهذه الوسيلة خفض نفقات الاعلانات المضيئة ذات الالوان المختلفة خفضاً يسهل معه تعميمها في كل مكان كما هي مستعملة حالاً في المسارح ويرى الآن زائرو معرض كاليفورنيا الدولي باكورة هذا الضياء الحديث ، حيث يشاهدون الانوار الفياضة ، التي تنبعث من سطح الارض « كالتي تضاء بها تماثيل المرحوم سعد باشا زغلول وغيره من عظماء تاريخ مصر في القاهرة وغيرها » الى مباني المعرض المغشاة بمادة تشبه الطلق ، فتسطع المباني كل ليلة بانوار زرقاء تنبعث من المصابيح الفياضة النور التي

قاعدة تركيبها ، عنها في انواع المصابيح المنتشرة الآن . اذ تحول الضياء الذي فوق البنفسجي غير المنظور ، الى ضياء دري أو ملون ، وذلك بالتألق . وقوة مشايكها تفوقها في المصابيح الدرية الحالية بمراحل . ومن هذه المصابيح المتألقة ، طراز يولد ٦٠ شمعة من النور ، من كل واط في الزجاجات التي حجمها ٣٠ وُط .

على حين ان الزجاجات المعادلة لها في المعيار المصطلح عليه ، تولد ٣٠ شمعة من كل وُط . وثمة نموذج آخر منها يولد ضياءً ، يكاد يضارع نور الشمس سناءً وهو اقصى ما بلغته وسائل الاضاءة الصناعية اتقاناً . وتطوي المساحيق الكيميائية المنشأة بها جدران الزجاجات (المشايك) على سرتلك الوسيلة الضوئية الجديدة . ومتى يطلق بُار كهربائي في بخار الزئبق المضغوط ، ضغطاً خفيفاً ، يولد اشعاعاً خفيفاً فوق البنفسجي ، ذا قوة عظيمة . واين يصبوب الاشعاع الذي فوق البنفسجي ، نحو المساحيق الكيميائية ، يستحل نوراً ظاهراً ويتوقف لونه على نوع المواد الكيميائية الخاصة التي تستعمل ويكون ذلك التحول ابضاً ، شديداً جداً ، ويحتجب معه خسائر الحرارة الشديدة التي تولد من طراز المصباح الكهربائي الدري الحالي

وهذه تختلف عن بعض انواع مصابيح الزئبق اذ تصل الى ذروة سناها في بضع وان . وقد كان اختراع هذه المصابيح المتألقة ، مصدرراً لأعمال جديدة ، مفيدة من كل الوجوه ، في الانوار التي تحتاج اليها الزينات . وقد

تسدد إليها ، مؤلفة من ٢٣٠٠ مصباح من ذلك الطراز . وفي وسع خبراء الاضاءة ، ضم تلك الاناييب ذات الالوان المتلاثلة ، بعضها الى بعض ، ومثلهم في ذلك مثل المصور الذي يمزج الصبغات بعضها ببعض ، ليصور الصورة المبتغاة ، فيولدون منها ألواناً شتى . فتم لهم ، على هذا النمط ، فتح ميدان جديد للاعلانات الكهربائية ، متدرجين فيها من اصغر الاحجام الى اضخمها . وتستعمل تلك المصابيح ، في الزينات المختلفة الالوان ، فتبدو لناظرها كأنها قوس قزح ، ويمكن الانتفاع بها انتفاعاً مدهشاً ، في البيوت والمحازن ودوائر الاعمال والفنادق والمسارح وعربات السكك الحديدية

وسر هذا المصباح الكهربائي الجديد المتلألئ ، في انبوهه الزجاجي « وطوله العادي ١٨ عقدة وقد يبلغ ياردة كاملة » ثم في باطنه المغشى بالمواد الكيميائية المسحوقة ، وهي ذات لون أبيض يقق كالثلج . وحينما يُسَلِّط عليها التيار الكهربائي ، تتلألأ مثل الصبغات المضئة التي تصبغ بها أثاثات المسارح ، وذلك بتأثير انطلاق الاشعة التي فوق البنفسجية المتولدة في الانبوب ، من بخار الزئبق . ولهذا المشروع نفع عظيم في الاضاءة ، بحيث أن المصباح المتلألئ ، يفوق نظيره في الاضاءة من المصابيح الكهربائية المشابهة له في اللون ، بقدر يتراوح بين ٥٠ مرة و ٢٠٠ مرة . مع أنه لا يستفد من الطاقة الكهربائية على شكل حرارة الاً قدرأ طفيفاً لا يذكر بجانب ما تستهلكه

مشاكي المصابيح المألوفة او اعلانات غاز النيون . وتم الى الآن صنع خمسة ألوان من تلك الاناييب وهي الاخضر والأزرق والقرقلي والذهبي والاحمر . وتبدو للرائي الاناييب جميعها عديمة اللون حتى تارة ، عدا النوعين الآخرين منها وهما اللذان يستعمل فيهما الزجاج الملون . وتتوقف ألوان اضوائها على المواد الكيميائية التي تستعمل لطلي بواطن اناييبها . ومنها الاناييب البيضاء والاناييب التي تشبه ريع النهار . والأولى منهما تساعي النوع السخن من انواع الضياء الصناعي . ويتولد النوع المائل لريع النهار ، من خلط مساحيق كيميائية مختلفة ، خطأً متقناً . وقد تبين أنه اقرب الاصناف الصناعية شهاً بضياء النهار الطبيعي . ولذلك انتشر انتشاراً واسعاً في الاعلانات الملونة عن المنسوجات ، وذلك بصنع الرسوم المزخرفة ولاظهار محاسن منتجات المصانع . وانما تحتاج المصابيح المتلاثلة عند تركيبها ، الى تجاوب كهربائية ، ذات اشكال صالحة لها . والى مفاتيح كهربائية محكمة ، ذات ملفات دائمة للسيطرة على التيار وذلك لانها في غنى عن جهاز خاص أو اسلاك لانتارتها . ويستهلك المصباح المتلألئ ١٥ واط الى ٣٠ واط . ويضاء إما بالتيار المنزلي وإما بالتيار الشديد الذي يسري في الاسلاك التجارية الممتدة من مصانع توليد القوة الكهربائية . واذا أحسن استعمال هذه المصابيح أضاءت زمناً أطول مما تقتضيه المصابيح

المعادن المتلاثة ومنها سلفيد الزنك وطنجستات الكالسيوم وسليكات الزنك والكاديوم ، تتألق اذا خلطت بها مقادير طفيفة جداً من المعادن غير النقية ، وبالتوسل بهذا الاكتشاف مقرونأ بالمصاهر (الافران) الكهربائية التي توجه حرارة شديدة جداً الى تلك العناصر المؤلفة للخليط المعدني ، يتاح لمهرة الكيميائيين تركيب فصفور صناعي يفوق افضل انواع الفصفور الطبيعي للاستعمال في تلك المصاييح الجديدة

المنزليه المألوفة . وقد ساهم الكيميائيون مع خبراء الهندسة الكهربائية في اتقان صنعها وذلك منذ تجربة اصنافها الابتدائية في أوائل سنة ١٩٣٦ حتى بلغت شأوها الحالي . وكانت أنواع التبر النادرة الوجود ، المصدر القرب لتركيب المواد الكيميائية المضئنة او الفصفور اللازم لها . وكان بعضها يفلح والبعض الآخر يخفق من غير ان يفقه الخبراء علة اخفاقه . فدل تحقيقهم أخيراً على ان كثيراً من

المسروبات الزجاجية

في معرض نيويورك العالمي

الخيطوط ، ثم تنسج . وتمارس عملية تلوينه حينما تكون عناصره في البوداق ، اذ تمزج العجينة بالصبغات الزرقاء والقرنفلية وغيرها من الالوان . وخيوط الزجاج من اخف المواد ، اذ تفوق في خفتها ، زغب ريش بط المحيط المتجمد الشمالي ، وخواصها العازلة ، عظيمة جداً . وهذا مما يجعلها نافعة جداً لعزل الاسلاك الكهربائية ، على اختلاف انواعها . كما انها ترفع في حيطان وسقف المباني الداخلية كعازلة للحرارة وتستعمل في صنع قبعات النساء ولحياكة الشيلان والطنافس . ونفقات صنعها معتدلة اذ تستطيع المغازل والمناسج العصرية غزلها ونسجها دون ادخال اي تعديل في الاجهزة ومن غير حاجة الى اصابع . وقد وصف المنسوجات الزجاجية وصفاً شافياً رئيس تحرير المقتطف في جزء مايو سنة ١٩٣٩

قد اصبحت البوتقة التي تصهر فيها المواد الصالحة لصناعة القناني ، التي يجلب لك فيها الحليب صباحاً ، مصدراً ايضاً لصنع ملابسك . وذلك ان عجينة الزجاج ، التي تحوّلها الى غزل ، اُمتن اضعافاً من مواد النسيج المعادلة له حجماً ، يمكن استعماله كغزل القطن أو الصوف

وتقوم بصنع هذا الضرب من الزجاج ، شركة أوز بولاية الينوي بالولايات المتحدة الاميركية وقد عرضته في معرض نيويورك العالمي ، والعناصر التي يؤلف منها ذلك الغزل الزجاجي هي عنها المواد المركبة منها زجاجة اللبن غير ان المقدار الذي يقصد استعماله غزلاً عند انتشاله من البوداق ، يشرع تفاخو الزجاج في نفخه وتحويله الى خيوط أدق من الشعر البشري ، عشرين مرة ، فتغزل تلك

مكتبة المقتطف

فرعون الصغير

تأليف محمود تيمور — ١٣١ ص، القطع المتوسط — مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر ١٩٣٩ — ثمنه ٨ قروش صاغ مطبوع طبعاً دقيقاً على ورق ممتاز

بهذه المجموعة من الأقاصيص تأخذ طريقة الاستاذ محمود تيمور ، على ما يبدو للناقد ، في جهة جديدة . وذلك ان تيمور كان منصرفاً الى الطريقة الواقعية ، تشهد بذلك قصصه السابقة أمثال « ابو علي عامل ارتيست » و « الاطلال » و « الشيخ عفا الله » . والواقعية عند تيمور تتصل بأسلوب (جي دي موباسان) الفرنسي من حيث بناء القصة وسرد حوادثها ووزن تفاعلها . وقد طغت الواقعية على أدبنا بعد الحرب الكبرى ، بل عند السأم من ابتداعية (رومانسية) المفلوطي وأضرابه ممن بكى كثيراً واستبكى . هذا الى جانب إهمال تيمور لصقل العبارة ولتغليبه العامية على الفصحى أحياناً ، ومرد هذا الى ما صنعه محمد حسين هيكل في « زينب » وما رضي به ادباء المهجر في اميركا

في « فرعون الصغير » تخف وطأة الواقعية بحيث لا تملك على بعض القصص مداخلاً ومخارجاً . ففي القصة الاولى يشغل الخيال المكان الاول حتى انه يرد القصة الى لون معروف هو اللون التخيلي *romanesque* ، وفي قصة « المخ العجالي » يسطو اللون الباطني المستمد من علم النفس الفرويدي *freudisme* على المجرى الواقعي للحوادث والاحوال . ثم ان الأداء في هذه المجموعة يأخذ في أساليب الترسل الرفيع والتعبير المتخير ، وأما العامية فلا تكاد تصيب لما أثراً وما ورودها غاية بل هو وسيلة لتلوين مشهد وتلطيف إحساس . ولتأمس طلب الانشاء الرصين في التصدير الذي عمله المؤلف ، وعنوانه : « المصادر التي ألهمني الكتابة » وهو جم الفائدة من حيث انه يبسط كيف اقبل المؤلف على التأليف القصصي وبأي أنواع التأليف تأثر وعلى أي أسلوب جرى فيه . بقي أن للناقد ان يسأل نفسه كيف تغيرت طريقة محمود تيمور بعض التغير وله ؟ والجواب غير ميسور اليوم ، لأن مثل هذا يرجع الى تاريخ الأدب بالنظر في تحول نفسيات المنشئين ومجاوب النزعات بين الادباء ، وحسبنا هنا تدوين ذلك . وان اذن لي ان أرى في ذلك رأياً قلت إني جد فرح بإفلات طريقة تيمور من قيود الواقعية الجامدة ، لان الفن الناض لا يلفه محيط منظور ولا تحصره حوادث معينة ، وفي توطئة « مفرق الطريق » تفصيل ذلك وبعد فان هذه المجموعة الحقيقة بالعبارة الشديدة لتدل على أن فن الاستاذ تيمور قد استوفى عناصره من جهة السرد ولم الفكرة والخروج من الحوادث بالعبارة التي تحرك النفس الشاعرة

بشر فارس

تاريخ الطب والصيدلة والكيمياء

عند قدماء المصريين

تأليف الاستاذ عبد العزيز عبد الرحمن صيدلي اول بمستشفى الدمرداش باشا
في ٢٨٦ صفحة . طبع بمطبعة الاعتماد بالقاهرة

الطب والصيدلة والكيمياء في طليعة العلوم التي ساهم فيها المصريون القدماء بقسط كبير . وقد كشف تلك الناحية العلمية الاستاذ عبد العزيز عبد الرحمن في كتابه النفيس فتكلم عن بدء مهنة الطب منذ نشأة الانسان وتدرج في تتبع أساليب تقدم العلاج في العصور الاولى وفي عصورها المتوالية . واستخلص مجموعة الأدوية وطرق استعمالها وكيفية تحضيرها ، والتقاليد التي كان يؤديها كهنة الطب والصيدلة في صناعتها وتعاطياها . وبالاختصار فقد أظهر المؤلف ما كان للطب والصيدلة عند قدماء المصريين من أثر في علوم اوربا حتى القرن الثاني عشر .

وفي الفصل الاول الذي لخص فيه المؤلف تاريخ مصر الفرعوني ذكر أهم الكتب الطبية القديمة والتي كان أقدمها الرسالة الطبية التي ألفها الملك « تن » ثاني ملوك الأسرة الأولى وهي الرسالة التي جددت كتابتها في عهد « رمسيس » الثاني ، وعنوانها مكتوب في الصفحة الخامسة عشرة من كتاب الموتى

وتناول الحديث عن معاهد العلاج التي عرفها وادي النيل قبل ان تعرفها أقدم الدول ، والمسابك الطبية التي دلت الحفريات العلمية عليها . ثم تدرج منها الى الحديث عن عقائد المصريين واتصالها بمظاهر حياتهم ومنها العلاج والتحنيط وورق البردي ، واحتب الله الطب عند قدماء المصريين الذي عاش أثناء الأسرة الثالثة حوالي عام ٣٥٠٠ قبل الميلاد وكان وزيراً لزوسر ومن أهم فصول الكتاب القراطيس الطبية الذي عني المؤلف ببحثها ودراستها وخرج منها بان قدماء المصريين كانوا يرتبون طرق العلاج بحسب الاعضاء . وكانت القراطيس عبارة عن وصفات طبية جمعها الاطباء في القرى والمدن وتناقلوها من جيل الى جيل . وكان يكتب اسم المريض بالمداد الاحمر والوصفات بالمداد الاسود وامامها مقاديرها بالمداد الاحمر . وتكلم على المادة الطبية والنباتات الطبية القديمة وأتى على شيء من تاريخها ، وعلى علاقة الدين بالنباتات عند قدماء المصريين . وذكر ان الحقن هي اختراع مصري قديم كذلك

ثم انه تكلم على البخور والعمولات وأتى ببعض شذرات من التوراة وعلى ماء هاتور العظيمة ووصفتها التي وجدت منقوشة على اثني عشر عموداً في معبد « ادفو » كما تكلم على مرهم التجميل والكحل والحناء والاحمر

وانتهى هذا البحث بترجمة حياة المؤلفين القدماء الذين اعتمد عليهم المؤرخون في الدراسات الاثرية لفنون الطب والذين بقي أثرهم قروناً في اوربا، وكانوا همزة الوصل بينها في العصور الوسطى والقديمة الاثرية وبين العصور التي تلتها حتى القرن الثاني عشر تقريباً
ثم تكلم على الصناعات المصرية القديمة باعتبارها اساساً لعلم الكيمياء الحديثة واتى برسم بعض الاجهزة التي كان يستعملها قدماء المصريين ، ونحدث في افاضة عن المعادن في مصر وتاريخ استغلالها ، وفي الاحجار الكريمة وشبه الكريمة ، وتكلم على انواعها وألوانها وعلى الفخار والصيني والزجاج المختلف الالوان ومواد البناء والالوان التي لا تزال تحتفظ ببريقها وما عرف عن تركيبها ، كما تكلم على المشروبات الروحية

ومن طريف ما كتبه في باب النباتات الطبية عن اللوتس الابيض الذي ظهر على الآثار منذ الأسر الأولى ، وقد عثر على زهور كاملة وحافطة لحالها تماماً في المقابر كزهورها التي انتظمت في اكيليل غطيت به مومياء رمسيس الثاني وعثر عليها في مقابر كاهون (الاسرة الثانية عشرة) وهذا النبات منصوص عنه في القراطيس ويستعمل في الطب كمبرد ، وكانت النساء يحملن دائماً ازهاره في زيارتهن ، وكن زين به عصابات رؤوسهن
وهو لذلك كثيراً ما رآه في الآثار لا سيما في عهد الرومان حين كانت المرأة تلبس عصابة من الذهب وتلف حولها سيقان زهور وكانوا يأكلون من النبات بصيلائه سواء مشوية او مسلوقة ، كما كانوا يأكلون البذور وكانوا يصنعون منه الحلوى كما ذكر هيرودوتوس وكما كتب في القراطيس المصرية

والاسم المصري للوتس الابيض « سوشين » لا يزال يتردد حتى اليوم بالاسم العبري شوشان والعربي سوسن كلاهما مشتق من الكلمة المصرية ولكن هذه الاسماء كلها لا تدل على شيء واحد في الحقيقة فانها ماعدا المصري تعني الزنبق او السوسن
واسماء الاعلام سوزان الفرنسية ، وسوشان العبرية ، وسوشن المصرية (الاسرة الثانية عشرة) كلها قريبة ومشتقة من الاسم المصري القديم ويوجد نفس الاسم في اللغة اللاتينية واليونانية والاسم المصري الحالي بشنين يمت بصلة كبيرة الى اصل المصري القديم
وينتهي الكتاب بفصل عن الموازين والاوزان وكيف كان يعنى قدماء المصريين بدقة الموازين وتوفر شروط الحساسية بها واتى برسم جميع اشكال الموازين كما ظهرت في النقوش ، كما اتى برسم الموازين الموجودة بالمتحف المصري وتكلم عن محاسبة الارواح ووزن الروح

ومما بهم الإشارة إليه أن هذا الكتاب علاوة على كونه ضرورياً للطبيب والصيدلي والكيميائي فإنه معين ونافع لمن يريد دراسة تاريخ مصر القديمة من ناحية العلوم ولشوقها ولمن يريد معرفة المصريين وصناعاتهم وما كان عليه قدماء المصريين من مدنية ورقية وبعدد الكتاب بحث علمي قيم سد فراغاً ملموساً ، ولعل المؤلف يوفق الى إخراج اجزاء تالية فيستكمل الحلقة حتى يصل الى تاريخ هذه المهن في العصور الاخيرة ولقد وفق المؤلف في بحثه وفي تنسيقه للكتاب وفي اخراجه في لغة عربية سليمة فلما توافر لرجل الفن . وانما لهنته بمجهوده الكبير وزجوان بمجد التشجيع الذي يستحقه ...

عيوب الحكم في مصر

تأليف حسن الجداوي الحامي — صفحاته ١٥٠ قطع صغير

المقدمة بقلم الدكتور حافظ عفيفي باشا

ليس نظام الحكم في امّة ما من الاشياء التي تستطيع ان تبلغ مرتبة الكمال ولكن هناك من شاسع بين الكمال المطلق في نظم الحكم وبين اتصافها بعيوب في الوسع اصلاحها . والاستاذ الجداوي من النواب المصريين الذين يرون العيوب ويغنون الاصلاح . وعفيفي باشا ومؤلف الكتاب على حق في قولها ان تبين العيوب توطئة للمطالبة باصلاحها . وفي هذا الكتاب معالجة طيبة وان تكن موجزة لبعض هذه العيوب في مصر

العيوب الاول الذي يستغرق الجانب الاول من فصول الكتاب هو ما يتعلق بتطبيق النظام الثنائي من ناحية الناخبين ومن ناحية الزعماء والاحزاب . « فأول عيب من عيوب الحكم في مصر هو الصعوبة التي يجدها الناخب المصري في الاختيار . صعوبة تبدأ به وبثقافته وبترتيبه السياسية وتمتد الى المرشحين أنفسهم وما يبنون عليه طلبهم الثقة بهم » صفحة ٢٦

وعلاج هذا العيب في رأيه « يأتي مع الزمن . انتشار العلم وانتشار التربية وتقوية ملكة الحكم على الاشياء ، وفهم الناخب ان يرتكز في حكمه على ابحاثه الشخصية والأثق الا بعد الاختبار والاعتبار بعظات الماضي وهذه صفات لا تتكوّن في شعب الا في مدرسة الحياة السياسية ... الطويلة التي تمتد من جيل الى جيل ... »

اما الاحزاب فننقطة في الاغراض الاساسية — الحياة البرلمانية على اساس الدستور القائم . وان المعاهدة مع الانكليز — باستثناء حزب واحد — هي خير اساس تبني عليه مصر صرح استقلالها . وليس . لحزب من الاحزاب سياسته خاصة بشأن الفلاح او العامل او التاجر او الموظف

او المرأة ولا بشأن أية نظرة اجتماعية، ولا لها مبادئ اقتصادية يختلف فيها حزب عن حزب— وهذا يجعل مهمة الناخب صعبة والمشتغل بالحياة النيابية مرهقاً فلا يكاد يدري على أي أساس ينتمي لهذا الحزب او ذاك الا الميل الخاص للزعيم او الصداقة للاقطاب . وفي هذا يرى المؤلف تفسيراً لخروج أعضاء من حزب والالتقاء الى آخر بغير ان يجدوا غضاضة في ذلك . فالتبديل شخصي لا يقوم على مخالفة المبادئ ما زالت المبادئ في جميع الاحزاب متشابهة وليس هذا كل ما يقوله المؤلف في عيوب الحياة النيابية وانما هو بعض ما يتخذه تكأة لبحث تأثير هذه العيوب في الحياة النيابية وعواقبها

وبعد ذلك يتناول المؤلف عيوب الحكم من ناحية الادارة كالا ستثناء في التعيين، وسرطان السيارات الحكومية وما ترهق به ميزانية الدولة ، والتلفونات المنزلية الموزعة على بيوت كبار الموظفين ، وداء المركزية المغالية

(وفي هذا الصدد روى رواية يصح ان تكون نمطاً . ملخصة ان مهندساً مقبلاً في احد سدود مصر رأى بيع سيارتين استهلكتا في العمل ووجد مشترياً باربعين جنياً وهو سعر ملائم فكتب يطلب الاذن فقبل له ان مصلحة النقل الميكانيكي تتولى ذلك فلتشحن السيارتان الى مصر فشحننا فكلّف شحنهما اربعين جنياً ثم بيعت بعشرة جنيهات !)

وليس الغرض من هذه المراجعة تلخيص الكتاب ، وانما التمثيل على جرأة النائب الجداوي وخلوص نيته في مواجهة مسائل تسمع حديثها في كل مجلس وأحياناً تقرأ عنها في الصحف ، ولكنه جمعها بين دفتي كتاب فكانت حكماً شديداً على الادارة المصرية . والغريب في امر علاجها ، أنها لا تحتاج الى اكثر من وزارة جريئة حازمة في معالجة معظمها العلاج الحاسم واذا كانت العيوب السياسية لا يمكن ان تعالج الا بالتزنية والاختبار خلال زمن ، فان العيوب الادارية — او معظمها — لا تحتاج في معالجتها الا الى وضع الخطة الصحيحة والحزم في تطبيقها

ومهما يكن من امر فان هذا الكتاب الصغير ، حافلٌ بدلائل الاهتمام بمسائل البلاد الداخلية الحيوية وهو امر يدعو الى الغبطة — كما يقول عفيفي باشا — اذ يجب ان يستقر في الاذهان ان اساس الاصلاح في كل بلد هو مطالبة الرأي العام والحاحه في وجوب الاصلاح والكتّاب السياسيون هم قادة الرأي العام ومرشدوه وهذا كتاب احدهم وهو جدير بالعناية

اوائل الشهور العربية

تأليف أحمد محمد شاكر — مطبعة مصطفى الحلبي — ٣٠ ص — القطع الصغير — القاهرة ١٩٣٩

للشيخ أحمد محمد شاكر ذراية واسعة بالفقه الاسلامي على العموم وقدم ثابتة في علم الحديث على الخصوص ، يشهد له بذلك ما يؤلفه الحين بعد الحين . ومن الامثلة كتابه : « نظام الطلاق في الاسلام » (مصر ١٩٣٦) ، و « مقدمة سنن الترمذي » (مصر ١٩٣٧) . وهذه المقدمة من خير ما كتب في فن الحديث لهذا العهد من جهة وصف المصادر وسياق الأدلة وإقامة المسارد واثبات المراجع ، إلى ما ذهب اليه المؤلف من العنف بمن يقلد المستشرقين ويلف لفهم غير مجتهدين وهذا الكتيب الذي بين يدينا يبحث في طريقة اثبات الشهور العربية : بالحساب ام بالرؤية ؟ ثم ينظر في اعتماد مطلع واحد لتعيين الصوم والفطر وعيد الاضحى . واسلوب المؤلف في البحث والنظر الاخذ بالكتاب والسنة ونبذ التقليد والعصية وايقار التجديد الصادق على منهاج « السلف الصالح » . وقد خرج المؤلف من وراء ذلك الاسلوب بان الشهور العربية تثبت بالحساب فلا يرجع الي الرؤية إلا حين يستعصى على الناس العلم بالحساب « كما اذا كان ناس في بادية اوقرية ، لا تصل اليهم الاخبار الصحيحة الثابتة عن اهل الحساب » (ص ١٤) ، وذلك لأن الرؤية كان يؤخذ بها ايام كانت الأمّة « أمّية لا تكتب ولا تحسب » . واما اعتماد مطلع واحد لتعيين الصوم والفطر وعيد الاضحى فالذي يراه المؤلف ويرجحه « انه يجب الرجوع الى نقطة واحدة معينة في ذلك ، اشير اليها في اصلي الشريعة : الكتاب والسنة ، وهي مكة . » وذلك استناداً الى الحديثين المرفوعين : (فطرکم يوم تفطرون) ، (الصوم يوم تصومون) وقد جاء خطاباً لأهل الحج في مكان الحج (ص ٢٧)

بشر فارس

مقدمة في الاجتماع

لعبد الفتاح ابراهيم — مطبعة الاهالي ، بغداد ١٩٣٩ — ٢٢٣ ص — القطع المتوسط

علم الاجتماع فن حديث بالنسبة الى الفنون الاخرى للفلسفة . وطريقته لا تزال موضع بحث ومراجعة ، ونتائجها في طور الاستواء والتكمن . إلا ان كتباً كثيرة ألفت فيه او على منهاجه . وليس في العربية إلا رسائل معدودة ، نذكر على وجه التخصيص : علم الاجتماع ، لمصطفى فهمي (مصر ١٩٣٨) . والكتاب يتناول موضوعات علم الاجتماع النظري فيبحث في روابط المجتمع ومقوماته وتطوره ويحلل النظريتين المثالية والمادية . ومعتمد المؤلف على بعض الاصول الافرنجية ولا سيما الانكليزية منها . ويؤخذ عليه هنا أنه كان ينبغي له ان يرجع فيما رجع الى تأليف المدرسة الفرنسية في علم الاجتماع ، وعلى رأس هذه المدرسة دوركايم Durkheim

مجموعة نادي القلم العراقي

أتحفنا نادي القلم العراقي بالثمرة الاولى من ثمار نشاطه فاذا نحن امام مجموعة ممتازة من الفصول في العلم والتاريخ والتربية والسياسة والأدب . وقد نقلنا في هذا الجزء من المقتطف احد فصلين لمعالي رئيسه الاستاذ محمد رضا الشيبني وهو الفصل الذي وضعه في « الجريطي » إمام فلاسفة الاندلس في الرياضيات والطبيعات . وقد كتب هذا الفصل النفيس على اثر ظفر الاستاذ الشيبني بنسخة من كتاب الجريطي الذي عنوانه « غاية الحكيم وأحق النيجتين بالتقديم » وتوفره على دراسته واستخراج آراء صاحبه من ثنايا صفحاته

ولمعاليه كذلك فصل في قصة فتح بغداد . ويليهما فصول لاعضاء النادي وهم في طليعة أهل العلم والفضل فتجد هنا بحوثاً في التحليل النفسي ومذهب ديوي في التربية والفلسفة للدكتور محمد فاضل جمالي . ثم بحثان سياسيان اقتصاديان في اقتصاد الوفرة واقتصاد العسر . (ولعل العسر مفضلة على الندرة في هذا المعنى) وفي الدولة بين الواقعيين والمثليين . ثم بحث وافر في مشروع التعليم الاجباري في العراق للاستاذ مقي عقراوي . ومما نريد ان نشير اليه فصل للاستاذ عبد المسيح وزير في صناعة المترجم ، ففيه لباب خبرة مترجم مجيد خبر الترجمة مدخلا ومخرجا في علوم شتى وجبذا الحال لو توسع في هذا الفصل وجعله رسالة أباح فيها ثمار خبرته للطلبة والصحافيين في البلدان العربية اللسان . وبعد فان الثمرة الاولى من ثمار نادي القلم العراقي تبشر بخير عيم للعراق وللبدان العربية . ومما يقال في الجانب المقابل لهذا اننا لم نظفر من نادي القلم المصري بشيء من هذا القبيل ، مع انه انشئ من سنوات ويضم فريقاً كبيراً من ادباء مصر وكتابها . ولعل السبب كثرة العناصر غير العربية اللسان فيه واكبر همهم الى المآدب والاحتفال بالزائرين من كتاب الغرب

الازليان (قصة حلم)

لسليم خياطة — مطابع خياطة طرابلس ١٩٣٩ — ١٦٦ ص . القطع الصغير

كتاب ظريف غريب معاً ، ينعت صاحبه بأنه قصة حلم لانه يدري ان فيه ما يخرج عن نطاق المنطق المتصل . وحسبنا الاشارة الى ان هذا الكتاب يلحق بفن الفكاهة ، وليست الفلسفة فيه الا بقدر . ولكن فكاهته من فكاهة هذا العصر وان بدا فيها أثر « الساق على الساق » للشدياق ، وذلك بسبب الالفاظ الحوشية والغريبة (بل المرتجلة) التي ينثرها المؤلف في عباراته . واذا نظرنا الى الادب الافرنجي رددنا بعض ما في هذا الكتاب من الفقر والصور والسياق الى الطريقة التي يعبر عنها بما فوق الواقع ، لما زاء من الشطح في التفكير والاغراب في الأداء وللكتاب تعليقات لغوية وأدبية جاءت في آخره . وفي رأينا أن التعليقات اللغوية كان يحسن للمؤلف أن يعدل عنها بالعدول عن استعمال الفاظ مهجورة مماتة في قصته الطريقة ب .

في كتاب القرية

لمحمد عبد الجواد — مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر ١٩٣٩ — ١٢٥ ص — القطع الكبير

الأستاذ محمد عبد الجواد ممن يشتغل بالتأليف من زمن . فله دروس في التهذيب والتربية ونظرات في نقد اللغة سبق للمقطف أن تناولها بالنقد . واما هذا الكتاب فيدخل في فن تدوين الذكريات . والذكرى التي يدونها المؤلف أول اتصاله بتلقي العلم في كتاب القرية . وهي ذكرى حلوة ، ذكرى الطفولة والحداثة

والذي يحنينا من هذا الكتاب عرضه الظريف للحياة الريفية في مصر ووصفه للتردد على الكتاب وأخذ مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن . ولذلك يعدُّ هذا الكتاب بعدحين وثيقة تاريخية مصرية ، اما اليوم فقراءته محببة إلى من تشوقه الكتابة السهلة المنجذبة الى التسلية والفكاهة جميعاً . وفي الكتاب صور وألواح تثبت ما يتعلق بالكتاب وأهل القرية . والكتاب مطبوع طبعاً لطيفاً . وليأذن لنا المؤلف في خاتمة الكلام أن نأخذ عليه اللفظة الفرنسية Filles التي في الصفحة الثانية ، ولعله يستبدل مكانها Jeunes Filles في الطبعة الثانية

ب .

مختارات عالمية من الشعر الغرامي

تأليف ابراهيم المصري ١١١٠ ص ، القطع المتوسط . مطبعة دار الهلال ، القاهرة ١٩٣٨

الأستاذ ابراهيم المصري منشىء مترسل ، اقبل على كتابة الموضوعات الاجتماعية ، وله بعد هذا بصر نافذ في النقد ومقدرة على معالجة القصة والمسرحية

وقد رأى أن يخرج للناس « طائفة من اروع الغزل في العالم كله ، مع مراعاته في جمعها لصدق تعبيرها عن نفسية الشاعر وعن روح الأمة التي ينتسب اليها » على حد قوله في الكلمة التي صدر بها الكتاب ، والمختارات تنبسط على عدة آداب من اوربية وأسيوية : ففيها الشعر الفرنسي والألماني والمجري والانكليزي والايطالي الى جانب العربي والفارسي والياباني والهندستاني . واعتماد ابراهيم المصري في نقل الشعر على الترجمات الفرنسية المختلفة

والمعلوم أن نقل الشعر من لغة الى لغة مشكلة ومعضلة لأن الشعر — يقوم أكثر ما يقوم — على براعة الأداء وتوليد الاستعارات والتشبيهات ، ومثل هذا متصل بروح اللغة المستعملة اتصالاً وثيقاً حتى اذا عمدت الى النقل أغربت أو اعتسفت القول أو جنيت على الأصل . وقد راجعنا طاقة من المختارات وقابلناها بأصولها ، فوجدناها على جانب عظيم من الأمانة مع مجازاة الذوق العربي والمحافظة على قواعد بلاغة العربية بقدر ما يتيسر ذلك للناقل الأمين مع الاقتنان

ب .

فهرس الجزء الثاني

من المجلد الخامس والتسعين

زحف الهليوم	١٢٩
اصلاح التقويم : للدكتور ستوارت ضد	١٣٣
مسائل الفن والجمال في العصر الحديث : للفيلسوف الفرنسي غيو	١٤٢
المجريطي فلسفته ومكتشفاته : لمعالي محمد رضا الشيبني	١٤٩ ✓
الحياة والعبقرية : لعلي ادهم	١٥٣ ✓
كيف افهم النقد الادبي : لجبرائيل جبور	١٥٨
النك بين الحكم والعلم : لقدري حافظ طوقان	١٦٦
الشعر والثقافة : لعبد الرحمن شكري	١٧٠
التعقيم بين انصاره ومعارضيه : للدكتور شريف عسيان	١٧٦ ✓
تأسيس ساءرا : بقلم الكتبتن كرزول	١٨١
طاقة من الشعر المعاصر — وحي الصحراء : لخالد الجرنوسي — اطلال الماضي :	١٩١
لعبد السلام رستم — موت الشيطان : لعبد الحميد الديب	
ملك العقاقير: السلفا نيلايد والسلفا بيردين — وصف فعلهما العجيب	١٩٥
الانزيمات : لرضوان محمد رضوان	١٩٩
بحيرة دروانت (قصيدة) : لمحمد عبد الغني حسن	٢٠٦
خليل مطران شاعر العربية الابداعي : للدكتور اسماعيل احمد ادهم	٢٠٧
مصيد الاسماك — ثلاثة ايام مع رجال شركة مصر	٢٢٤
سير الزمان * المثلث التونسي بين فرنسا وايطاليا والعالم الاسلامي. النازيون في اسكنديناوة	١٢٧ -
حديقة المقتطف * الحركة الفنية في سوريا ولبنان : لالياس ابو شبكة	٢٣٧
باب المراسلة والمناظرة * مفردات النبات : للامير مصطفى الشهابي . مباحث عربية : للاب	٢٤١
انتاس ماري الكرملي	
باب الاخبار العلمية * الطريق الصحراوي العظيم بين بغداد وساحل البحر المتوسط . شبكة الطرق	٢٤٤
في الشرق الادنى . نكبات الغواصات . صناديق من الرصاص لحفظ الراديو . توحيد المصطلحات	
الطبية في العربية . النور الكهربائي البارد في معرض نيويورك الدولي . المنسوجات الزجاجية في	
معرض نيويورك العالمي	
مكتبة المقتطف * فرعون الصغير . تاريخ الطب والصيدلة والكيمياء عند قدماء المصريين .	٢٥٢
عيوب الحكم في مصر . أوائل الشهور العربية . مقدمة في الاجتماع . مجموعة نادي القلم العراقي .	
الازليان (قصة حلم) . في كتاب القرية . مختارات عالمية من الشعر الغرامي	